أخبار اليوم
قطاع الثقافة

جرائم اليهود
ضد الأديان السماوية



حنفى المحلاوى

دار
أخبار اليوم
قطاع الثقافة

دار
أخبار اليوم
قطاع الثقافة

أخبار اليوم

قطاع الثقافة

جرائم اليهود ضد الأديان السماوية

اليهودية والمسيحية والإسلام

حنفى المحلاوى

أخبار اليوم
قطاع الثقافة

دار أخبار اليوم
قطاع الثقافة
جمهورية مصر العربية
٦ شارع الصحافة القاهرة
تليفون وفاكس : ٥٧٩٠٩٣٠

● العنوان على الانترنت
WWW. akhbarelyom. org\ketab
● البريد الالكترونى
akhbar el yom@akhbarelyom. org

رقم الإيداع : ٢٠٠٢/٨٠٨٧
الترقيم الدولى: 5 -1049 - 08 - 977

رئيس مجلس الإدارة : إبراهيم سعده

غلاف وإخراج أسامة أحمد نجيب

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِّلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ﴾

[الآية ٨٢ سورة المائدة]

صدق الله العظيم

مقـــدمــــة

هناك العشـرات من الكتب التى صدرت سواء باللغـة العربية أو بغـيرها من اللغات الأجنـبية ، والتى تحـدثت باستفـاضة عن تاريخ اليـهود أو بنى إسرائيل أو الصـهيونية ! والملاحظ أن معظمها - إن لم يكن أغلبها - قد أهمل أو تعمد إهمال الحديث عن الجرائم الخطيرة التى ارتكبها هؤلاء الصنف من البشر سواء فى حق أنفسـهم أو فى حق أنبيائهم أو فى حق غيرهـم من الأمم والشعوب أو حتى فى حق ملوكهم .

هذه الجرائم - التى سوف نبـين جزءاً كبيراً منهـا من خلال حديث هذه الأوراق - توضح لنا بجلاء طبـيعة هؤلاء الناس الذين اخـتلفت مسمـياتهم على مدى التاريخ وحتى الآن .

ولا شك أنه كانت ولا تزال هناك أسباب كثيرة نعرف بعضها ، والبعض الآخر لا يزال فى طى الكتـمان وفى صدور أتباعـهم فقط !.. هى التى تقف بقوة وراء هذا الإهمـال المتعمـد من جانب قطاع عـريض من المؤرخين ومن المفكرين على حد سـواء ! رغم أن بعضهم يشيـر على استحيـاء إلى نوعية وطبيعة هذه الجرائم سواء داخل أبحاثهم أو كتاباتهم المحدودة الاطلاع !

والملاحظة الواجـبة الذكر فى هذا الـسياق ، ضـرورة القول بأن تركـيز المفكرين والمؤرخين العـرب بالذات على هذه الجرائم قد ظهر بـوضوح فقط عند حـديثـهم عن الصهـيـونية ومـا ارتكبـته فـى حـق العـرب على أرض فلسطين !!

وفى اعتقادنا أنه لولا قضية فلسطين ووجود اليهود على أرضها لما اهتم هؤلاء المفكرون بإثارة هذه الجـرائم أو حتى الإشـارة إليها ، وهـم بذلك قد أهملوا فى الوقت نفـسه بيان جـرائم اليهود فى المـاضى خاصة فى عـصر

الرسالات ، والتى نعتبرها الأخطر والأسوأ ، حيث امتدت أيديهم الملوثة بالتزوير والتحريف إلى محاربة دين الله ورسالاته سواء التى نزلت على قلب موسى أو عيسى أو محمد عليهم أفضل الصلاة والسلام .

ولقد عالجنا نحن فى هذه الأوراق هذا الموضوع بحكمة يتبين منها كيف ارتكب اليهود هذه الجرائم سواء فى حق الله تعالى أو فى حق أنبيائه ورسله الذين بعثهم رب العالمين لهدايتهم وهداية عباده من عصر موسى عليه السلام وحتى الآن مروراً بتلك الرسالتين السماويتين العظيمتين : المسيحية والإسلام .

وفضلنا أن نبدأ هذه الرحلة من خلال بيان واضح لتلك المسميات الثلاثة أو الأربعة التى تلون من خلالها هؤلاء البشر عبر التاريخ .. سواء القول بأنهم عبرانيون أو إسرائيليون أو يهود أو صهاينة . .

ودافعنا نحو هذا البيان هو التأكيد على حقيقة فى غاية الأهمية ، وهى أن اختلاف هذه المسميات التى تواروا خلفها ، لا يعنى أبداً اختلاف طبائعهم أو أفعالهم أو جرائمهم !

فهم قوم من بنى البشر الذين ارتبطوا بالعديد من الأنبياء من بعد موسى عليه السلام .. من الذين بعثهم رب العالمين لهدايتهم .. ولما أبوا واستكبروا وأعلنوا عصيانهم كان جزاؤهم أن كتب الله عليهم الذلة والمسكنة والتشرد إلى يوم القيامة .

وكذلك أردنا من وراء هذا البيان .. أن نقول .. إن اختلاف تلك المسميات .. لا يعنى اختلاف المجرم أو أفعاله ! . بل إنها جميعاً مسميات لمجرم واحد .. جلس على قلوب وصدور الناس لكى ينزع منهم قول : لا إله إلا الله .. وهى كلمة التوحيد التى كانت عنواناً لجميع رسالات السماء ، والتى حملها كذلك إلى بنى البشر هؤلاء الرسل الثلاثة المكرمون .. موسى وعيسى ومحمد عليهم الصلاة والسلام .

ومن بعد هذا البيان تابعنا الرحلة .. لإظهار طبيعة جرائم اليهود وأنواعها ووسائلها وخطورتها وأهدافها التى تصب جميعاً فى اتجاه واحد

وهو محـاربة الأديان السمـاوية الثلاثة ، وذلك من خـلال أربعة فـصول .. **الأول :** تناولنا فيه جرائم اليـهود فيما يخص معصيـتهم لله تعالى والشرك به ثم مظاهر هذه المعاصى وخطورتها .. ثم ننتقـل بعد ذلك لبيان نوع آخر من هذه الجرائم .. ففى **الفصل الثانى** نبين ما ارتكبه هؤلاء القوم الظالمون فى حق أنبيـاء الله سواء بالقتل أو الـتعذيب أو الإهانة ، وكـان على رأسـهم بطبيعة الحال نبيهم الكريم كليم الله موسى عليه السلام !

وللأسف – وكـمـا سنوضح ذلك – لم تـتوقـف تلك الجـرائم عند هذا الحد.. بل تعدته إلى مـراحل أخرى أكثر خطورة .. وهذا ما سـوف نناقشه فى **الفصلين الـثالث والرابع** ، إذ نبـين فيـهما إقـدامهم وجـرأتهم غـير المسـبوقـة على تحريف كل الكتب المقـدسة .. سـواء التوراة أو الإنجـيل أو بعض الأحاديث النبوية الشريفة مع بيان لمحاولات بعض يهود المدينة وقت ظهـور الإسـلام لتـزوير وتحـريف القـرآن الـكريم ، بل واسـتـمـرار تلك المحاولات إلى يومنا هذا !!

وأخيـراً .. نلقى الأضـواء المبهرة عـلى محاولات الـيهود لهـدم الأديان السماوية الثلاثة .. اليهودية والمسيحية والإسلام .

فصل تمهيدى

أربعة وجوه..
لمجرم واحد

يحار المرء منا حين يتناول بالحديث المفصل تاريخ هذا الصنف من البشر كجنس ليس له مقومات أو ملامح .. وقد بدأ حياته فى شكل جماعات من الرعاة الرحل على المشارف والتخوم التى كانت تنمو فيها الحشائش بالقرب من جنوب العراق ، وذلك وفق ما أكده العالم والمؤرخ الراحل الدكتور جمال حمدان .. عندما تحدث عن هؤلاء إنثربولوجيا مؤكداً على أن تلك الجماعات كانت وافدة على هذه الأماكن التى كانت تقطنها وقتذاك دولة الكلدانيين بمدينة (أور) .

هذه الحيرة بلا شك مصدرها تعدد أسماء هذه الجماعات التى اتخذت من الترحال أسلوباً فى حياتها ، وبالتالى لم تنعم بالاستقرار إلا على حساب الشعوب الأخرى .. حيث عُرفت عبر التاريخ الطويل ـ رغم تزويره لحسابهم ولصالحهم ـ بأكثر من تسمية .. بدأت بالعبرانيين ثم بالإسرائيليين وكذلك اليهود ، وأخيراً بالصهاينة !. والله وحده هو الذى يعلم ما سوف يستجد من أسماء ومسميات تطول هؤلاء الصنف من البشر فى المستقبل ! .

وعلى أية حال .. فإنها كلها تسميات ومسميات فارغة تماماً من معانيها الإنسانية أو الحضارية ، إلا فى نطاق التاريخ فقط . حيث كانت ولا تزال وكأنها علامات وضعها علماء الاجتماع والمشتغلون بالتاريخ لبيان مراحل تطور ونمو هذه الجماعات خلال تاريخهم الطويل الذى يبدأ عادة من إبراهيم عليه السلام .

ويعود الدكتور جمال حمدان فيما كتبه للتأكيد على حقيقة تاريخية مؤكدة هى أن هذه الجماعات كانت ضمن الهجرات التى خرجت من قلب

الجزيرة العربية ، وهى الجماعات السامية العديدة التى تمركزت فى ذلك الخزان البشرى الذى لم يتوقف عن أن يقذف بالموجة تلو الأخرى إلى منطقة الهلال الخصيب .. المتاخمة والجذابة .

وبالكشف عن أسباب وتوقيت اختلاف هذه المسميات الأربعة السابق الإشارة إليها .. اتضح لنا أنها فقط تمثل نقاطاً ضوئية خافتة فى حياة تلك الجماعات الرعوية ، كما أنها ارتبطت فى الوقت نفسه بأسماء بعض الأمكنة وبعض الشخصيات التى أثرت وتأثرت بمسيرة حياة هذه الجماعات ، وكأنها علم على اسم هذه الأمكنة أو تلك الشخصيات .

ودليلنا إلى هذا الاستنتاج أن اسم العبرانيين كمثال قد اشتق - وفق إجماع المؤرخين - من حادث عبورهم لأحد الأنهار فى اتجاه مقرهم الجديد إلى أرض كنعان بقيادة إبراهيم عليه السلام ، كما أن اسم الصهيونية أو الصهاينة قد اشتق كذلك من اسم جبل صهيون الذى يعد وفق الإجماع أيضاً هو الرابية التى كانت تقوم عليها حاليا مدينة (أورشليم) .

أما بالنسبة للاسمين الآخرين : بنى إسرائيل ، واليهود .. فقد ارتبط كل منهما باسم أحد أنبيائهم .. الأول بيعقوب عليه السلام الذى تغير اسمه إلى إسرائيل ، والثانى بنبيهم أو أحد أسباطهم المعروف باسم يهوذا .. وقد حملوا لقبهم اليهود من اسمه .

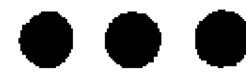
ولو لجأنا لقول المزيد من التفاصيل بشأن هذه التسميات ، لبيان علاقتها بالإجرام والجرائم التى ارتكبوها ، فسوف نلاحظ أن المؤرخين على اختلاف مشاربهم قد توسعوا كثيراً فى ذكر تفاصيل عديدة ، وكان مصدرها فى الأساس لجوءهم إلى الكتب المقدسة اليهودية ، سواء تلك التى حرفوها أو التى كتبوها بأيديهم .. مع ملاحظة أن الكثير من هؤلاء المؤرخين ـ وفق مراحل هذه التسميات ـ كانوا يتعمدون إغفال ما ارتكبه اليهود من جرائم أو تزييفها ، خلافاً لما جاء فى التوراة نفسها .

ولسوف يتضح لنا ذلك بجلاء حين نستعرض معا مضامين تلك

التسميات وأهدافها .. وكيف استطاعوا توظيفها بحرفية غير مسبوقة منذ قديم الأزل وإلى الآن ..

وعلى سبيل المثال .. فإنهم لا يزالون يطلقون على لغتهم «اللغة العبرية» مع أنها لغة سامية يتحدث بها الآن كل أصناف هؤلاء البشر ، وفى كل بقاع العالم وليس داخل إسرائيل وحدها .

أضف إلى ذلك ، استخدامهم أيضا وفى الوقت نفسه لتسمية أو لفظ « إسرائيل » .. وهو كما نعلم هو من ألقاب نبى الله يعقوب عليه السلام ، كتعبير عن تواجدهم الآن فوق أرض مغتصبة .. وذلك لإضفاء الشرعية الدينية المزيفة على هذه الأرض ، رغم أنف العلم والتاريخ بكل فروعه ، وما ينطبق على التسمية الأولى والثانية .. يزحف بطبيعة الحال ناحية بقية المسميات .



أما بخصوص حديثنا تفصيلا عن لفظ أو تسمية « العبرانى أو العبرانيين » فقط ارتبطت بأولى مراحل التاريخ فى حياة هذه الجماعات الرعوية المتنقلة ، كما ارتبطت كذلك بنبى الله إبراهيم عليه السلام ، والذى كان أول قائد لتلك الجماعات ، وهو الذى انتقل أو عبر بهم نهر الفرات أو نهر الأردن إلى أرض كنعان .

ولقد سبق لنا القول وللأسف بأن التوراة ورغم تحريفها ، خاصة سفر التكوين كانت المصدر الرئيسى للمؤرخين فى معرفتهم لظروف هذه الفترة التاريخية المبكرة ، وإن حاولوا إضافة الكثير من التفاصيل لصالحهم .. بإشراكهم علماء الآثار والحفريات .

وما قيل فى هذا السياق ما ذكره المؤرخ « محمد عزة دروزة » .. حين ذكر أن الإصحاح الرابع والعشرين من سفر (يشوع) فى التوراة قد ذكر هذه العبارة : « هكذا قال الرب إله إسرائيل آباؤكم سكنوا فى عبر النهر ، منذ الدهر ، تارح أبو إبراهيم وأبو ناحور وعبدوا آلهة أخرى ، فأخذت إبراهيم أباكم من عبر النهر وسرت به فى كل أرض كنعان وأكثرت نسله »[١] .

(١) تاريخ بنى إسرائيل من أسفارهم – ج ١ – محمد عزة دروزة .

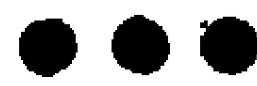
وأضـاف : لقـد كان نزول إبـراهيم حـين طروئه على أرض كنعـان عند شكيم فى مكان « بـلوطة مورة » ، والكـنعانيـون حـينئـذ فى الأرض على ما ذكره الإصحاح الثانى عشر .

وشكيم هى التى يقـوم مقامهـا اليوم مدينة نـابلس على الأرجح .. حيث يمكن أن يقال إنه جاء إلى هذه الأرض عن طريق شرق الأردن ، فعبر النهر ومـر بالغـور المعـروف باسم « غـور الفـارعة » .. الـذى يؤدى إلى شكيم (نابلس) ..

ثم ارتـحل إبراهيم عليه السلام إلى الجنوب .. وعندمـا اشتد الجوع هبط إلى مـصر مع امـرأته « سـاراى » المعـروفة فى التـاريخ الإسـلامى باسم « سارة » والتى أوصاها بأن تقول أنها أخته وليست امرأته ، حتى لا يقتله المصريون على حد زعمهم رغبة فى اغـتصابها !! إذا كانت زوجته . وكانت جميلة جداً فمدحوها لفرعون فـأخذها فى بيته وأحسن بسببها إلى إبراهيم الذى كان يسمى آنذاك باسم « إبرام » .

ولقد قيل كـلام كثير وغيـر حقيقى خاصــة فى التراث الإسرائيلى وفى أساطيرهم . عمـا أصاب فرعون مصر من أذى فى نفـسه وفى أهله بسبب إقدامه أو مـحاولته اغتصـاب هذه الزوجة !! المهم ووفقاً لبـقية هذه الرواية التاريخـية ، فـإن إبراهيم عليه السـلام قد رجع إلى أرض كنعـان محـملاً بالهدايا من الغنم والحميـر والبعير – كما تقول بذلك التوراة – لـيبدأ حياة جديدة فى أرض كنعان ، متفرغاً لعبادة الله ودعوة قومه إلى التوحيد .

وفى هذا التـوقـيت بشـره رب العـالمين بإنجـابه كـلا مـن إسـحـاق وإسماعـيل .. الذى ولد بأرض الحجاز بعدما ذهـب وأمه هاجر إلى هناك . ولذلك فقـد بقى معه فقط ابنه إسـحاق عليه السلام الذى أقـام بجواره فى أرض كنعان .. وهـناك أنجب هو الآخر يعـقوب عليه السـلام ، الذى ترجع إليه أصول بنى إسرائيل .



وعند النقطة السـابقـة من تاريخ هذه الحقـبـة المبكرة لهذه الجـماعـات

الرعوية التى استقرت فوق أرض لم تكن لهم ، لم نتحدث عما اقترفوه من جرائم .. لم تكن بالضرورة تقع أمام أعين نبى الله إبراهيم عليه السلام ، ولا حتى أمام ابنه إسحاق أو حفيده يعقوب عليهما السلام ، ذلك لأن هؤلاء الأنبياء الكرام من الذين بعثهم الله تعالى لهداية هؤلاء الناس ، لم يكونوا ليملكوا آنذاك إلا الدعوة بالحكمة والموعظة الحسنة ، وما كان معظم أفراد جماعاتهم من العبرانيين ليمتثلوا لأوامر الله التى أخذ يروج لها هؤلاء الأبناء .

وما علاقتهم السيئة فيما بعد بنبى الله موسى عليه السلام ، وقتلهم من جاء بعده من أنبياء ورسل ، إلا دليل واضح على تأصل فكرة الجريمة والغدر فى نفوس هؤلاء الأجلاف من الرعاة .

والشىء اللافت للأنظار والمثير للدهشة فى آن واحد .. أن التوراة نفسها قد ذكرت بعض تفاصيل هذه الجرائم . مثال ذلك ما قيل بشأن لجوء العبرانيين إلى الحرب لإجبار الكنعانيين على قبولهم كغزاة فوق هذه الأرض ، ومع ذلك لم يتمكنوا من السيطرة إلا على البلاد والأراضى الفقيرة الداخلية ، وقد ظلت السهول الخصبة فى أيدى الكنعانيين الأصليين . وأغلب تاريخهم فى هذه الفترة .. كما يؤكد ذلك الدكتور جمال حمدان فى كتابه المهم « اليهود أنثروبولوجيا » يتسم بالدموية ويتصف إضافة إلى ذلك بأنه لا أخلاقى ويدور معظمه حول الحرب والغزو ، إلا أن الهزيمة كانت من نصيبهم غالباً .

بل وأكثر من ذلك يقول الدكتور حمدان .. إن تسمية هذه الجماعات باسم العبرانيين يقابلها عند المصريين القدماء كلمة « Habiru » .. وعند البابليين « Khebirru » ، وهى تعنى فى المقام الأول هنا أو هناك بالبدو أو اللصوص أو المرتزقة ، كما وصفهم أعداؤهم فى كنعان إشارة إلى طبيعتهم كرعاة متخلفين حضارياً ، بالنسبة لهم .

ويبدو أن هذه الجماعات التى ارتبطت بتسمية العبرانيين قد كانوا يدربون أنفسهم على ارتكاب المزيد من الجرائم . بل وتوريث تلك الصفات

المذمومة إلى أبنائهم وأحفادهم ، الذين ظلوا يعيشون فى جو كريه وسط غيرهم من شعوب هذه المنطقة ، ولم تفلح معهم دعوات أنبيائهم وصلواتهم لأجل الابتعاد عن الانحراف وسلوك الطريق القويم .

والدليل القوى على ذلك لدينا .. ما حدث من هؤلاء العبرانيين بعدما ارتبطوا بالاسم الثانى لهم فى الفترة التاريخية التالية .. وهو اسم « إسرائيل » أو « بنى إسرائيل » ، وهم للأسف قد حملوا اسم نبى من أنبياء الله الصالحين الذين امتدحهم القرآن الكريم وهو « يعقوب بن إسحاق » عليهما السلام .

بل وقد ظلت شراهة ارتكاب هذه الجرائم متأصلة بداخلهم فيما بعد هجرتهم من أرض كنعان فى اتجاه مصر ، مع أبيهم وقائدهم العظيم إبراهيم عليه السلام ، وكلنا يعرف ما وقع منهم فى حق أخيهم الصغير يوسف عليه السلام .. وقد تآمروا ضده .. وقرروا قتله لا لشىء .. إلا لحقدهم عليه ..

والمؤسف أن جريمتهم هذه قد ظلت معلقة فى أعناقهم .. طول فترة غياب أخيهم يوسف . الأمر الذى أصاب يعقوب عليه السلام كثيراً فى صحته وفى عينيه(١) .

بل وجميعنا يعرف كذلك أن يوسف عليه السلام هو نفسه الذى أمدهم بالخير وأنقذهم من موت محقق ومجاعة غادرة ، بل وهو نفسه أيضاً الذى فتح أمامهم أبواب مصر .. ليدخلوها آمنين ، وليقيموا بها بدلا من أرض كنعان التى كان قد ضربها الخراب وأضرت بها المجاعات .. وقد أقاموا بمصر على أكثر التقديرات الحديثة حوالى ٤٠٠ عام حتى خرجوا منها مع موسى عليه السلام .

وهناك بخلاف ذلك .. روايات كثيرة تحدثت عن أعظم الجرائم التى ارتكبها بنو إسرائيل فى حق مصر والمصريين . الأمر الذى جعل الفرعون يستعبدهم ويستخدمهم فى أعمال السخرة .

(١) راجع للمؤلف كتاب « ابتلاء الأنبياء » ـ مكتبة الشروق الدولية .

ومما قيل فى هذا السياق تعاونهم مع الهكسوس .. الذين غزوا مصر فى فترة من فترات تاريخ الفراعنة ، وبعد طرد الهكسوس انتبه المصريون إلى بنى إسرائيل وطالبوهم بالمشاركة الجادة فى الأعمال المرتبطة بالبناء والتشييد .

ويؤكد يوسف محمود يوسف على تأزم العلاقات بين بنى إسرائيل وبين المصريين ، فكانت إذا حلت بالمصريين بعض المحن والشدائد تنكر لهم بنو إسرائيل وتربصوا بهم الدوائر ، وعاشت الكراهية بين بنى إسرائيل وشاع الحذر والحيطة بين المصريين(١) .

والتاريخ حتى فى فترة استقرار الأوضاع السياسية فى مصر ، ينقل إلينا مؤرخوه .. الكثير من الأحداث المجرّمة التى كانت لبنى إسرائيل ضد المصريين وكذلك روت الكتب المقدسة قبساً منها .. مثلما جاء فى القرآن الكريم بخصوص قتل موسى عليه السلام لذلك المصرى بتحريض من الإسرائيلى الذى ينتمى إلى شيعته !

ولقد ظل مؤشر الكراهية ضد بنى إسرائيل يزداد من قبل المصريين لما اقترفته أيديهم من جرائم وأخطاء حتى وصل إلى أعلى معدله أيام فرعون الخروج والذى أمر باستباحة نسائهم وأموالهم .. بل وقتل الذكور منهم .. خوفاً على عرشه من استيلاء أحدهم عليه .. وهو ما ارتبط بقصة موسى عليه السلام مع هذا الفرعون .

وحتى من بعد نجاح بنى إسرائيل برعاية الله وعنايته فى الخروج من مصر .. قد يتصور البعض أن هذه العناية الإلهية وتلك الرعاية السامية من رب العالمين ربما ساهمت أو سوف تساهم فى إصلاح أحوالهم وأخلاقهم .

ولكن ثبت العكس .. إذ تحولوا من ارتكاب جرائمهم فى حق البشر إلى التقول على الله بغير الحق ، بل والبحث عن إله غيره !! وهى جريمة عظيمة، لا يمكن السكوت عن بيان تفاصيلها ولا عن بيان غيرها من الجرائم التى ارتبطت بعصر الرسالات .. لذلك فقد أرجأنا الحديث عن تلك التفاصيل

(١) إسرائيل البداية والنهاية ـ يوسف محمود يوسف .

لحين موعدنا التالى مع كل فصــول هذا الكتاب والذى نبين من خلالها تلك الجرائم .

وحتى من بعـد أن أمرهم الله بالعودة إلى أرض كنعان .. لاخـتبارهم فى الشكر والحمد على نعمة الإيمان .. ارتكبوا الجرائم ضد البشر مرة أخرى ، وهى جرائم أيضاً فى غاية الخطورة والوحشـية .. ولسوف يكون لنا معها هى الأخـرى وقـفة تفـصـيلـيـة .. شأنهـا فى ذلك شـأن كل الجـرائم التى سجـلناها عليهم .. مع اخـتلافـها .. وفق اخـتلاف تسـمياتـهم عبر حـقب التاريخ .



وماذا عن الجرائم التى ارتكبوها فى مرحلة تسميتهم باليهود ؟!.. إن لها قصة طويلة .. نقـتطف بعض عناوينها على استعجال ثم نرجـىء التفاصيل إلى الفصول القادمة .

ولقد رأينـا من قبل الإفصـاح عنها على سـبيل الإجـمال ضـرورة بيان الشىء اليسير عن أسـباب وكيفية تسمية هؤلاء البـشر « باليهود » ، وذلك استكـمالا لمشوارنا الذى قـطعناه منذ أن التقـينا بهم كعـبرانيـين .. مروراً باتخاذهم لقب « بنى إسرائيل » !

وعن ذلك يقول الدكـتور محمـد خليفة حسن : « إن لهـذه التسمـيـة مثل التسميات المشـهورة فى حياة هؤلاء الناس دلالتين : إحداهما عامة والأخرى خاصة .. فهى من ناحية دلالتها العـامة تسمية تطلق على كل من يعتقد فى الديانة اليهـودية ويؤمن بها ويمارس طقوسـها وشعائرها .. إذن فـاليهود بهذا المعنى نسبة إلى اليهودية . وبذلك فهى دلالة دينية خالصة .

أما الدلالة الخاصــة فهى تشير إلى الانتـماء إلى كيان سيـاسى جغرافى هو مملكة يهوذا فى الجنوب والتى ظهـرت بعد انشقاق مملكة سليـمان عليه السلام إلى مملكتين شمالية وجنوبية[1] .

وكلمـة يهوذا ـ كـمصطلـح ـ لها تاريخ ، إذ تعـود فى الأصل الأول إلى

(١) تاريخ الديانة اليهودية ـ د. محمد خليفة حسن أحمد .

الاسم « يهوذا » وهو أحد أبناء يعقوب عليه السلام وبالتالى فهو أحد الأسباط من بنى إسرائيل .

وهذه الشخصية تعتبر من أهم شخصيات قصة يوسف عليه السلام دون إخوته . ذلك لأنه قد لعب الدور الأكبر فى حماية يوسف من القتل حسب رواية التوراة ، إلى جانب دوره الكبير فى إنهاء مشكلة الجوع لأبيه وقومه عندما نجح فى إقناع والده يعقوب عليه السلام بضرورة إرسال أخيه بنيامين شقيق يوسف من أمه إلى مصر حسب طلب يوسف .. وإلا منع عنهم الطعام .

ولسوف نلاحظ .. أن تسمية « بنى إسرائيل » و « اليهود » قد شهدتا نوعاً من التلاحم والتوحد . سواء فى اللفظ أو فى معناهما خاصة فى هذه الفترة التاريخية والتى أعقبت وصولهم إلى مصر فى أيام يوسف عليه السلام .

وقد يظن البعض أن ذلك فيه خلط ومغالطة .. بل العكس هو الصحيح .. إذ تمسك هؤلاء الصنف من البشر بهاتين التسميتين وبلا تفرقة ، وإن زادت حدة تمسكهم باليهودية بعد رسالة موسى عليه السلام ، وبالتالى فإن جرائم بنى إسرائيل واليهود ، قد شهدت هى الأخرى هذا التوحد والتطابق من حيث الأفعال والأقوال ، ولهم فى هذا السلوك الشائن سجل كبير لا يزال مفتوحاً . وقد تحدث عما به من أعمال وجرائم غير إنسانية العديد من المؤرخين مثل (روجيه جارودى) ذلك المفكر الفرنسى المعروف والذى غير ديانته من اليهودية إلى الإسلام ، كما أن له العديد من الكتب المهمة فى هذا الشأن .

وأيضاً هى جرائم سوف نلقى عليها الاضواء المبهرة من خلال الفصول التالية ، ويكفى فى هذا المقام أن نذكر .. كفرهم بالله تعالى والشرك به .. والبحث عن إله آخر .. وهو الذى أنجاهم من فرعون وجنوده .. وأخرجهم بمعجزة شق البحر ، بل وأكثر من ذلك قتلهم الأنبياء بغير الحق .. وتزويرهم الكتب المقدسة .. بل واستبدالها !! .

●●●

ويتبقى من حديث هذه التسميات المختلفة فى الألفاظ والحروف .. المتفقة فى الفعل والإجرام .. ما يخص كونهم « صهاينة » أو « بنى صهيون » ، وذلك حتى تكتمل لدينا منظومة هذه المسميات ، والتى من بعدها ننطلق حيث موعدنا مع التفاصيل !

ورغم ما سبق أن ذكرناه فى هذا السياق من ارتباط هذه التسمية بجبل صهيون فى القدس .. إلا أن هناك كتابات وآراء كثيرة غير ذلك ، وقد تناول الإشارة إليها بالتفصيل الدكتور عبد الوهاب المسيرى فى موسوعته الشهيرة « اليهود واليهودية والصهيونية » .

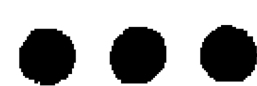
هذه التفاصيل تقترب كثيراً من المفهوم السياسى لهذه التسمية التى قامت فى العصر الحديث على مبدأ العودة إلى أرض الميعاد !!، وبالتالى القيام بأكبر حركة هجرة منظمة لليهود فى مختلف دول العالم إلى فلسطين وهو ما اصطلح على تسميته بالاستيطان الصهيونى .

وللحركة الصهيونية أو الصهيونية كأحدث تسميات اليهود أو العبرانيين أو بنى إسرائيل عدة أهداف بعضها معلن على الملأ والبعض الآخر لا يزال فى صدور زعمائها الذين توارثوها منذ رائدها الأول (هيرتزل) .

وقد اتخذوا من هذه الأهداف وجهتهم نحو تحقيق معظم أغراضهم ، بل إن شئت قل كل هذه الأغراض .. وفق ما جاء فى بروتوكولات حكماء صهيون أو نصوص التلمود التى يطلقون عليها اسم « التوراة الشفهية » !!

وهى كلها أهداف وأغراض تدور فى فلك السياسة .. التى ترمى فى النهاية إلى احتلال العالم كله ، وليس فلسطين أو أرض الميعاد فقط !!

وهم لذلك ومن أجل تحقيق حلم الصهيونية .. لا يتورعون عن ارتكاب أى نوع من الجرائم . حتى فى حق من يساندونهم أنفسهم !



والسؤال الذى يفرض نفسه بقوة فى هذا السياق .. هو : لماذا ومع تعدد هذه التسميات يميل كل المفكرين والمؤرخين إلى اختيار اسم اليهود فقط من دون التسميات الأخرى للتعبير عن تاريخ وجرائم ومصائب هذه الجماعات

التى اعتادت على ارتكابها ..؟! رغم ارتباط تلك التسمية إلى حد كبير بعلاقتهم الدينية واعتناقهم دين الله الذى دعا إليه نبيهم موسى عليه السلام؟!

وبالبحث والتنقيب فى معظم ما كُتب عن هذه الجماعات بمختلف مسمياتها . لم يتضح لنا السبب الحقيقى .. حتى ما كتبه اليهود أو بنو إسرائيل أنفسهم لم يوضحوا لنا فيه ذلك السبب ..

ولكن نظراً لشيوع هذه التسمية التى تغلبت على تسمية بنى إسرائيل .. ومساواتها مع تسمية الصهيونية .. فقد رأينا نحن أيضاً اختيار تسمية اليهود كعنوان رئيسى لهذه الأوراق ، وهى كما أوضحنا فى التمهيد لا تختلف كثيراً فى شىء عن بقية التسميات الثلاث الأخرى .

وعلى ذلك فإن ذكر العبرانى أو اليهودى أو الإسرائيلى أو الصهيونى .. إنما هو دليل على وجود كارثة أو مصيبة أو جريمة تستوجب العقاب والضرب بيد من حديد على رؤوسهم حتى تتم تسويتهم بالأرض التى يمشون فوقها ، وذلك مصداقاً لقول الله تعالى : ﴿ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ ..(٦١) ﴾ [البقرة]

لا لشىء إلا لأن لهم صفات ذميمة أنكرها عليهم رب العالمين ، وحذر البشر منها ، وتلك بشكل عام من صفات المجرمين فى الأرض ، حيث يتصفون ـ أى « اليهود » أو « العبرانيين » أو « بنى إسرائيل » أو « بنى صهيون » ـ بالوحشية التى تتأصل فى كيانهم وتحت جلودهم . كما أن لهم ولعا غير مسبوق بالقتل والذبح والشنق والخنق والحرق والرجم والتنكيل والتعذيب وتقطيع الأوصال ، وإبادة الناس بالجملة وإشعال نار الفتن فى المدن وإشاعة الدمار فى كل مكان يقع فى قبضتهم .

« إنهم كلاب وذئاب مسعورة أو خنازير متوحشة أصابها الجنون ، فهى لا تفتأ تنشب أنيابها وتضرب مخالبها فى كل ما يصادفها من أحياء حتى تحيل الأرض الخضراء إلى أرض مفروشة بالجثث »(١) .

كما يتصف هؤلاء الصنف من البشر على اختلاف ما مر علينا من أسماء

(١) اليهود وتذكرة ، قبل أن نفقد الذاكرة ـ د. رمضان حافظ .

أو مسميات أو تسميات بالغدر والخيانة والمجادلة بالباطل والبعد عن الحق، إلى جانب غرورهم المصحوب بالخوف والفزع الدائم نظراً لما وضع فى قلوبهم منذ ذريتهم الأولى من ضعف ووهن مما أبعدهم عن الإيمان .

لذلك ومن دون خشية نقول .. إنهم قوم أقرب إلى الكفر منهم إلى الإيمان .. وذلك مصداقاً لقوله تعالى : ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِّلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ ..(٨٢)﴾ [المائدة] . أى أنهم من أكثر خلق الله عداوة لمن آمن بالله وبواحدانيته وكتبه ورسله ! ، ذلك لأنهم يعرفون أن كل من يؤمن بالله لابد وأن يحاربهم ويقف منهم موقف العدو .

وهم فى المقابل فى قلوبهم وفى صدورهم خوف دائم وضعف ، ولا يقاتلون غيرهم إلا من وراء حصون منيعة !، وعلى أية حال .. فقد اجتهد كثير من المفكرين فى كل العصور .. لبيان هذه الصفات والوقوف على مدلولاتها .. حتى ولو على سبيل العلم والمعرفة .

الفصل الأول

العيب..
فى الذات الإلهية

المتتبع الواعى لمجريات أحداث قصة نبى الله موسى عليه السلام ، خاصة مع قومه من بنى إسرائيل ، يعرف جيداً ، كيف اختص الله تعالى هؤلاء القوم برعاية وعناية خاصة . ويكفيهم شرفاً فى ذلك أن الله تعالى قد اختار منهم نبياً حظى بشرف الكلام مع رب العالمين ، حتى ولو تم ذلك من وراء حجاب .

وكذلك لابد أن يعرف هؤلاء المتابعون جيداً لتفاصيل أحداث تاريخ بنى إسرائيل كيف استمرت رعاية الله تعالى وعنايته لهم سواء وقت محنة نبيهم موسى عليه السلام وقومه مع فرعون وهامان وجنودهما ، أو من بعد خروجهم إلى أرض سيناء ..

بل ولقد سبقت تلك العناية الإلهية هذه المرحلة بفترات تاريخية طويلة .. عندما شملهم برعايته ورحمته وهم تحت قيادة إبراهيم عليه السلام ، ثم من بعد رحيله خاصة فى حياة كل من أنبياء الله إسحاق ويعقوب ويوسف عليهم السلام .

والتوراة نفسها قد اعترفت بهذا الفضل العظيم ، بل واعترفت فى الوقت نفسه بفسوقهم وعصيانهم لرب العالمين ..

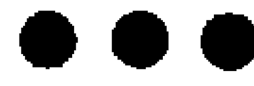
ففى الإصحاح الخامس عشر من سفر التكوين ذكرت التوراة : « أنا الرب الذى أخرجك من أور الكلدانيين لأعطيك هذه الأرض ميراثاً لك » .

والكلام هنا موجه إلى نبى الله إبراهيم عليه السلام .

وفى الإصحاح الرابع والعشرين من سفر يشوع : « هكذا قال الرب إله إسرائيل آباؤكم سكنوا فى عبر النهر منذ الدهر تارح أبو إبراهيم

وأبو ناحور وعبدوا آلهة أخرى فـأخذت إبراهيم أباكم من عبر النهر وسرت به فى كل أرض كنعان وأكثرت نسله »!(١) .

كما أشار إلى ذلك القرآن الكريم فى أكثر من سورة وآية كريمة .. كقوله تعالى فى سورة البقرة ﴿يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ (٤٠) وَآمِنُوا بِمَا أَنزَلْتُ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُمْ وَلَا تَكُونُوا أَوَّلَ كَافِرٍ بِهِ وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا وَإِيَّايَ فَاتَّقُونِ (٤١) وَلَا تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُوا الْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ (٤٢) وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ (٤٣)﴾ [البقرة]



ولقد تصور هؤلاء المتغطرسون ، وفق رؤيتهم الضيقة لهذا الكرم الإلهى العظيم بأن هذه الرعاية غير المسبوقة ، قد أعطتهم الأحقية فى أن يطلقوا على أنفسهم بدون وجه حق بأنهم « شعب الله المختار » !. بل وأن الله قد وعدهم بأرض فلسطين كأرض مقدسة خالصة لهم من دون شعبها !.. يرحلون منها ويأتونها فى أى وقت يختارونه !!.. وما على أصحابها الأصليين إلا إفساحها أمامهم طواعية أو كرهاً !.

ولقد أثر هذا الاعتقاد غير الحقيقى كثيراً فى مسيرة حياتهم ، بل وعلى علاقاتهم بغيرهم من الشعوب . وما نعانى نحن منه الآن من هؤلاء إلا وفق هذه النظرة المتعالية . لما تصوروه ظلماً وزورا امتيازاً لهم من رب العالمين على غيرهم من خلق الله !. فعاشوا بيننا وفوق صدورنا على النهب والنصب والاغتصاب ! وهم يعتبرون ذلك وما يرتكبونه يأتى وفق مشيئة الله الذى فضلهم على العالمين !.. وعلى أنهم ورغم ما اختصهم الله به من نعم كثيرة ، ورغم كل ما طالته أيديهم من مغانم ومكاسب دنيوية ـ فقد كفروا بها وبخالقها العظيم .

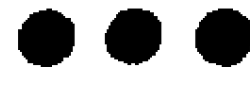
ولقد تجلى هذا الكفر فى صور عديدة ذكرتها الكتب المقدسة وعلى

(١) تاريخ بنى إسرائيل من أسفارهم – ج ١ – مصدر سابق .

رأسها القرآن الكريم ، هذه الصور بدأت برغبتهم ، بل وبسعيهم فى البحث عن إله آخر !! ، وذلك بعد أن وطأت أقدامهم أرض سيناء هرباً من فرعون وهامان وجنودهما!، بعدما أنجاهم الله بعصا موسى الربانية !

ثم تتوالى بعد ذلك بقية صور الكفر والشرك بالله والجحود بنعمته تعالى .. حيث عبدوا عجل السامرى الذى صنعه لهم من الذهب الذى حملوه معهم من مصر بعد خروجهم ، وقد سرقوا ذهبه من أهل المدن بعدما أوهموهم بمشاريع تجارية أو صناعية ، كدأبهم دائماً .

ثم بعد ذلك ظل مؤشر الكفر والعصيان مستمراً فى الصعود حتى وصل إلى قمته حتى أنهم رفضوا تنفيذ شريعة الله .. وما أنزل على نبيهم موسى عليه السلام ، وهى التوراة التى فيها هدى ونور وكذلك رفضهم الامتثال لأوامر الله.. فيما يخص رحيلهم إلى أرض الله المباركة ناحية القدس الشريف .



ورغم موقفهم المعاند من دعوة إبراهيم الخليل .. وكفرهم بدعوته ، وما حدث فى شأن نبيهم الجليل يعقوب عليه السلام .. إلا أن جرائم هؤلاء الناس قد تجلت بوضوح فيما يخص الشرك بالله ، ودعوتهم للبحث عن إله آخر ، خاصة فى مرحلة ما بعد خروجهم من مصر حيث عاشوا عدة سنوات فى ضلال مبين وشرك ظاهر لله ولعبادته الخالصة ، وهم بذلك قد قابلوا الإحسان من الله بالإساءة إلى ذاته العليا واسمه الأعظم .

وكلنا يعرف تقريباً ما كان من أمر هؤلاء تجاه رب العالمين ، حين أصابهم الخوف والفزع من نوايا فرعون وأعماله التى بدأ يمارسها تجاههم مثل القتل والذبح واستحياء النساء وقتل الأطفال .

والكتب المقدسة وعلى رأسها القرآن الكريم قد فصل لنا هذه النعم وذكرها فى أكثر من موضع ، كما بين لنا أيضا ما اقترفته أيديهم من جرائم فى حق مولانا رب السموات والأرض .

وللإمام الأكبر الشيخ الدكتور محمد سيد طنطاوى شيخ الجامع الأزهر.. تعليق على جانب كبير من الأهمية فيما يخص هذه النعم الكثيرة

التى فاز بها بنو إسرائيل من جانب رب العالمين .. وكان سبيله لبيان ذلك ما جاء فى القرآن الكريم خاصة فى سورة البقرة .. وذلك عندما قال : إن سورة البقرة قد نزلت بالمدينة بعد أن هاجر المسلمون إليها ، وأصبحت لهم بها دولة متينة ، وكان يجاورهم فيها عدد كبير من اليهود الذين كان أحبارهم يبشرون بمبعث النبى ﷺ . فأخذت السورة الكريمة تتحدث عنهم فى أكثر من مائة آية حديثاً طويلاً متشعباً[١] .

فنرى رب العالمين .. يوجه إليهم نداء محببا إلى نفوسهم ، يدعوهم فيه إلى الوفاء بعهودهم ، وإلى الإيمان بالله ونبيه محمد عليه الصلاة والسلام.. وذلك في قوله تعالى : ﴿يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ (٤٠) وَآمِنُوا بِمَا أَنزَلْتُ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُمْ وَلَا تَكُونُوا أَوَّلَ كَافِرٍ بِهِ وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلاً وَإِيَّايَ فَاتَّقُونِ (٤١)﴾ [البقرة] ..

ليس هذا فقط . بل إن هذه الآيات الكريمات وما جاء فى سورة البقرة تذكرهم بنعم الله عليهم ، وبموقفهم الجحودى من هذه النعم . تذكرهم بنعمة تفضيلهم على عالمى زمانهم ، وبنعمة إنجائهم من عدوهم ، وبنعمة فرق البحر بهم ، وبنعمة عفو الله عنهم مع تكاثر ذنوبهم ، وبنعمة بعثهم من بعد موتهم ، وبنعمة تظليلهم بالغمام ، وبنعمة إنزال المن والسلوى عليهم .

ويؤكد الدكتور طنطاوى فيما ذهب إليه هو وغيره من كبار المفسرين أن موقف بنى إسرائيل من هذه النعم يمثل الجحود والعناد والبطر ، فكانت نتيجة ذلك أن أنزل الله فيهم قوله تعالى : ﴿ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ .. (٦١)﴾ [البقرة] .

ثم تحدثت نفس هذه السورة الكريمة ، حديثاً مستفيضاً عن رذائلهم وقبائحهم ودعواهم بالباطل ، والعقوبات التى حلت بهم جزاء كفرهم وجحودهم .

وفى وصف غاية فى الروعة يقول رب العالمين عن اليهود وعنادهم

(١) التفسير الوسيط للقرآن الكريم ـ الفاتحة والبقرة ـ للإمام الأكبر د. محمد سيد طنطاوى .

وكفرهم : ﴿ ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الأَنْهَارُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ (٧٤) ﴾ [البقرة].

ولكى نعرف أهمية وقيمة نعم الله على هؤلاء القوم الظالمين الذين اتبعوا الهوى من دون الله . رغم إخفائهم لها فترة زمنية طويلة إلى حين نزول القرآن الكريم . نقول : وتنبئنا هذه الآيات من سورة البقرة أيضاً عن تفاصيل هذه النعم فى قوله تعالى :

﴿ وَإِذْ نَجَّيْنَاكُم مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَلِكُم بَلاءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ (٤٩) ﴾ [البقرة]

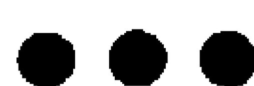
والمعنى كما يقول الإمام الدكتور طنطاوى : اذكروا يا بنى إسرائيل وقت أن نجيناكم من آل فرعون الذين كانوا يعذبونكم أشق العذاب وأصعبه ويبغونكم ما فيه إذلال لكم واستئصال لأعقابكم ، وامتهان لكرامتكم .. حيث كانوا يزهقون أرواح ذكوركم ، ويستبيحون نفوس نسائكم ، وفى ذلك العذاب ، وفى النجاة منه امتحان لكم بالسراء لتشكروا ، ولتقلعوا عن السيئات التى تؤدى بكم إلى الإذلال فى الدنيا والعذاب فى الآخرة(١) .

كما ينقل لنا الإمام شيخ الجامع الأزهر .. فوائد هذه النعم مما ذكره الإمام فخر الرازى الذى أكد على تلك الفائدة فى ذكر هذه النعم . أى نعمة إنجاء بنى إسرائيل من عدوهم، وقال إن ذلك يتأتى من عدة وجوه من أهمها:

● أن هذه الأشياء التى ذكرها الله تعالى لما كانت من أعظم ما يمتحن به الناس من جهة الملوك والظلمة ، صار تخليص الله عز وجل لهم من هذه المحن من أعظم النعم ، وذلك لأنهم عاينوا هلاك من حاول إهلاكهم ، وشاهدوا ذلاً بالغاً فى إذلالهم ، ولا شك فى أن ذلك من أعظم النعم ، وعظم النعمة يوجب المبالغة فى الطاعة والبعد عن المعصية ، لذا ذكر الله هذه النعمة العظيمة ليلزمهم الحجة ، وليقطع عذرهم .

(١) المصدر السابق .

● أنهم لما عرفوا أنهم كانوا فى نهاية الذل .. وكان عدوهم فى نهاية العز ، إلا أنهم كانوا محقين ، وكان خصمهم مبطلاً .. وبذلك فإن كان الحق إلى جانبهم .. فإن العاقبة لابد وأن تكون لهم . معنى ذلك أن هؤلاء القوم ، قد فازوا بنعم كثيرة من الله تعالى .. وقد قابلوها جميعاً بالجحود والنكران والكفر أيضاً .



ولا شك أن استعراض قصة موسى عليه السلام مع قومه من بنى إسرائيل .. خاصة فى فترة ما بعد الخروج الثانى وشق البحر بعصاه الربانية ، سوف يوضح لنا كثيراً مما أصاب بنى إسرائيل من فضل الله من هذه النعم الكثيرة ، وقد قابلوها بالجحود والنكران والتقول على الله ، بل وبالبحث عن إله غيره ، وهى كلها جرائم خطيرة .. عاقبتهم عليها السماء فى صور شتى .

ويكفي أن نذكر أيضاً فى هذا السياق هذه الآية الكريمة : ﴿ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ .. (٦١) ﴾ [البقرة]

هذه الذلة وهذه المسكنة وهذا الابتلاء بالغضب .. لم يقتصر على فترة زمنية بعينها بل هى ممتدة إلى يوم القيامة ، مما يدل دلالة واضحة على هذه الجرائم وخطورتها .

ومما يجب توضيحه فى هذا السياق أن جرائم بنى إسرائيل فى حق الله تعالى .. قد بدأت على أرض سيناء واستمرت إلى ما بعد نجاحهم فى الخروج منها بعد رحلة التيه التى استغرقت أربعين عاماً .

على الرغم من أن الله تعالى .. قد عاقب فرعون مصر عقاباً شديداً على موقفه المعاند من بنى إسرائيل .. ونبى الله موسى .. وهو يساوى فى هذا العناد .. ما ارتكبه بنو إسرائيل أنفسهم مع الله من حالات الشرك والهلاك .

وكما تجلت حكمة رب العالمين فى إعطائنا الدروس المستفادة من قصة فرعون مع موسى عليه السلام وما أصابه وقومه من عقاب شديد فقد أراد فى الوقت نفسه أن يرينا فى قصة بنى إسرائيل وجرائمهم الآيات تلو

الأخرى لعل الأقوام التى سوف تلحق بهم أو تأتى من بعدهم يعرفون الحق ويتبعون عبادة الإله الواحد . ولله فى ذلك الحكم والمواعظ والآيات .



وكما نعرف من تفاصيل قصة موسى عليه السلام .. أن الله تعالى قد مَنَّ عليه بتسع آيات كريمات لاستخدامها فى قهر فرعون ونصرة بنى إسرائيل .. وكان من أعظم هذه الآيات .. شق البحر بعصا موسى عليه السلام .. ذلك لأنها كانت الجسر أو الكوبرى الآمن الذى عبروا من فوقه إلى أرض الأمان والاطمئنان إلى أرض مدين وأرض سيناء .

وفى المقابل العكسى .. فقد أغرق الله فرعون وجنوده ، بل وجعل بنى إسرائيل أنفسهم يشاهدون حادث هذا الغرق بأعينهم . عندما أصبح صباح جديد .. إذ أجمعت كل المصادر والتفاسير على أنهم عبروا ذلك البحر ليلاً بعد حادث الشق بالعصا الربانية . وذلك مصداقاً لقوله تعالى : ﴿ فَأَسْرِ بِعِبَادِي لَيْلًا (٢٣) ﴾ [الدخان]

هذه الرؤية تجلت فى بيان ومشاهدة جثة ذلك الفرعون وهى تطفو فوق سطح البحر بعدما عاد كما كان من قبل عبوره ، حتى يكون عبرة لبنى إسرائيل ولغيرهم من عباده العصاة !

وأمام هذه الآية الكريمة والعظيمة ، كان لا بد لبنى إسرائيل أن يسجدوا شكراً لله ليلاً ونهاراً ، كما كان يجب أن يصوموا كثيراً .. فيزداد إيمانهم ، وبالتالى يزدادون تقرباً لله تعالى .

ولكن للأسف فقد حدث العكس تماماً .. إذ قابلوا هذه النعمة بالرقص والطبول !! فقد ذكرت التوراة فى الإصحاح « الخامس عشر من سفر خروج» « حينئذ رنم موسى وبنو إسرائيل التسبيحة للرب ، وأخذت مريم أخت هارون الدف بيدها وخرجت جميع النساء وراءها بدفوف ورقص وأجابتهم مريم : « رنموا للرب فإنه قد تعظم ، الفرس وراكبه طرحهما فى البحر !!» .

وفى المقابل أراد موسى عليه السلام كما يؤكد ذلك الدكتور رشدى البدراوى .. أن يعطى قومه من بنى إسرائيل درساً فى ضرورة تقديم

الشكر لله الذى أنجاه وقومه ، فقرر أن ينزل ناحية الجبل الذى كلمه ربه عنده .. ليقدم إليه الشكر على تأييده له في معركته مع فرعون وجنوده إذ كان كل ما يطمع فيه هو الخروج ببنى إسرائيل من مصر والفرار من الفرعون .. أما أن يهلك الفرعون أيضاً فهذا ما لم يكن يخطر بباله ، إذن فهى نعمة كبيرة توجب الشكر .

كذلك فإن اتجاه موسى عليه السلام للذهاب مع قومه ناحية الجبل ، كان وحياً من الله سبحانه وتعالى لكى يتلقى الرسالة والشريعة إذ أن ما نزل منها لم يكن إلا تعليمات بسيطة أثناء وجودهم فى مصر(١) .

وكانت سيناء ـ تلك الأرض الطيبة التى نزل بها بنو إسرائيل ومنذ أقدم العصور ـ من أوفر مصادر الثروة لمصر .. ففيها مناجم الذهب والنحاس والأحجار الكريمة ، ولا تزال تلك المناجم باقية حتى الآن ، وإن كانت قد أصبحت فقيرة فى إنتاجها لكثرة ما سُلب منها . ولكنها ومنذ عصر الأسرات الأولى ٣٢٠٠ ق.م كانت زاخرة بالحياة حيث كان يقطنها عمال المناجم وأسرهم وبعض البدو ، وكانت الحاميات المصرية تتولى حمايتهم وحماية القوافل المارة هناك .



وبعد مسيرة يومين أو أكثر من بعد نجاح بنى إسرائيل من الإفلات من فرعون وجنوده عبر البحر الأحمر . مر هؤلاء القوم على جماعة من العمال المصريين المشتغلين فى المناجم وقد شاهدوهم يتعبدون للآلهة حتحور .

وما إن رأى بنو إسرائيل هؤلاء العمال يعكفون على هذه الآلهة من دون الله . فطلبوا من نبيهم موسى عليه السلام أن يجعل لهم إلهاً كما لهم آلهة !

ولقد دل هذا الطلب على حد قول الدكتور البدراوى على أنهم لم يتخلصوا من وثنيتهم القديمة التى مارسوها حتى وهم فوق أرض مصر .

كما أننا نلاحظ أن القرآن الكريم قد أشار تفصيلاً وجاءت فى أكثر من آية فى سورة البقرة هذه الحادثة المجرمة دينياً وأخلاقياً .

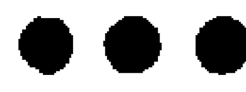
(١) من هو فرعون موسى .. قصص الأنبياء والتاريخ جزء (٤) . د. رشدى البدراوى .

ولم يكن أمام موسى عليه السلام من سبيل سوى أن يذكرهم بنعمة الله عليهم .. وفقاً لما ذكره القرآن الكريم وذلك فى قوله تعالى فى سورة المائدة : ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنبِيَاءَ وَجَعَلَكُم مُّلُوكًا وَآتَاكُم مَّا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِّنَ الْعَالَمِينَ (٢٠) ﴾ [المائدة]

وفى موضع آخر من القرآن الكريم قال الله تعالى فى سورة الأعراف مصوراً هذا العناد وهذا الكفر ، ومبيناً موقف نبى الله موسى عليه السلام : ﴿وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتَوْا عَلَىٰ قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَىٰ أَصْنَامٍ لَّهُمْ قَالُوا يَا مُوسَى اجْعَل لَّنَا إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ (١٣٨) إِنَّ هَٰؤُلَاءِ مُتَبَّرٌ مَّا هُمْ فِيهِ وَبَاطِلٌ مَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ (١٣٩) قَالَ أَغَيْرَ اللَّهِ أَبْغِيكُمْ إِلَٰهًا وَهُوَ فَضَّلَكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ (١٤٠) ﴾ [الأعراف]

وفى ذات السورة يذكرهم رب العالمين بأهم هذه النعم .. فى قوله تعالى : ﴿ وَإِذْ أَنجَيْنَاكُم مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يُقَتِّلُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَٰلِكُم بَلَاءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ (١٤١) ﴾ [الأعراف]

ويبدو أن هؤلاء القوم المجرمين ، لم يقبلوا تبرير موسى عليه السلام .. بضرورة أن يعبدوا الله العظيم كثيراً .. وأن يقدموا إليه المزيد من الشكر بالصلاة والصيام كما أمرهم . فقد أضمروا فى نفوسهم الخبيثة كل شرور الدنيا ، وبالتالى قرروا مع حليفهم الشيطان الاستمرار فى كفرهم وعنادهم ، والوقوف موقف المكابر من الله رب العالمين الذى خلقهم وهداهم ورزقهم من الطيبات .



ولقد بين لنا القرآن الكريم فى العديد من الآيات والسور الكريمة .. العشرات من المواقف التى تحدوا خلالها نبيهم موسى عليه السلام .. وبالتالى إظهار روح التحدى لله رب العالمين .

ومن بين هذه المواقف أنهم طلبوا من هذا النبى أن يوفر لهم الطعام الجيد والشراب الطيب وسط هذه الصحراء القاحلة !. وكأنما أرادوا بذلك أن يختبروا هذا النبى ، ومدى قربه أو بعده من الله تعالى !

بل وكانت هذه المطالب بمثابة ضغوط شديدة الوطأة على هذا النبى الكريم الذى كان يتصور أن يبادر هؤلاء القوم بالصبر والعزيمة حتى يأتى فرج الله تعالى ..

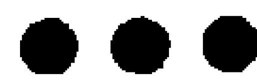
وكان كثيراً ما يسمع عباراتهم الملعونة .. بأنه عليه السلام قد أخرجهم من بلاد السمن والعسل واللحم وأتى بهم إلى الصحراء الجرداء .. لا لشىء إلا لكى يهلكهم !

ورغم هذا العناد وهذا الكفر ، وهذا التحدى .. استجاب الله لنداء ودعاء عبده ونبيه موسى عليه السلام .. فأنزل عليهم المن والسلوى .. وفجر لهم العيون بالمياه الحلوة الطيبة ، بل وظلل عليهم الغمام فوقهم .. حتى لا تصيبهم حرارة الشمس اللافحة فوق صحراء سيناء .

وكذلك نجد آثار هذه النعم فى كتبهم المقدسة ، خاصة التوراة التى ذكرت ذلك فى سفر الخروج الإصحاح (١٥ ، ٢٢) ، إلى جانب بوادر تذمر هؤلاء أيضاً .

ومما جاء فى هذه الأسفار القول : « ثم ارتحل موسى بإسرائيل ثلاثة أيام فى البرية ، ولم يجدوا ماء فجاءوا إلى مارة (المرأة بالعبرية) .. ولم يقدروا أن يشربوا ماء من مارة لأنه مر .. فتذمر الشعب على موسى قائلين : ماذا نشرب ؟ فصرخ إلى الرب ـ هكذا !! ـ فأراه الرب شجرة فطرحها فى الماء فصار الماء عذباً . هناك وضع له فريضة وحكماً وهناك امتحنه . فقال إن كنت تسمع لصوت الرب إلهك وتصنع الحق فى عينيه . وتصغى إلى وصاياه وتحفظ جميع فرائضه فمرضاً مما وضعته على المصريين لا أضع عليك فإنى أنا الرب شافيك » .

وفى تعليق لمفسرى أهل الكتاب على هذا الموقف قالوا : إن ذلك كان امتحاناً من الرب حتى يعلموا أن الله هو الذى سييسر لهم كل احتياجاتهم المادية بشرط إطاعة الله والثقة فيه وتأدية الفرائض التى فرضها ..



والسؤال الذى يطرح نفسه تعليقاً على هذا التفسير الجميل .. وهل قام

بنو إسرائيل باتباع هذه الفرائض والعمل بها ؟! إن الموقف السابق يجيب على ذات السؤال بالنفى القطعى .. الذى لا لبس فيه .



ويستمر مسلسل الضلال والتحدى السافر والسافل لله تعالى ولرسوله حتى من بعد هذه النعم الكثيرة . فبعد أن اطمأنوا للعيش الكريم والرعاية الإلهية غير المسبوقة لغيرهم من بنى البشر حيث فضلهم الله على العالمين ، حتى وسط هذه الصحراء القاحلة والجرداء .. عادوا لما كانوا عليه من الكفر والضلال ، والشرك بالله تعالى ..

وقصة عبادتهم للعجل من دون الله خير دليل على ذلك !، وهى قصة وقعت لبنى إسرائيل وهم لا يزالون يعيشون فوق أرض سيناء ، خاصة فى الفترة التى قد تغيب فيها موسى عليه السلام .. عندما ذهب لمناجاة رب العزة سبحانه طالباً لقومه من بنى إسرائيل المغفرة والإنابة ، وقد طلب من أخيه النبى الكريم هارون أن يستخلفه لحين عودته .

إنها قصة غريبة وعجيبة وتدل دلالة كبيرة على تأصل الكفر والشرك بالله داخل نفوس هؤلاء القوم المجرمين ، والوقوف على تفاصيلها لا شك سوف يوضح لنا ذلك وأكثر .

وتبدأ قصة عبادة العجل الذهبى من قبل بنى إسرائيل وفق ما جاء بالقرآن الكريم منذ أن أُمر موسى عليه السلام بالذهاب لميقات ربه ، وقد وعدهم هذا النبى الكريم وهو بمصر إن أهلك الله عدوهم أن يأتيهم بكتاب من عند الله فيه أحكام شريعتهم . فلما هلك فرعون سأل موسى ربه هذا الكتاب ، وقد بين لنا ذلك القرآن الكريم في قوله تعالى في سورة الأعراف .﴿ وَوَاعَدْنَا مُوسَىٰ ثَلاثِينَ لَيْلَةً وَأَتْمَمْنَاهَا بِعَشْرٍ فَتَمَّ مِيقَاتُ رَبِّهِ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً وَقَالَ مُوسَىٰ لأَخِيهِ هَارُونَ اخْلُفْنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ وَلا تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ (١٤٢) ﴾ [الأعراف]

وكان موسى عليه السلام قد أبلغ قومه وأخاه بأن مدة غيابه سوف تستغرق فقط ثلاثين يوماً هى مدة صيامه لله تعالى .. من أجل أن يتلقى

(١) اليهود وتذكرة ، قبل أن نفقد الذاكرة ـ د. رمضان حافظ .

الألواح والشريعة . ولكن عندما طُلب من موسى أن يتم هذه المدة بعشر ليال لتصبح أربعين ليلة تأخر موعد عودته .

وكان السامرى فى هذه الأثناء قد جمع كل حلى بنى إسرائيل التى كانوا قد استعاروها من المصريين قبيل الخروج . فصهرها وصنع لهم منها عجلاً له خوار . وقال لهم هذا إلهكم وإله موسى .

لقد قال موسى إنه ذاهب لملاقاة ربه ، ولكنه نسى ذلك الرب هنا ، وهو يقصد بذلك العجل الذى صنعه لهم من الذهب !!

والغريب كما يؤكد ذلك العديد من المفسرين ومن المؤرخين أن أناساً كثيرين من بنى إسرائيل قد فتنوا بهذا العجل ، بل وصدقوا قول ذلك السامرى بأنه إلاههم وإله موسى !! خاصة عندما تأخر موسى فزادت شكوكهم وظنوا أنه لن يعود ، وبالتالى أصبح البديل أمامهم أن يعبدوا ذلك العجل !!

ولكن الله تعالى قد أخبر نبيه موسى عليه السلام بما فعل ذلك السامرى من إضلالهم ، ويبدو ذلك بوضوح فى قوله تعالى : ﴿ قَالَ فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِن بَعْدِكَ وَأَضَلَّهُمُ السَّامِرِيُّ ﴿٨٥﴾ ﴾ [طه]

ومضمون هذه القصة وما كان عليه بنو إسرائيل من سرعة الارتداد عن الحق .. والشرك بالله يؤكد استعدادهم لارتكاب هذه الجريمة بين الحين والحين وقد مر علينا منذ قليل .. كيف طالبوا نبيهم موسى الذى أخرجهم من الظلمات إلى النور أن يبحث لهم عن إله ! وهاهم فى غيابه عليه السلام وفى وجود أخيه هارون .. ذلك النبى الحليم .. قد اتخذوا إلها من دون الله.

وحتى من بعد عودة موسى عليه السلام وازدياد غضبه على أخيه وقومه من هذا الفعل العظيم وتراجع بعض بنى إسرائيل عن هذه الوثنية ، ظلت الشكوك تملأ قلوبهم .. فى صيغة الشرك وفي عبادة غير الله .

ولقد بين الله لنا ذلك فى قوله تعالى : ﴿ وَأُشْرِبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ .. ﴿٩٣﴾ ﴾ [البقرة] ، وذلك كتعبير عن تمكن هذه العبادة فى قلوبهم وكأنما تغلغلت عبادته فى أجسامهم كما يتغلغل الماء فى الأعضاء البشرية بعد شربه !

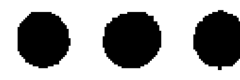
ليس هذا فقط ، بل ودأب بنو إسرائيل على تحميل مشاكلهم وآلامهم ومصائبهم وجرائمهم على الآخرين .. وكأنما هم قطعان من الغنم الذى لا يملك لنفسه خيراً ولا نفعا ، أو كأنما قد ألغوا عقولهم .. وباتوا بلا عقول تبصر أو تفكر !

ونظراً لعظم هذا الجرم وخطورته .. فقد كان الجزاء عظيماً أيضا .. حيث نُفى هذا السامرى من الأرض .. ورماه الله بداء عضال لا يكاد يمس أحداً أو يمسه إلا أصابه المرض ، فتحاشاه الناس وتحاشاهم .. وقد صار بين الناس على حد قول الإمام الألوسى فى تفسيره أوحش من القاتل اللاجىء إلى الحرم ومن الوحشى النافر فى البيداء .

وهام فى البرية لا يجد أحداً من الناس ، وكذلك كان مصير ذلك العجل أن أُحرق وألقى رماده فى البحر .

والغريب كما يذكر الدكتور رشدى البدراوى أن التوراة لم تذكر شيئاً عن ذلك السامرى ، وقد نسبت صنع العجل إلى هارون عليه السلام ! .. وهذا افتراء وكذب على الله وعلى رسوله . كما ذكرت التوراة فى سفر الخروج تفاصيل حادث إحراق العجل وذلك فى هذا القول : « ثم أخذ العجل الذى صنعوا وأحرقه بالنار وطحنه حتى صار ناعماً وذراه على وجه الماء وسقى بنى إسرائيل » .

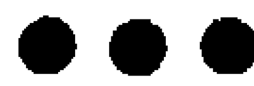
ولقد توعد الله تعالى فى كتابه العزيز هؤلاء الإسرائيليين الذين اتخذوا العجل من دون الله ، ففى سورة الأعراف قال تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ سَيَنَالُهُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَذِلَّةٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُفْتَرِينَ (١٥٢) ﴾ [الأعراف]



حقا يا ربنا إنهم قوم قد افتروا ولا يزال افتراءهم قائما .. ونحن فى انتظار عقابك الشديد الذى سوف ينزل عليهم نزول الصاعقة . كما توعدهم نبيهم موسى عليه السلام بقوله فى سورة البقرة : ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنفُسَكُم بِاتِّخَاذِكُمُ الْعِجْلَ فَتُوبُوا إِلَىٰ بَارِئِكُمْ فَاقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ عِندَ بَارِئِكُمْ ..(٥٤) ﴾ [البقرة]

ولقد أجمع المفسرون على أنه لم يؤمر كل واحد من عبدة العجل بأن يقتل نفسه بيده . بل قيل فقاموا وقتل بعضهم بعضا ، وقيل أيضا لقد وقف الذين عبدوا العجل صفا ودخل عليهم الذين لم يعبدوه بالسلاح فاستسلم لهم عبدة العجل فقتلوهم ، وسمى .. استسلامهم للقتل قتلاً لأنفسهم على سبيل المجاز(١) .

ويشير « القس إكرام لمعى » إلى المزيد من جرائم بنى إسرائيل ضد رب العالمين وافترائهم على ذاته العليا .. بقوله : وبعد خلاص الشعب من مصر تاهوا فى البرية فى سيناء لما يقرب من أربعين عاماً ، فيها عالهم الله وحفظهم ودبر لهم طعامهم ، فثيابهم لم تبل ، وأحذيتهم لم تتمزق ، ومع ذلك تمردوا كثيراً على موسى وعلى الله ، ومرات عديدة ندموا على خروجهم من مصر وقالوا لموسى : هل أخرجتنا من مصر لكى نموت فى البرية ؟!(٢) .



ولما عجز بنو إسرائيل عن تحدى إرادة الله تعالى ـ فيما يخص البحث عن شريك له جل جلاله ، أو البحث عن إله آخر ـ نسبوا إلى ذاته العليا الإنجاب والأولاد !! حيث لصقوا بجلاله العظيم أعمالاً وأفعالاً تدل دلالة واضحة عما فى نفوسهم من وضاعة وضحالة فكر ، واستهانة بذات الله العظيم الذى وفر لهم كل سبل العيش وفضلهم على العالمين . فقالوا إن عزيراً ابن الله ! . وهو ذلك الرجل الصالح الذى أراد رب العالمين أن يعلمه من لدنه علماً .. حتى يزداد إيمانه قوة .

وقد أماته الله مائة عام ثم أحياه .. لكى يجعل من قصته آية بينة على قدرة الله تعالى فى إحياء الموتى .. ولكى يتعظ منها قومه من بنى إسرائيل .

(١) من هو فرعون موسى ـ مصدر سابق .

(٢) الاختراق الصهيونى للمسيحية ـ القس إكرام لمعى .

وكان هذا العبد صالح صاحب حكمة وبصيرة كما كان مستجاب الدعوة ، ومن أخص خلق الله من بنى إسرائيل من الذين حفظوا التوراة كما نزلت على موسى عليه السلام . حتى أن التوراة نفسها قد ذكرت على لسان بنى إسرائيل أن هذا العبد الصالح هو صاحب الفضل الأكبر فى إعادة تجديد التوراة بعد ضياعها أيام بختنصر .

كما تحكى كذلك بأنه أثناء تجديده للتوراة نزل من السماء شهابان حتى دخلا جوفه !! الأمر الذى جعلهم يعتقدون فيه بأنه ابن الله .. ومنذ هذه اللحظة ادعوا كذباً أنه ابن الله !! وقد روجت لتلك الجريمة النكراء التوراة المزيفة فيما ذكرته عن ذلك العبد الصالح .

ويقول العلامة ابن كثير فيما ذكره فى كتابه عن قصص الأنبياء مصححاً هذا الافتراء : أن المشهور أن عزيراً نبى من أنبياء بنى إسرائيل وأنه كان فيما بين داود وسليمان . وبين زكريا ويحيى . وقد اعتبرته اليهود وفق ما جاء فى توراتهم المزورة أنه ابن الله .. وذلك لتجديده التوراة وقيامه بأمر بنى إسرائيل(١).

ويبدو أن اليهود قد أرادوا فيما بعد تجديد نفس القصة الملفقة بشأن إدعاد وجود أبناء لله تعالى .. فأعادوا صياغتها فى قصة رجل آخر وهو نبى الله عيسى عليه السلام . وقد بين لنا القرآن الكريم ذلك .. كما أن الله تعالى قد نسب هذا القول الخاطىء بشأن عيسى عليه السلام للنصارى .. الذين هم فى الأصل من بنى إسرائيل من الذين ادعوا الإيمان بعيسى عليه السلام كإله !.

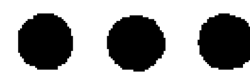
وللأسف الشديد ، فقد استمرت هذه الجناية قائمة إلى يومنا هذا . حيث لا يزال يردد الكثيرون من هؤلاء قول بنى إسرائيل بأن المسيح عليه السلام هو ابن الله .. تماماً كما أشاعوا من قبل أن عزيرا هو ابن الله ! وذلك قولهم بأفواههم .

وفى تفسير غير مقبول لأحد أحبار بنى إسرائيل وهو عبد الله بن سلام الذى سأله ابن عباس عن قول الله تعالى : ﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ (٣٠) ﴾ [التوبة]

---

(١) قصص الأنبياء ـ الحافظ ابن كثير ـ تحقيق محمد عبد الملك الزغبي ـ طبعة جديدة .

لم قالوا ذلك ؟! فذكر له ابن سلام ما كان فى كتب بنى إسرائيل خاصة فى التوراة ، وقول بنى إسرائيل : لم يستطع موسى أن يأتينا بالتوراة إلا فى كتاب . وإن عزيراً قد جاءنا بها من غير كتاب ، فرماه طوائف منهم - أى من بنى إسرائيل - وقالوا عزير ابن الله(١) .



ولما كشف الله زيف هؤلاء وضلالهم المبين وادعاءاتهم الكاذبة ، بما نسبوه ظلماً وافتراء فى حقه تعالى وبغير الحق .. استداروا لارتكاب المزيد من الجرائم عندما أشاعوا عن جلاله الكريم ، صفات لا تليق حتى بأحد من بنى البشر .. فما بالنا برب العالمين ، خالق البشر والكون كله .

ولعل من أكبر هذه الجرائم .. ما أشاعوه عن رب العزة بقولهم ﴿ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ .. (٦٤) ﴾ [المائدة] ، وأن الله فقير وهم الأغنياء .

أى سفه وأى تخريف هذا الذى يشيعونه عن رب العالمين وهذه المرة أيضاً قد فضحهم الله وأظهر جرائمهم ، بل وتوعدهم بالعذاب .

ففى سورة المائدة قال تعالى : ﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ .. (٦٤) ﴾ [المائدة]

ولم ينقطع سيل هذه الجرائم التى حاول اليهود إلصاقها برب العالمين .

فقد ملأوا توراتهم المزورة بالعشرات من العبارات السفيهة .. والتى حرص العديد من المؤرخين على جمعها والرد عليها .. ليس دفاعاً عن رب العالمين .. بل لبيان خطورة هذه الإشاعات المضللة وغير المعقولة والتى كتبها بنو إسرائيل عن رب العالمين فى كتبهم التى قالوا إنها كتب مقدسة !!

ومن بين هؤلاء الذين اجتهدوا فى ذلك الدكتور مصطفى محمود الذى يقدم لنا بعض جرائم اليهود فى حق رب العالمين .. فيذكر لنا عدة أمثلة على ذلك بقوله : « ولا ينجو موسى ولا رب موسى من التلطيخ .. فها هو موسى يتوسل إلى الرب حينما رآه غضبان لعودة قومه إلى عبادة

(١) المصدر السابق .

الأصنام : « لماذا يا رب يحمى غضبك على شعبك الذى أخرجته من أرض مصر بقوة عظيمة ويد شديدة .. لماذا يتكلم المصريون قائلين: أخرجهم إلاههم بخبث ليقتلهم فى الجبال ويفنيهم عن وجه الأرض . إرجع يا رب عن غضبك واندم عن الشر بشعبك» .. فندم الرب على الشر الذى قال إنه يفعله بشعبه !!(١) .

وفى تعليق للدكتور مصطفى على هذا القول السفيه يقول : لغة لا يمكن أن تصدر عن نبى يعرف مقام ربه ورأى منه الخوارق والمعجزات .. إنك تتعجب إنه رب فى حالة خطأ وندم طول التوراة وعرضها !!(٢) .

كما تصور التوراة هذا الرب فى صورة مادية ، فهو يحب رائحة الشواء التى تتصاعد من الأضاحى على المذبح ، مثال ما فى قولهم : « ويرش الكاهن الدم على مذبح الرب لدى باب خيمة الاجتماع ويوقد الشحم لرائحة سرور الرب » !!

كما نقرأ عن قرابين شتى يحبها الرب كما جاء فى سفر العدد .. فهى أطباق من فضة يزن الواحد منها مائة وثلاثين شاقلاً وصحوناً من ذهب الواحد منها يزن عشر شواقل ذهب .. وثيراناً وأبقاراً وأكباشاً ولحماً يشوى على المذبح ، وكل ذلك على حد قول الدكتور مصطفى محمود يحتفظ به الكهنة لأنفسهم ولا ذكر لأى نصيب يوزع على الفقراء .



ونظراً لتكرار هذه الافتراءات وهذه التفاهات التى أخذ يروجها اليهود داخل كتبهم المقدسة عن الله رب العالمين .. أخذ العديد من الباحثين ومن الدارسين والمؤرخين فى دراسة تلك الظاهرة .. للوقوف على نتائجها وتفاصيلها وأسبابها ..

ففى دراسة مصرية صدرت حديثاً عن رؤية اليهود وتوارتهم المزورة لله تعالى .. يقول الباحث يوسف محمود : « إن اليهود وكتاب التوراة قد قدموا عدة صور لذلك الإله كما قدموا وصفا دقيقاً لما اتخذه اليهود من تسميات خاصة اسم يهوه!. حيث ترسم له أسفار التوراة الخمسة له صورة حسية،

(١) سفر الخروج ـ الإصحاح الرابع والثلاثون .
(٢) التوراة ـ مصطفى محمود .

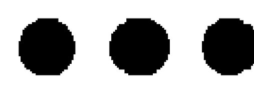
ومن هذه الصور قـولهم : « إنه كان يســير أمام جـماعة بنــى إسرائيل فى عمود سحاب» .

وتفصيل ذلك كما جاء فى سفر الخروج : « وارتحلوا من سكوت ونزلوا فى إيثام طرف البرية.. الرب يسير أمامهم نهـاراً فى عمود سحاب ليهديهم فى الطريق !. وليلاً فى عمود نار ليضىء لهم » .

وكذلك مـن أوصافه البـشرية مـا جاء فى التـوراة : « ثم صـعـد موسى وهارون وناداب وأبيهـو وسبعـون من شيوخ إسـرائيل ورأوا إله إسرائيل وتحت رجليه شبـه صنعة من العقيق الأزرق الشفاف ، وكـذلك السماء فى النقاوة ولكنه لم يمد يده إلى أشراف إسرائيل » !!

وتضيف هذه الدراسة : أن يهوه ليس عالماً بل يطلب من بنى إسرائيل أن يرشدوه ، فقد قرر حينما كان بنو إسرائيل فى مصر أن يجتاز أرض مصر هذه الليلة ويضرب كل شبر فى أرض مصـر من الناس والبهائم ، كما جاء فى سفر الخروج الإصحاح الثانى عشر !

ولكن يهوه لا يريد أن تنزل ضرباته ببـنى إسرائيل .. ولذلك فإنه يطلب منهم أن يميزوا بيـوتهم بدماء الكباش على القوائم وعتبـة البيوت العليا ، . كما ذكر ذلك أيضا سفر الخروج فى الإصحاح الثانى عشر .

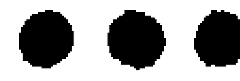


ومن صور القسوة والوحشية التى تنسبها التوراة إلى يهوه ، قصة ذلك الحوار الذى ورد فى الإصـحاح الخامس عشـر من سفر صـموئيل الأول ، فقد كان الرب قـد طالب شاءول بجيش كبير وحاصـرهم وانتصر عليهم ، وقبض على ملكهم « أجـاج » وأهلك الشعب كله ودمر ممتلكاته ! واسـتبقى جيـد الغنم والبقر ليـقدم ذبيحـة للرب ، ولكن يهوه غـضب من ذلك القول وقال : اسـتمع كلام الـرب أفضل من الذبيحـة ، والطاعة أفـضل من شحم الكباش !!

وهناك صفات أخرى تـضيفها التوراة على يهوه فـهى تصور موسى ذا سلطان عليـه ، ينصحه فـينتصح ، بل ويتخـذ موسى موقـف المرشد المعلم

وهو ينصحه ، فمن ذلك أن يهوه غضب على بنى إسرائيل وقال لموسى : اتركنى ليحمى غضبى عليهم وأفنيهم فراجعه موسى وقال له : ارجع عن حمو غضبك واندم على الشر أن توقعه بشعبك ، ماذا يقول عنك الناس إذا سمعوا بفعلتك ، فندم الرب على الشر الذى قال إنه يفعله بشعبه !!!!

وتختتم الدراسة هذه التعليقات المسفة فى حق رب العالمين .. بالقول : « شتان أن نقارن ما يتوعد به هذا الرب شعبه إن أهملوا بعض ما أوصى به ، والحساب الذى قرره إله المسلمين الغفور الرحيم الذى تحمل آيات القرآن الكريم اتجاهاته حيث قال رب العزة :﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ (١٣) ﴾(1) [الحجرات].



وفى دراسة أخرى عن نفس الموضوع يناقش الدكتور أحمد شلبى عقيدة بنى إسرائيل فيما يخص علاقتهم برب العالمين مؤكداً فى هذا السياق على أن بنى إسرائيل قد أهملوا المصدر الحقيقى للعقيدة وهى السماء ، وانساقوا خلف مصادر أخرى ، وبالتالى فهم لم يستطيعوا فى أى فترة من الفترات الخاصة بتاريخهم أن يستقروا على عبادة الله الواحد الذى دعا له الأنبياء ، وكان اتجاههم فى هذا السبيل إلى التجسيم والتعدد والنفعية واضحاً فى جميع مراحل تاريخهم ، وعلى الرغم من ارتباط وجودهم بإبراهيم عليه السلام إلا أن البدائية الدينية كانت طابعهم ، وتعدد كثرة أنبيائهم دليل على تجدد الشرك فيهم ، وبالتالى تجدد الحاجة إلى أنبياء يجددون الدعوة إلى التوحيد(2) .

وفى لقطة أخرى على جانب كبير من الأهمية بخصوص هذه الدراسة .. يبين لنا الدكتور أحمد شلبى كل ما يتعلق بإله اليهود الذى أطلقوا عليه لفظ يهوه ! بدلاً من لفظ الرب الذى كثيراً ما نجده فى بعض إصحاحات

---

(١) إسرائيل البداية والنهاية ـ مصدر سابق .

(٢) مقارنة الأديان ـ اليهودية ـ د. أحمد شلبى .

التوراة.. وهو يورد لنا فى هذا السياق قول عباس محمود العقاد الذى ذكر أن اسم يهوه لا يعرف اشتقاقه على وجه التحقيق ! ، وإنما من المتعارف عليه أن معناها الإله أو السيد ! .. وإذا كان للإله أسماء مختلفة باختلاف اللغات ، فهل « يهوه » هو اسم الإله عند اليهود ؟!

وفى رده على ذات السؤال ، ينفى الدكتور أحمد شلبى ذلك ، لأن الصفات التى ذكرها اليهود ليهوه تبعده كل البعد عما يتصف به الإله عند أى جماعة من جماعات المتدينين ، وتجعله هذه الصفات لا مرشداً هادياً ، وإنما تجعله يمثل انعكاساً لصفاتهم واتجاهاتهم ، وجرائمهم المتنوعة .

ويؤكد الدكتور أحمد شلبى أن هناك ثلاث مراحل رئيسية مرت بها عبادة يهوه بالنسبة لبنى إسرائيل هى : عبادته قبل بناء الهيكل وعبادته فى الهيكل وعبادته بعد تدمير الهيكل !

وقد ظهر من خلال تتبع واع لهذه المراحل الثلاث مدى عنصرية ديانة بنى إسرائيل وفق ما ألصقوه من صفات لا تليق أبداً برب الأرباب رب العالمين الذى يسجد له كل من فى السموات والأرض !

ويختتم الدكتور أحمد شلبى رؤيته الخاصة عن ديانة بنى إسرائيل ونظرتهم المجرمة تجاه الإله الواحد الأحد .. بقوله : إن مسألة الألوهية كلها ، سواء اتجهت للوحدانية أو للتعدد ، لم تكن عميقة الجذور فى نفوس بنى إسرائيل . فقد كانت المادية والتطلع إلى أسلوب نفعى فى الحياة من أكثر ما يشغلهم .

الفصل الثانى

وقتلهم الأنبيـاء بغيـر الحـق

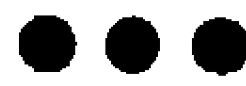
فى سورة البقـرة .. وفى الجزء الأخير من الآية الحادية والسـتين .. قال الله تعالى واصـفاً اليهـود وبنى إسرائيل : ﴿ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ الْحَقِّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوا وَّكَانُوا يَعْتَدُونَ (٦١) ﴾ [البقرة].

وفى تفسير لطيف للإمام الشيخ الدكتور محمد سيد طنطاوى يقول فيه : الذلة المراد بها الصـغار والهوان والحقارة ، والمسكنة مـأخوذة من السكون ومنها أخذ لفظ المسكين ، لأن الهم قد أثقله فجعله قليل الحركة والنهوض .

وهناك فرق كـبير بين الذلة والمسكنة ، إن الذلة هوأن تجىء أسـبابه من الخارج .. أما المسكنة فهو أن ينشـأ من داخل النفس نتيجة بُعدها عن الحق واستيلاء المطامع والشهوات عليها(١) .

ولقد سـبق لنا أن عرفـنا الشىء اليسـير تفصـيلاً عن أهم الجـرائم التى ارتكبـها بنو إسـرائيل فى حق الله تعـالى .. من خـلال أفعـالهم المجرمـة .. وقلنا.. إننا قـد أعطينا فـقط نماذج لهـذه الجرائم المتـعـددة .. فهى كـثيـرة ومتعددة ومستمرة !

وفى هذا الفصـل الجديد نحدثكم أكـثر عن نوع آخـر من هذه الجرائم .. وهى قـتلهم للأنبيـاء بغـير الحق .. كـما أنبـأنا بذلك القـرآن الكريم . وهى جريمة لا تقل خطورة عن الجرائم السابقة ..



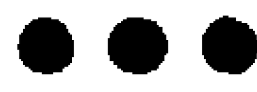
(١) التفسير الوسيط للقرآن الكريم ـ د. محمد سيد طنطاوى – مصدر سابق .

وقتل الأنبياء وفق التعبير القرآنى العظيم ووفق مجريات تاريخ اليهود وبنى إسرائيل ينقسم فى تصورنا إلى نوعين : قتل معنوى ، وقتل مادى !

القتل المعنوى المقصود به هو التقول على هؤلاء الأنبياء الأصفياء الأخيار من عباد الله الصالحين ، وإلصاق التهم بالباطل ضدهم وضد رسالاتهم السماوية .

وقد نال الكثير من أنبياء بنى إسرائيل وغيرهم العديد من هذه الجرائم المعنوية التى سوف نوضحها تباعاً .

أما القتل المادى .. فهو إزهاق الأرواح والتخلص الشرير من وجودهم بيننا وقد ذاق فريق كبير من أنبياء بنى إسرائيل من هول هذه الجريمة .. على طول تاريخهم ، خاصة فى الفترة التى أعقبت رحيل نبيهم الكريم موسى عليه السلام .



ويحدثنا التاريخ وكذلك التوراة وبعض آيات القرآن الكريم عن هؤلاء الأنبياء الذين نالهم هذا الأذى المعنوى من بنى إسرائيل فى أشخاصهم ورسالاتهم وأدوارهم وأهليهم وتاريخهم . ومن هؤلاء الأنبياء والرسل كل من إسحاق ويعقوب ويوسف وموسى وهارون وداود وسليمان . وهم وفق تعبير القرآن الكريم من أصفياء عباد الله وأخلصهم عبادة لرب العالمين، وقد ذكرهم الله كثيراً فى مواضع عديدة من كتابه العزيز ، وأحسن إليهم ووصفهم بصفات حسنة طيبة ، خلافاً لما جاء فى كتابات اليهود وبنى إسرائيل عن هؤلاء القوم الصالحين .

ومما يثير الدهشة أن هؤلاء الأنبياء كانوا من قوم بنى إسرائيل أنفسهم ، وكذلك لم يسلم من تلك الجرائم المعنوية .. بعض الأنبياء من غير بنى إسرائيل مثل لوط وكل من عيسى ومحمد عليهم السلام .. خاصة عيسى ابن مريم عليه السلام الذى ناله وأمه الأذى الكثير .. بل وتعداه من الجانب المعنوى إلى الجانب المادى أيضاً .

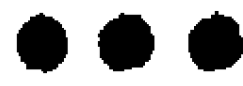
ولا شك أن تناول سيرة هؤلاء الأنبياء بالتفصيل وفق ما جاء بالكتب

المقدسة وكتب التفاسير والتاريخ الدينى سوف يوضح لنا ذلك بشكل كبير .

ولقد رأينا من الضرورى أن نبين أن الحديث عن إيذاء الأنبياء من قبل بنى إسرائيل .. سوف نقسمه إلى قسمين : الأول نتحدث فيه عن قتل الأنبياء معنوياً بإلصاق التهم الباطلة والظالمة لهم سواء فى حياتهم أو من بعد رحيلهم .. وفى هذا القسم أيضاً سوف يكون لنا وقفة قد تطول أو تقصر حين الحديث عن هؤلاء الأنبياء . إذ لابد من الإشارة إلى ما طال أنبياء بنى إسرائيل من هذه الجرائم المعنوية .. ثم نتتبع ذلك بما طال زملاءهم من أنبياء الله من غير بنى إسرائيل .

وفى القسم الثانى .. سوف نتناول بالحديث .. أشهر جرائم بنى إسرائيل المرتبطة بقتل هؤلاء الأنبياء مادياً .

وهو تقسيم رأينا أنه سوف يساهم كثيرا فى بيان تفاصيل ذلك السجل الأسود لجرائم بنى إسرائيل والمدون فى التاريخ وفى كتب الأديان السماوية الثلاثة .



أما بالنسبة لحديث جرائم القتل المعنوى فى حق أنبياء الله تعالى فقد سبق أن ذكرنا إجمالاً .. أن من أشهر أنبياء بنى إسرائيل من الذين أصابهم هذا الجرم الخطير وعددهم ستة أنبياء هم بالترتيب : يعقوب ويوسف وموسى وهارون وداود وسليمان عليهم السلام أجمعين .

يعقوب عليه السلام :

رغبة ملحة قد ملكت علىّ نفسى وقلمى .. بضرورة أن نلقى بعض الأضواء المبهرة على حياة هؤلاء الأنبياء من الذين شملهم الجرم الإسرائيلى فى التقول عليهم بغير الحق .. وذلك رد جميل على ما قام به هؤلاء الأنبياء والرسل الذين كانت مهمتهم الرئيسية هداية الناس لوحدانية الله .. وكذلك لبيان خطأ بنى إسرائيل من الذين سمحوا لأنفسهم بالحديث غير اللائق والمجرم ضدهم .

ونبدأ هذه الرحلة المباركة بالحديث عن نبى الله يعقوب عليه السلام .. الذى يكفيه ويكفى قومه من بنى إسرائيل شرفاً أنه حفيد خليل الرحمن إبراهيم عليه السلام .. وأبو الأنبياء والمرسلين . كما يكفى هؤلاء القوم الظالمين شرفاً آخر .. انتسابهم لهذا النبى الكريم الذين حملوا اسمه « إسرائيل » الذى اختاره له رب العالمين .. من بعد اسم يعقوب .

كما يكفى هذا النبى شرفاً ثالثاً أن ذكره القرآن الكريم فى محكم آياته .. وفى قوله تعالى فى سورة هود ﴿ فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ وَمِن وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ (٧١) ﴾ [هود]

ويقول أحمد بهجت عن هذا النبى ، لقد ذكر الله تعالى ثلاثة أجزاء من قصته : بشارة ميلاده ، وقد بشر الملائكة به إبراهيم جده ، وسارة جدته ، أيضاً ذكره الله تعالى عند الحديث عن وصيته عند وفاته . وكذلك ذكره الله بغير إشارة لاسمه فى قصة يوسف عليه السلام(١) .

ومما لاحظناه فى قصة يعقوب عليه السلام أن هناك شبه ارتباط بين سيرة حياته وحياة كل من أبيه إسحاق وجده إبراهيم عليهما السلام ، مما يدل دلالة واضحة على عظم مكانة هذا النبى .

وتحكى لنا التوراة فى سفر التكوين الإصحاح الخامس والعشرين حكاية ولادة هذا النبى الكريم فى هذا القول : « وكان إسحاق ابن أربعين سنة لما اتخذ لنفسه زوجة هى رفقة بنت بتوئيل من فدان آرام ، وصلى إسحاق إلى الرب لأجل امرأته فإنها كانت عاقراً ، فاستجاب له الرب ، فحبلت رفقة امرأته .. وتزاحم الولدان فى بطنها فقالت : إن كان هكذا فلماذا أنا ، فمضت تسأل الرب فقال لها الرب : فى بطنك أمتان. ومن أحشائك يفترق شعبان .. شعب يقوى على شعب وكبير يستعبد صغير ، فلما أكملت أيامها لتلد .. إذا فى بطنها توأمان . فخرج الأول أحمر كله كفروة شعر .. فدعوا اسمه عيسو .. وبعد ذلك خرج أخوه ويده قابضة بعقب عيسو . فدعى اسمه يعقوب .. وكان إسحاق ابن ستين سنة لما ولدتهما » .

---

(١) أنبياء الله ـ أحمد بهجت . الطبعة ٢٢ .

إذن هذا النبى الكريم يعـقوب عليـه السلام .. هو نبى مـن سلالة أنبـياء عظام كرمهم الله .. وقربهم إليه .. ولذلك كان يجب على بنى إسرائيل الذين انتسـبوا إليه .. أن يتحـدثوا عنه بأدب واحترام وتوقـير .. ولكن للأسف .. بعدما تحدثت التوراة عن ظروف مـولده عليه السلام . بدأت حرب الكلمات ضده .. كما بدأت الإشاعات التى أطلقها بنو إسرائيل عليه تلاحقه منذ فجر التاريخ وحتى الآن ..

وللأسف ، فقـد نقلها عن عـمد أو غيـر عمـد العديد من المؤرخـين حتى المسلمين منهم وبدون تحرى دقتها أو مناقشتها ! وعندما نقرأ ما قالوه عن هذا النبى الكريم فى كتبهم سوف نشـعر بفداحة هذه الجريمة التى لا تزال أركانها قائمة إلى الآن وبدون هدم أو دفاع !!

ففى الإصحاح الخامس والعشرين من سـفر التكوين ذكر أن عيسو نشأ عارفاً بالصيد برياً ونشـأ يعقوب رجلاً سلمياً مقيـماً بالخيام ، وأن إسحق أحب عيســو ، ورفقة أمهما أحـبت يعقوب ، وأن يعقوب طبخ طبيـخاً وقدم عيســو من الصحراء تعباً فطلب من أخـيه أن يطعمه فـأبى إلا مقابل تنازله عن حق بكوريتـه ، فقـال عـيسـو أنا صائر إلى المـوت فمـالى والبكورية ، فتنازل ليعقوب عنها وحلف له على ذلك فأطعمه .

ودليل آخر مهم يؤكد كذب هؤلاء القـوم الفاسقين .. أن القرآن الكريم .. آخر الكتب السـماوية قد برأ هذا النبى ووالده ، بل وأشـاد بهما كثـيراً فى العديد من الآيات الكريمات والسور القرآنية .

ويوضـح لنا هذه المكانة الطيبـة لهذا النبى الكريم الاستاذ الدكتور مـحمد سيـد طنطاوى شيخ الأزهر الذى يقول : إن مـظاهر احتفـال القرآن الكريم بالنبى يعقوب عليه السلام قد تجلت فى أن ذكره الله فى القرآن الكريم ست عشرة مرة، مثل قوله تعالى فى سورة ص : ﴿ وَاذْكُرْ عِبَادَنَا إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ أُوْلِي الأَيْدِي وَالأَبْصَارِ (٤٥) ﴾ [ص]

كـما أطلق القـرآن الكريم على هذا النبى اسم إسـرائيل .. وقد جـاء ذلك مرتين: إحداهما فى قوله تعالى : ﴿ كُلُّ الطَّعَامِ كَانَ حِلاًّ لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ إِلاَّ مَا حَرَّمَ

إِسْرَائِيلُ عَلَىٰ نَفْسِهِ مِن قَبْلِ أَن تُنَزَّلَ التَّوْرَاةُ قُلْ فَأْتُوا بِالتَّوْرَاةِ فَاتْلُوهَا إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ (٩٣) ﴾ [آل عمران]
والثانية في قوله تعالى : ﴿ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ مِن ذُرِّيَّةِ آدَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِن ذُرِّيَّةِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْرَائِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَاجْتَبَيْنَا .. (٥٨) ﴾ [مريم] .

وفى تعليق مهم كتبه محمد عزة دروزة عما أشاعه بنو إسرائيل عن يعقوب قال فيه : قد تكون القصة صحيحة أو لا تكون وقد يلمح فيها أثر تمييز يعقوب على عيسو وحرمان هذا من إرث إسحاق وهى الفكرة الكامنة فى مزاعم الاختصاص التى كان وظل بنو إسرائيل وبنو يعقوب الذى كان إسرائيل اسمه الثانى يزعمونها لأنفسهم .

ويضيف : وعلى أى حال ففيها صورة عجيبة للأنانية القاسية وأثرها حتى فى أخ إزاء أخيه .

ولقد كان يبدو تسجيلها ذا أثر عجيب فى بنى إسرائيل إلى درجة أن صار المكر والاحتيال والكذب والخداع وسيلتهم المفضلة فى كل وقت، إلى اغتصاب حقوق الناس وتسخيرهم ما استطاعوا إلى ذلك سبيلاً ، وأن يصبح خُلقا راسخاً من أخلاقهم يتوارثه الأبناء من الآباء دهراً بعد دهر ، ويتأثر به كذلك الذين يعتنقون اليهودية من غير بنى إسرائيل(١) .

ليس هذا فقط ، بل وتستمر التوراة فى الافتراء على نبى الله يعقوب ففى الإصحاح السابع والعشرين قصة طلب إسحاق من عيسو أن يصنع له طعاماً من صيده لتباركه نفسه وتحريض رفقة زوجته ليعقوب عليه السلام بأن يصنع ذلك وأن يتقدم لأبيه ليأخذ بركته بدلاً من أخيه ، وقد كست يديه وملامسة عنقه بجلد من المعز ليكون ملمسه ملمس عيسو ، وتقدم لأبيه باسم عيسو وقدم إليه الطعام الذى صنعه ، وكان إسحاق قد عُمى !! فرأى ملمسه ملمس عيسو مع أن صوته صوت يعقوب . ومع ذلك باركه قائلا : « يعطيك الله من ندى السماء ومن دسم الأرض ويكثر لك الحنطة

(١) تاريخ بنى إسرائيل من أسفارهم ـ مصدر سابق .

والخمر وتخدمك الأمم وتسجد لك القبائل وتكون سيداً لإخوتك ويسجد لك بنو أمك ويكون لاعنك ملعوناً ومباركك مباركاً » .

وجاء عيسو بعد ذلك بالطعام الذى صنعه من صيده لأبيه وحينئذ أدرك إسحاق الخديعة فارتعش ارتعاشاً شديداً ولكنه قال له: قد جعلته سيداً لك ورفعت إليه جميع إخوته عبيداً وبالحنطة والخمر .. أمددته فماذا أصنع لك ، ثم قال له لما بكى : بمعزل عن دسم الأرض يكون مسكنك وعن ظل السماء من العلو وبسيفك تعيش وأخاك تخدم وتكسر نيره عن عنقك إذا قويت .

وقد أثارت هذه الخديعة حقد عيسو وأضمر الشر لأخيه مما جعل أمه تهربه إلى ديار خاله «لابان» فى حاران ليقيم بها مدة حتى يزول غضب أخيه عليه !!!

ونحن نضم صوتنا لهذا الصوت الحق الذى أطلقه الباحث « محمد عزة دروزة » حين قال : وفى القصة تكرار للصورة العجيبة من الأنانية وأثرها فى يعقوب إزاء أخيه عيسو ، وعجيبة اشتراك أم عيسو فى مؤامرة ضد ابنها ، وإن كان يمكن أن يعزى ذلك إلى كراهيتها لزوجها .

ثم عجيبة انخداع إسحاق وإصراره على حرمان عيسو وتفضيل يعقوب بعد أن عرف بخديعة يعقوب له !

ثم نضيف إلى ذلك : وعجيب أيضاً أمر هذه الأمة التى تسفه أنبياءها وتتهم هؤلاء بالخداع والفسق والغدر والمؤامرات .. وإن دل ذلك على شىء فإنما يدل على تأصل جرائم الشائعات فى دمائهم منذ أن خلقهم الله .. وإلا فكيف يرضون هذه الأقاويل الباطلة عن أنبياء الله المكرمين .

والأكثر أهمية من ذلك .. أن القرآن الكريم لم يذكر شيئاً عن هذا المدعو عيسو .. أو العيص ، وذلك فى سياق حديثه عن ذرية إبراهيم وإسحاق .. مما يعنى أنه شخصية غير موجودة .. أو شخصية أضيفت فى تراث اليهودية .. وقد نقلوها للأسف كشخصية محورية لإدانة يعقوب عليه السلام بالخداع والاحتيال . فيا لهم من قوم سوف ينتقم الله منهم كثيراً بما فعلت أيديهم وما نطقت به ألسنتهم .

يوسف عليه السلام :

ورداً على افتـراءات بنى إسرائيل التى طالت بقـوة نبى الله يوسف عليه السـلام ، والذى أتى بهم إلى مصـر ، فقـد أشـار إليه رب العـالمين بتكريم خـاص فى كتـابه العـزيز .. حيث خـصص سورة بـاسمـه .. كشـفت كل افتراءات وادعاءات اليهود ضده عليه السلام .

وكمـا نعرف وفق مـا ذكرته كتـب التاريخ فإن هذا النـبى هو أحد أولاد النبى يعقوب عليـه السلام من زوجته « راحيل » وأخاه الصغـير بنيامين . ونظراً لأن والده قد خصه بحب ورعاية زائـدة لظروف تعرضه لحال اليتم مبكراً هو وأخوه الصغـير بنيامين .. إضافة إلى ما كـان يتمتع به من ذكاء وجمال مبكرين .. ونبـوغ غير مسبوق بين أخوته ! فقـد تآمروا عليه لقتله أو إبعاده عن والده .. أملا فى الفوز برعايته وحبه بدلاً من أخيهم !

وقـد هانت عليهم حـيـاته .. عندما وافـقـوا بعد إلحـاح أحد إخـوته بألا يقتلوه..بل فقط يضعونه فى بئر عميقة لكى يموت فى ظلمات باطن الأرض!!

ولكن تجلت مـشيـئة الله تعـالى ، والذى بيـده كل شـىء .. أن تكون هذه الجـريمة مـفتـاح خيـر ليـوسف عليه السـلام .. بل لقـومه ولإخـوته من بنى إسـرائيل .

وسورة يوسف مليئة بالعـبر والحكم والآيات البينات التى ترد كلها على مكر وخداع وجرائم بنى إسرائيل ، مـصداقاً لقوله تعالى :﴿ وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰ أَمْرِهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢١﴾ ﴾ [يوسف]

وحتى من بعد نجاة يوسف عليه السلام .. ودوره العظيم فى إمداد أهله بالطعـام وقت الجـفاف والمجـاعـة التى ضـربت أرض كنعان حـيث كـانوا يقيـمون آنذاك مع أبيـه يعقوب علـيه السلام ، اتهـموه بالسـرقة وذلك فى قـولهم وفق ما جـاء بالقـرآن الكريم ﴿ قَالُوا إِن يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَّهُ مِن قَبْلُ .. ﴿٧٧﴾ ﴾ [يوسف]

وقد تحمل هذا النبى الكريم هذه الإهانة التى تعرض لها وهو يجلس على

عــرش مصــر .. وقــد عبــر القــرآن الكريم أيضــاً عن هذا الموقف في قــوله تعالى : ﴿ فَأَسَرَّهَا يُوسُفُ فِي نَفْسِهِ وَلَمْ يُبْدِهَا لَهُمْ قَالَ أَنتُمْ شَرٌّ مَّكَانًا وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَصِفُونَ ﴿٧٧﴾ ﴾(١) [يوسف] .

وبالعودة إلــى نصوص التوراة .. للبــحث عن جرائم هؤلاء القــوم فيــما يخص الافــتراء على يوســف عليه الســلام .. لاحظنا أن هذه الجــريمة قــد اختلفــت .. حيث زادوا فيــها وأضــافوا إليهــا الشــىء الكثيــر خلافــاً لما جاء بالقرآن الكــريم ، وما ذكره رســول الله ﷺ فى بعض الأحاديث الشــريفة ، وهو ما ســوف نرجىء الحديث عنه لحــين الوصول إلى مــحطة الكلام عن تزويرهم الكتب المقدسة فى الفصل القادم إن شاء الله .

موسى وهارون :

لا جدال فى أن نبى الله موسى عليه الســلام .. هو صاحب الفضل الكبير وبتوجيــه من الله العلى القدير .. فى رفع شأن هذه الأمــة التى كانت تنسب حتى قبيل بعثته إلى نبى الله يعقوب والملقب بإسرائيل .

هذه الرفعــة كانت ولا تزال مــصدرها الرئيــسى تلك الرسالة الســماوية الأولى . والمســماة بالرســالة اليهــودية أو الموسوية .. وهى أولــى رسالات التوحــيد المرتبطة بنزول أول الكتب المقــدسة .. ألا وهو التــوراة الصحيــحة والمعروفة باسم الألواح .

وموســى عليه الســلام وفق ما جــاء فى كل كتب التــاريخ تقريبــاً .. هو موسى بن عمــران بن قاهث بن لاوى بن يعقوب عليــه السلام . إذا هو نبى من سلالة أنبيــاء . ولذلك كان يجب على بنى إسرائيل إضافــة إلى ما سبق قوله أن يوقروا ويعظموا هذا النبى الكريم .

وكذلك كــان لابد من أن يشكروا الله على نعــمته الجليلــة فى صورة هذا النبى وما أتى به من تعــاليم دينية نسبتهم إليــها .. وأصبحوا يعــرفون بها حتى اليوم .

ولكن للأسف فإن ما حدث هو العكس .. شأنهم فى ذلك شأن محاربتهم

(١) القصة فى القرآن الكريم ـ د. محمد سيد طنطاوى .

وقتلهم الأنبياء باللسان السليط .. وبالأفعال المجرمة والمحرمة .. دينياً ودنيوياً .

ولقد احتفل القرآن الكريم بموسى عليه السلام فى الكثير من السور والآيات الكريمة .. ويكفيه فخراً أنه أول نبى مرسل من قبل رب العالمين يحظى بشرف الحديث مع الله .. حتى ولو كان ذلك من وراء حجاب ، كما كان هو وأخوه هارون من أنبياء الله الذين اصطفاهم برحمته وبتكليفاته .

ومما لاحظناه فى تتبع قصة كل من موسى وهارون خاصة فى القرآن الكريم ، أن هناك نوعاً من التلازم فى كثير من أحداث قصتهما مع بنى إسرائيل وفرعون ، وذلك منذ أن طلب موسى عليه السلام من رب العالمين أن يجعل من أخيه هارون وزيراً له ومساعداً له فى رسالته .

وكما تذكر قصة بنى إسرائيل مع موسى عليه السلام ، فإن هارون قد شهد جزءاً كبيراً منها .. خاصة فى فترة غيابه لتلقى الوحى ، كما شهد فى هذه الفترة موقف بنى إسرائيل من واقعة عبادة العجل الذهبى .

ومن هنا كان هارون - وعلى وجه الخصوص - يعتبر أكثر من أخيه موسى مرتبطاً بالاتهامات الباطلة والتى اخترعها بنو إسرائيل فى كتاباتهم المشوهة خاصة فى التوراة .

ولقد رأينا من قبل إفساح المجال لأحاديث بنى إسرائيل المشوهة عن هذين النبيين الكريمين كدأبهم مع من سبقهما من الأنبياء . ضرورة أن نبين موقعهما المتميز عند الله .. من خلال ما جاء بالقرآن الكريم حتى ولو على سبيل الإجمال . وإن دل ذلك على شىء فإنما يدل على هذا الفارق الشاسع بين نظرة الإسلام للأنبياء ونظرة اليهود من بنى إسرائيل .

ولسوف يتضح ذلك الفارق أكثر حين نطلعكم على بعض ما جاء من تخريفات وتشوهات كلامية عن هذين النبيين فى التوراة !!

وفى سياق الحديث الطيب عنهما يقول الإمام الدكتور محمد سيد طنطاوى شيخ الجامع الأزهر « إن قصة موسى وهارون عليهما السلام وما حدث بينهما وبين فرعون وبين قومهما من بنى إسرائيل تعد على

رأس القصص التى تكرر الحديث عنها فى القرآن الكريم فى أكثر من عشرين سورة ، تارة بصورة منفصلة وتارة بصورة مختصرة .

إلى جانب ذلك يوجد فى سورة القصص أكثر من أربعين آية تحدثت عن الظروف التى ولد خلالها موسى عليه السلام وعما فعلته أمه بعد مولده ، وعن حاله بعد أن بلغ أشده واستوى ، وعن هجرته إلى أرض مدين ، وعن تشريفه بالنبوة وهو فى طريقه من أرض مدين إلى مصر ، وعن دعوته فرعون وقومه إلى إخلاص العبادة لله الواحد القهار»(١) .

كما صور لنا القرآن الكريم فى كلمات بليغة الحالة النفسية التى كان عليها موسى عليه السلام .. وجعلته يطلب من الله أن يستعين بأخيه هارون .. وقد استجاب الله لدعوته ، وذلك فى قوله تعالى فى سورة القصص : ﴿ قَالَ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ وَنَجْعَلُ لَكُمَا سُلْطَانًا فَلَا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا .. (٣٥) ﴾ [القصص]

وفى سورة طه فى قوله تعالى : ﴿ اذْهَبْ أَنتَ وَأَخُوكَ بِآيَاتِي وَلَا تَنِيَا فِي ذِكْرِي (٤٢) اذْهَبَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ (٤٣) ﴾ [طه] .

وهذا يعنى أن هارون عليه السلام نبى شارك أخاه فى رسالته .. لأجل الدعوة للإخلاص للعبادة وإخراج بنى إسرائيل من مصر ، وهدايتهم إلى الطريق القويم .. ولكن هل اهتدوا ؟! وهل نفذوا ما جاءهم به كل من موسى وهارون من رب العالمين ؟!

والإجابة القاطعة طبعاً .. ستكون بالنفى .. بل للأسف كان جزاء هذين النبيين أن أصابهما من جرائم وشائعات هؤلاء القوم الظالمين الشىء الكثير وهذا يتجلى بوضوح فى الرجوع إلى ما دونوه فى نصوص التوراة التى أنزلت من السماء لأجلهم وفيها هدى ونور !!

لقد نسبوا إلى الله تعالى قوله إلى موسى عليه السلام وإلى أخيه هارون : « لأنكما خنتمانى ولم تقدسانى لن تدخلا الأرض التى تفيض لبنا وعسلاً ويدخلها عبدى يشوع بن نون » !!

---

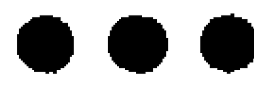
(١) القصة فى القرآن الكريم - ج ١ - مصدر سابق .

بل وأكثر من ذلك تقولوا على موسى عليه السلام ذلك الكلام الذى ما كان يجب ألا ينسب لأحد من أنبياء الله . حيث جاء فى الإصحاح الرابع من سفر الخروج : أن موسى كان قد نسى أن يختن ابنه فأمرضه الله مرضاً شديداً جزاء له على إهمال أمر من أوامر الله ! .

والغريب أن مفسرى أهل الكتاب يؤكدون على هذا الزعم وهذا القول الباطل ، كما جاء فى تفسير الكتاب المقدس الجزء الأول من وضع « فرانس دافدس » وذلك بقولهم : إن الله أراد أن يعلم موسى الطاعة المطلقة بهذه الحادثة ! وقد أخذت زوجته صفورة قطعة حادة من حجر الصوان وقطعت غرلة ابنها - أى اختتنته .

وياليت الأمر قد توقف عند حد هذه الأباطيل فى حق موسى عليه السلام ، بل زوروا فى قصته وأضافوا إليها الشىء الكثير والغريب من الوقائع غير الصحيحة والتى كذبها القرآن الكريم .

ولسوف نشير إلى ذلك فى حينه .. خاصة عند الحديث عن تحريفهم الكتب المقدسة .



وإذا ما تركنا موسى عليه السلام وما أصابه من ألسنة هؤلاء من افتراءات كاذبة .. لنتحدث عما أصاب هارون عليه السلام .. سوف نصاب بدوار وضيق حزناً على ما أصاب هذا النبى من جرائم بنى إسرائيل ومن حصائد ألسنتهم .

وأيضاً إصحاحات التوراة بها الشىء اليسير من هذه الافتراءات .. نسوق لكم بعضها لكى نثبت .. كم أصاب هذين النبيين من هول افتراءات قومهما من بنى إسرائيل .

وفى المقابل نبين كيف عاملهما القرآن الكريم بصفتهما نبيين من أنبياء الله المصطفين الأخيار .

ولقد مر علينا آنفاً كيف احتفل القرآن الكريم بهما وفى العديد من الآيات والسور الكريمة .

أما عن أخطر الجرائم التى ارتكبها بنو إسرائيل فى حق نبيهم هارون عليه السلام .. أنهم قد نسبوا إليه مشاهدته لواقعة تصنيع العجل الذهبى لكى يعبدوه فى غياب موسى عليه السلام بل وموافقته على صنعه !

فقد حكى الإصحاح الثانى والثلاثون من سفر الخروج تذمر بنى إسرائيل من إبطاء موسى فى النزول من الجبل مرة من المرات ، وطلبهم من هارون أن يصنع لهم آلهة لهم تسير أمامهم ، وتنفيذ هارون للطلب وصنعه هذا العجل من شنوف الذهب التى فى آذان النساء والأولاد ، وبنائه أمامه مذبحاً وتقريبه القرابين له » !! .

بل ونسبت هذه الأقاويل الظالمة إلى هارون عليه السلام اشتراكه فى مؤامرة التذمر والثورة ضد موسى عليه السلام مع اخته مريم !! ، ولتبرير ثورة هارون واخته ضد موسى عليه السلام ذكر مفسرو الكتاب المقدس كما جاء فى كتاب « جامسيون وفاوست » أنه لما أشار قوم موسى عليه بأن يختار رجالاً صالحين يخافون الله ، ويجعلهم رؤساء على الشعب لم يختر من بينهم مريم وهارون . كذلك لما شعر موسى بعبء المهمة التى ألقيت على عاتقه ، وأمره الله باختيار سبعين رجلاً وحل عليهم بهاء الرب وتنبأوا وبدأوا فى معاونته في إدارة شئون الشعب لم يكن من بينهم مريم وهارون(١) .

داود وسليمان :

بالمقارنة بين ما جاء فى كتاب الله العزيز وسنن نبيه الكريم ﷺ عن كل من داود وسليمان عليهما السلام .. وبين ما جاء فى التوراة المحرفة وجدنا فروقاً شاسعة تظهر مدى الجريمة العظيمة التى ارتكبها بنو إسرائيل فى حق هذين النبيين الكريمين . حيث تقولوا عليهما .. ونسبوا إليهما أشياء لا يصح أبداً أن تكون لنبى من أنبياء الله .

وهكذا دأبهم مع هذين النبيين ومع غيرهم من الأنبياء الذين قصصنا جانباً من حياتهم من خلال الفقرات السابقة .

---

(١) من هو فرعون موسى – د. رشدى البدراوى – مصدر سابق .

ولعلنا نجزم فى هذا السياق بالقول بأن نبى الله داود عليه السلام .. يساوى - من وجهة نظرنا - فيما طاله من أقاويل وافتراءات دسها اليهود فى توراتهم المزعومة .. ما طال نبى الله يعقوب عليه السلام .. وقد مرت علينا من قبل قصته .. وعرفنا منها كيف ألصق به بنو إسرائيل العديد من الافتراءات التى لم تكن على حق .. وقد جاء القرآن الكريم مدافعاً وموضحاً لتلك الجرائم .

وكذلك كان موقف القرآن الكريم أيضاً مما ألصقه بنو إسرائيل ضد هذين النبيين الكريمين داود وابنه سليمان !

ولسنا فى حاجة إلى تكرار ما سبق أن قاله المؤرخون من قبل عن نسب هذين النبيين ومنبتهما الطيب ، ويكفيهما شرفاً فى هذا المقام أنهما من نسل سيدنا يعقوب عليه السلام .

وعن ذلك يقول الإمام الأكبر الدكتور محمد سيد طنطاوى : إنهما نبيان كريمان ، وملكان عظيمان جمع الله تعالى لهما بين الملك والنبوة ، وينتهى نسب داود عليه السلام إلى يعقوب بن إسحاق بن ابراهيم ، وكانت ولادته فى بيت لحم بفلسطين قبل ميلاد المسيح بحوالى ألف عام .

أما الدكتور رشدى البدراوى فيقول عن نسب هذا النبى الكريم : إنه من نسل إبراهيم عليه السلام وأبوه يدعى يسىّ بن عوبيد .. من بيت لحم ، وكان له سبعة أبناء غير داود عليه السلام ، كما أن له ابنتين ، وكان هذا النبى الكريم يرعى أغنام والده وهو طفل صغير .. كما كان أشقر مع حلاوة العينين وحسن المنظر .

وقد أنعم الله عليه إضافة إلى ذلك بالصوت الندى ، حيث كان يسبح ويرنم حتى أن الطير كان يصدح ويشدو على نغمات صوته وكذلك الجماد ، فتسبح الجبال معه(١) .

---

(١) أنبياء بنى إسرائيل - د. رشدى البدراوى ج ٥ من كتاب قصص الأنبياء والتاريخ .

ليس هذا فقط بل ومنحه الله القوة والشجاعة التى مكنته وهو صغير من قتل الملك جالوت ، وقـد أصبح بعدها قائد جيوش بنى إسـرائيل خاصة فى الفترة التى عُرفت باسم فترة حكم الملوك .

ومما يشير إليه بعض المؤرخين ويثيـر الدهشة أن التوراة قد احتفلت فى بعض نصـوصـهـا بهـذا النبى الكريم .. فى حـين نجـدها وفى أجـزاء من إصحاحـات أخرى يميلون إلى الكذب وتلفيق الـروايات والأحداث ضد نبى الله داود .

وفى تصورنا ووفق ما سـوف يمر علينا بعد لحظات .. أن نبى الله داود الذى امتدحه القرآن وذكره رسولنا ﷺ فى أكـثر من حديث شريـف . يعتبر مـساوياً لـنبى الله لوط فيـمـا أصابـه من جرائم وافـتـراءات ألصـقهـا به بنو إسـرائيل بغير الحق ، وبالتالى فقد أصبح أيضاً فى زمرة هؤلاء الأنبياء الذين قتلتهم اليهود بألسنتهم ، وما أطلقنا عليه آنفاً لفظ القتل المعنوى .

ولسـوف تشـعرون أنتم كذلك بمدى فداحـة هذا الجرم بعدما تقرأون معنا هذه الافتراءات الكاذبة على هذا النبى وعلى ابنه سليمان عليهما السلام .

ولقـد آثرنا هذه المرة أن نسـوق تلك الافـتراءات التى مُلئـت بها التـوراة المزورة ، وذلك من قبل أن نسـوق الموقف المقابل والمتمـثل فى التكريم الذى حفل به القرآن الكريم وفى أحاديث شريفـة كثيرة .. وهى كلها آيات وسور وأحاديث تمجد فى هذا النبى الكريم ، وتعدد لنا مآثره بـاعتباره من النبيين الذين منحهم الله شـرف تبليغ إحدى رسالاته وكـتبه السمـاوية حيث أنزل عليه الزبور .. مصداقاً لقوله تعالى : ﴿ وَآتَيْنَا دَاوُودَ زَبُورًا ﴿١٦٣﴾ ﴾ [النساء] .

فقد ذكرت التوراة فى الإصحاحين الحـادى عشر والثانى عشر من سفر صمـوئيل الثانى قـصـة فى غاية البـشاعة .. عن عـلاقة داود عليـه السلام بزوجة « أوريا » أحد جنود جيشـه !! ويقول ملخص هذه القصة : أن داود رأى هذه الزوجة من سطح بيته وهى عارية تسـتحم ، وكانت جميلة جداً ، فـسأل عنهـا فـقيل له إنهـا « بتـشابع » امـرأة « أوريا » ، فـأرسل إليهـا

وأحضرها وضاجعها !! ولم تلبث أن شعرت بالحمل فأخبرت داود بذلك فأرسل إلى قائده ليرسل زوجها الذى كان فى عداد الجيش الزاحف على بنى عموت قاصداً أن يجعله يضاجع زوجته حتى يستر حملها !! ولكن « أوريا » امتنع عن مضاجعتها ، وحينئذ أعاده إلى الجيش مرة أخرى وكتب إلى قائده بتقديمه إلى جهة قتال شديدة حتى يموت ! ففعل وأرسل يؤاب رسولاً ليخبر داود بذلك !

وسمعت امرأة « أوريا » الخبر فناحت عليه أياماً ثم ضمها داود إلى بيته كزوجة !

وللأسف فقد نسبت التوراة المزورة فى أسفارها وإصحاحاتها المختلفة إلى هذه الزوجة أنها أم سليمان عليه السلام !! وقد حملت به بعدما غدت زوجة داود الشرعية .. وأما الولد الذى حبلت به سفاحاً فقد ضربه الله وأماته انتقاماً من داود لأنه استاء من عمله الفاحش !!

وتستمر التوراة المزورة فى غيها وبث كل ما هو منفر وباطل عن أنبياء الله خاصة نبى الله داود .. حيث ذكرت قصة أخرى فيها إتهام صريح لأحد أبناء هذا النبى بالزنا مع إخت له من أم أخرى !!

ففى الإصحاح الثالث عشر من نفس السفر ذكرت أن أحنون أحد أبناء داود قد عشق أختا له من أم أخرى واحتال عليها وضاجعها قهراً ثم أبغضها وطردها !

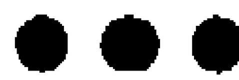
وسمع داود ذلك فاغتاظ ، لكنه لم يفعل شيئاً ! وقد حقد شقيقها أبشالوح على أخيه واغتاله أثناء وليمة أولمها له ولسائر إخوته ثم فر إلى مدينة جشور ، ولبث فيها إلى أن عفا عنه أبوه داود !!

وتمضى بقية إصحاحات هذا السفر (سفر صموئيل) فى سرد عشرات القصص المفتراة على داود وأبنائه بدون وجه حق .. وقد شعرت بالقلم بين يدى يضطرب ويتضايق لما كان يسمعه منى وأنا أردد هذه الكلمات المهووسة فى تعجب ! حيث استعصى عليه استكمال المشوار وأبى أن يكمل نقل ما كتبه هؤلاء المزورون .. وبالتالى لم يقبل الاستمرار إلا عندما عرف

بأننى سوف أنقل بعض الذى جاء بالقرآن الكريم وبعض الأحاديث النبوية عن هذا النبى الكريم رداً على تلك الافتراءات المهووسة والجرائم التى يعاقب عليها قانون السماء .

وعن هذه المكانة العالية لهذا النبى فى قرآن الله العظيم ما أشار إليه الدكتور محمد سيد طنطاوى حين قال : لقد تكرر اسم داود فى القرآن ست عشرة مرة فى سور شتى .. ومن ذلك قوله تعالى : ﴿وَلَمَّا بَرَزُوا لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالُوا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ (٢٥٠) فَهَزَمُوهُم بِإِذْنِ اللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُدُ جَالُوتَ وَآتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاءُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ (٢٥١)﴾ [البقرة]

وأضاف : أن النبى ﷺ قد مدح أخاه داود مدحاً عظيماً ، ففى صحيح مسلم عن عبد الله بن عمرو رضى الله عنهما ، أن رسول الله ﷺ قال : « أحب الصيام إلى الله تعالى صيام داود ، كان يصوم يوماً ويفطر يوماً ، وأحب الصلاة إلى الله صلاة داود ، كان ينام نصف الليل ويقوم ثلثه وينام سدسه » صدق رسول الله ﷺ .



ومما يثير الدهشة أيضاً فيما يخص جرائم بنى إسرائيل فى حق نبى الله داود أنه كان أحد ملوك بنى إسرائيل الذين أخذوا على عاتقهم توحيد هؤلاء الصنف من البشر الذين أنهكتهم الفرقة بعد رحيل كل من موسى عليه السلام ويشوع بن نون ، وغيرهما من أنبياء وحكماء بنى إسرائيل .

وتشير المصادر التاريخية إلى أن هذا النبى الملك قد وحد أراضى بنى إسرائيل وبالتالى صار ملكاً على كل أراضيهم التى اغتصبوها من الفلسطينيين ، وهو لم يبلغ من العمر إلا ثلاثين عاماً فقط .

وصدق الله العظيم إذ قال فى كتابه الحكيم : ﴿يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ .. (٢٦)﴾ [ص]

وهكذا على حد قول الدكتور رشدى البدراوى تجمع لداود السلطة الدنيوية كملك وكذلك السلطة الدينية كنبى ، وأُمر بأن يحكم بين الناس بالحق والعدل ، ثم أُنزل عليه الكتاب المقدس وهو الزبور



وكذلك كان سليمان عليه السلام من أنبياء بنى إسرائيل من الذين طالهم الافتراء والكذب عليه وعلى الله .. وقد ظهر ذلك بوضوح فيما حكته التوراة عن هذا النبى وعن بعض أعماله .. خاصة ما جاء فى الإصحاحات من الثانى إلى الحادى عشر من سفر الملوك الأول حسب النسخة البروتستانتية والثالث حسب الكاثولنيكية ثم الإصحاحات من الأول إلى التاسع من سفر أخبار الأيام الثانى .

هذه الإصحاحات التى اختصت بسرد سيرة نبى الله سليمان . وللأسف كل ما جاء بها فيه غلو وخيال وافتراء !

ولنضرب هنا مثالاً أو مثالين على ذلك .. ففى الإصحاح الثانى من سفر الملوك الأول ـ والثالث : أن سليمان دشن حكمه بقتل أخيه أدوينا بحجة طلبه الزواج من سرية أبيه ، ثم قتل يؤاب رئيس جيش أبيه وعزل أبيانا الكاهن الأكبر لتحيزهما لأخيه !!

ثم مثال آخر أكثر غرابة حيث ذكر الإصحاح الحادى عشر ما يدل على أن سليمان لم يحتفظ باستقامته حيث جاء فيه أنه أحب نساء غريبة كثيرة مع ابنة فرعون ، ومن المؤابيين والعمونيين والصدوقيين والحيثيين ومن الأمم التى قال الرب لبنى إسرائيل لا تختلطوا بهم ، فتعلق بهم سليمان ! كما كانت له سبعمائة زوجة وثلاثمائة سرية ! فأزاغت النساء قلبه وأملته إلى اتباع آلهة أخرى غريبة فى شيخوخته ، فلم يكن قلبه مخلصاً للرب !!(١) .

ليس هذا فقط ، بل ولقد مر علينا من قبل كيف اتهم بنو اسرائيل والده داود عليه السلام بأنه تزوج من امرأة حملت سفاحاً .. وللأسف فقد كانت

(١) تاريخ بنى إسرائيل من أسفارهم ـ ج ٢ — محمد عزة دروزة .

هذه المرأة هى أم سليمان عليه السلام .. فهل هذا يعقل ؟! وهل نصدق هذا الهوس وهذا الافتراء ؟! بل وأكثر من ذلك فقد نسبوا إليه أعمالاً هى إلى الكفر أقرب ! .

وأمام قلة حيلته فيما نسب إليه برأه القرآن الكريم فى قول الله تعالى : ﴿ وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُو الشَّيَاطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَانَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَٰكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أُنزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ ..(١٠٢) ﴾ [البقرة]

وفى تفسير يستوجب الإشادة به ، ذكر فيه الدكتور محمد سيد طنطاوى شيخ الجامع الأزهر : أى ، واتبع الضالون والجاحدون من بنى إسرائيل ما تقولته واختلقته الشياطين كذباً على مُلك سليمان عليه السلام . حيث زعموا أن ملكه يقوم على السحر ، والحق أن سليمان قد أخلص العبادة لخالقه عز وجل أتم الإخلاص وأكمله ، ولكن الشياطين هم الذين كفروا، إذ تعلموا السحر وعلموه لغيرهم بقصد الإفساد والضلال(١).

كما حظى هذا النبى الكريم بالحديث عنه فى بعض الأحاديث النبوية الشريفة والتى أشارت إلى قوة إيمانه وحكمته وصلابته على الحق والإيمان .. رغم سعة ملكه وكثرة أمواله .

لوط عليه السلام :

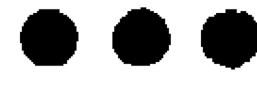
لقد سبق لنا القول بأن بنى إسرائيل قد تمادوا فى إيذاء الكثير من أنبياء الله الصالحين ، سواء بالقتل المعنوى أو المادى ، وأشرنا فى السياق ذاته إلى ما اقترفته أيديهم من جرائم معنوية قاتلة فى حق هؤلاء الأنبياء .

كما ذكرنا أيضاً أن هناك فريقاً آخر من أنبياء الله من الذين تعرضوا لإيذاء بنى إسرائيل من غير أنبيائهم الذين يبعثون من قبل الرحمن لهدايتهم، وكان من بين هؤلاء نبى الله لوط عليه السلام .. الذى لم يسلم هو الآخر من مفتريات اليهود عليه وعلى عائلته وبناته .

---

(١) القصة فى القرآن الكريم – ج ٢ – مصدر سابق .

ولسوف نبين فداحة مـا ارتكبوه من جرائم فى حق لوط عليه السلام .. وكيف رد القرآن الكريم على ما أشاعوه عنه ظلماً !!



ونبى الله لوط وفق إجمـاع آراء المفسـرين هو ابن هاران أخـو إبراهيم الخليل عليه السلام .. ولما مـات هاران فى سن مبكرة كفله إبراهيم وتبناه ، فكان لوطاً ملازما له فى مسيرته من أور إلى حاران إلى دمشق ، كما رافقه فى زيارته لمصـر ، وكانت له ثروة كـبيرة وأغنام مـنفصلة عن ثروة عـمه إبراهيم .

كما بعثه الله نبياً ورسـولاً لأهل سادوم وعامورية ، وقد ذكر ذلك القرآن الكريم فى قوله تعالى : ﴿ وَإِنَّ لُوطًا لَّمِنَ الْمُرْسَلِينَ (١٣٣) ﴾ [الصافات]

كما حظى هـذا النبى برعاية الله وعنايته وفق ما جـاء به من تعاليم لأهل هذه القرية التى كانت تعمل الخبائث .

ولما أراد الله إهلاك تلك القرية لعدم استجـابتهم لدعوة نبيهم لوط ، نجاه الله وأهله إلا امرأته .

وقد ذكـر ذلك أيضاً القرآن الكريم فى قـوله تعالى : ﴿ وَنَجَّيْنَاهُ وَلُوطًا إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ (٧١) ﴾ [الأنبياء]

كما نزل فى هذا النبى قرآن كريم كثير فى عدد من الآيات والسور .. مما يؤكد لدينا كونه نبياً شريفاً .. تـفرغ لعبادة الله وهداية قومه وفق ما بُلغ به من أمر السماء ، كدأب أنبياء الله الصالحين ، ومع ذلك فقد أشاع عنه اليهود وبنو إسرائيل افتـراءات كاذبة خطيرة .. وجرائم سب وقذف يعـاقب عليها قانون السماء بالخسف من الأرض أو بالحرق أو القتل !

ومما ذكـروه فى شـأن النبى لوط عليـه السـلام قولهم فـى الإصحـاح التاسع عشر من سفر التكوين : « وصعد لوط من صوغر وسكن فى الجبل وابنتـاه معـه . لأنه خـاف أن يسكن فى صـوغر ، فـسكن فى المغـارة هو وابنتاه . وقـالت البكر للصغـيرة ، أبونا قد شـاخ . وليس فى الأرض رجل ليـدخل علينا كـعادة كل الأرض . هلم نسـقى أبانا خـمـراً ونضطجع معـه

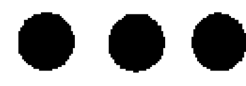
فنحيي من أبينا نسلاً . فسقتا أباهما خمراً في تلك الليلة ودخلت البكر واضطجعت مع أبيها .. ولم يعلم باضطجاعها ولا بقيامها .

وحدث في الغد أن البكر قالت للصغيرة إني قد اضطجعت البارحة مع أبي . نسقيه خمراً الليلة أيضاً فادخلي اضطجعي معه فنحيي من أبينا نسلاً ، فسقتا أباهما خمراً في تلك الليلة أيضاً .

وقامت الصغيرة واضطجعت معه ولم يعلم باضطجاعها ولا بقيامها . فحملت ابنتا لوط من أبيهما ، فولدت البكر ابناً دعته مؤاب وهو أبو المؤابيين إلى اليوم !! .. والصغيرة أيضا ولدت ابناً دعته بن عمي وهو أبو بني عمي إلى اليوم !! انتهى التخريف والتشنيع .

ولا يسعنا إلا أن نتساءل كما تساءل غيرنا .. وكيف استساغ هؤلاء من كتبة التوراة أن ينسبوا هذه الجريمة إلى أحد أنبياء الله المعصومين ، وقد جاءته الملائكة للدفاع عنه ضد قومه المفسدين من أهل سادوم وعامورية ؟!

وفي رد عظيم للدكتور البدراوي على هذه الافتراءات وتحليله لأسبابها يقول : من هنا ندرك مدى العداوة التي كان ولا يزال يكنها بنو إسرائيل للمؤابيين والعمونيين ، وقد نفسوا بذلك عن تلك الأحقاد التي تملأ قلوبهم .



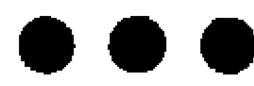
وبخلاف لوط عليه السلام من غير أنبياء بني إسرائيل الذين اكتووا بنار الافتراء على الله وعلى عباده . يأتي كل من خاتم الأنبياء والرسل محمد عليه الصلاة والسلام وكذلك عيسى ابن مريم . وإن كانت هذه الافتراءات قد اختلفت باختلاف الأزمنة وكذلك الأمكنة .

إذ من المعروف أن عيسى عليه السلام هو من قوم بني إسرائيل . وقد أرسله رب العالمين برسالة المسيحية لهداية بني إسرائيل مثلما قام بهذه المهمة كل الأنبياء السابقين . ومؤيداً بالعديد من الآيات البيّنات . كذلك بالروح القدس الذي هو جبريل عليه السلام .

وقد ذاق منهم ومن جرائمهم الشيء الكثير .. وكذلك محمد بن عبد الله .. رسول البشرية الخاتم الأمين . الذي ذاق هو الآخر من جرائم يهود المدينة

الذين كانوا يقيمون إلى جواره عليه الصلاة والسلام .

ونظراً لأن ما طال هذين النبيين الكريمين من جرائم بنى إسرائيل . تتعلق فى المقام الأول بعدائهم لرسالات السماء من بعد موسى عليه السلام ووقوفهم موقف الكافرين المعاندين لدعوة توحيد الله فى صورة الإسلام والمسيحية .. فقد قررنا إرجاء الحديث التفصيلى عن مضمون هذه الجرائم لحين الحديث عن وسائل اليهود فى محاربة كل من المسيحية والإسلام .. وهو ما خصصنا له الفصل الأخير من هذا الكتاب .



وعلى ذلك .. فقد بقى لدينا من حديث هذا الفصل .. بيان أهم وأخطر الجرائم التى ارتكبها بنو إسرائيل بالقتل المادى فى حق أنبياء الله الذين بعثوا لهدايتهم ! وهى على ما يبدو كانت جرائم فى غاية القسوة وقد امتلأت التوراة المزورة بأهم وقائعها ..

بل ولن نغالى حين نقول .. إن التوراة المزورة وما جاء بها من تفاصيل عن هذه الجرائم .. هى الدليل الوحيد المتبقى والشاهد المؤكد على ارتكاب بنى إسرائيل لجرائم قتل أنبياء الله بغير الحق وبكل تفاصيلها وشخوصها وملابساتها وظروفها .

مع أن القرآن الكريم قد أشار كذلك إلى هذه الجرائم ولكن بشكل مجمل وبدون تفاصيل .

ولقد كنت أود أن أفرد لهؤلاء الأنبياء مساحات كبيرة من هذا الفصل لبيان ما ارتكب فى حقهم من قبل بنى إسرائيل التى تلطخت أيديهم بدمائهم الذكية .. تماماً مثلما فعلنا فى حديثنا السابق مع الأنبياء الذين قتلوهم معنوياً ..

والسبب فى عدم إتمام هذه الخطوة يرجع إلى عدم وجود تأكيدات تاريخية لتلك الجرائم .. حيث خلط اليهود فى كتاباتهم الدينية بين التوراة وما جاء بها وبين التاريخ والأسطورة ، مما أدى إلى وجود نوع من

الخلاف بين المؤرخين حول أسماء هؤلاء الأنبياء ودورهم ، وكذلك بالنسبة للفترات الزمنية التى ظهروا بها .

إلى جانب وجود ذلك الخلاف وبشكل كبير فيما يخص رسالة هؤلاء الأنبياء ، ولذلك فإننا سوف نلجأ إلى أشهر ما قيل بشأن تلك الجرائم ، التى طالت هؤلاء الأنبياء من مصادر متعددة وليست التوراة وحدها . ولعل السبب السابق ذكره هو الذى جعلنا نبدأ رحلتنا فوق أوراق هذا الفصل المعنى بقتل الأنبياء بذكر قصص الأنبياء المشهورين من الذين طالتهم جرائم بنى إسرائيل معنوياً .

ومع ذلك لابد من ذكر توضيح رأيناه على جانب كبير من الأهمية فى هذا السياق .. وهو أن أغلب أنبياء بنى إسرائيل من الذين قتلوا مادياً ـ أى زهقت أرواحهم عمداً مع سبق الإصرار والترصد ـ كما يقول أهل القانون ورجال الشرطة ـ على أيدى بنى إسرائيل أنفسهم . كانوا من طائفة الأنبياء المكرمين من الذين توافد ظهورهم تباعاً على قومهم بعد فترة حكم سليمان عليه السلام ، وذلك وفق إجماع المؤرخين ، وما أشارت إليه التوراة نفسها . حيث أصاب بنى إسرائيل بعد زوال ملك سليمان الانشقاق والتحزب وانتشرت بينهم العداوة والبغضاء . نظراً لابتعادهم عن عبادة الله الواحد الأحد ولجوئهم لعبادة الأصنام !

الأمر الذى عجل ببعث هؤلاء الأنبياء من قبل رب العالمين ، لإعادتهم إلى حظيرة الإيمان .. ولكنهم كانوا يزدادون عناداً وتكبراً وتجبراً ، وقد قابلوا إحسان الله لهم بالاساءة إلى أنبيائه الذين قتلوا عدداً كبيراً منهم .

وما سوف نقدمه هنا .. إنما هى نماذج من أفعالهم المجرمة والمحرمة سماوياً .. وذلك لاستكمال ما بدأناه عن جرائمهم ضد كل الأنبياء .

النبى ميخا عليه السلام :

وهو « ميخايا بن يملة » .. ويختصر إلى ميخا .. التى تعنى بالآرامية « من يمثل يهوه » ! وكان نبياً ظهر فى عهد الملك أخاب .. أحد ملوك المملكة الشمالية التى عُرفت بإسرائيل والتى حكمها ١٩ ملكاً من مختلف الأسرات

اليهودية الموجودة آنذاك . وكان موقعها بالسامرة بفلسطين .

ويعتبر الملك أخاب سابع ملوك دولة إسرائيل الشمالية .. التى حكمت لأكثر من مائتى عام ، وقد عاصر النبى ميخا أنبياء الله ألياس واليسع .. وهما من الأنبياء الذين بعثهم الله لهداية بنى إسرائيل أيضاً .

وتقول التوراة إن نبى الله ميخا كان له دور كبير فى استمرار حكم الملك أخاب حيث استعان به فى حربه مع ملك دمشق . كما حذره من نتائجها غير المتوقعة إذ إن فيها نهايته ، ولكنه لم يستمع إليه ودخل هذه الحرب بعدما وضع النبى ميخا فى السجن وضيق عليه الخناق فى المأكل والمشرب حتى مات داخل السجن .

ولقد تحققت نبوءة النبى ميخا حيث انهزم أخاب وجُرح فى هذه المعارك.. مما أدى إلى وفاته متأثراً بهذه الجراح المميتة !

ويبدو من سياق نصوص التوراة ـ خاصة أسفار الأنبياء ـ أن هذا النبى كان من أبناء البلاط كما يؤكد ذلك الدكتور محمد خليفة .. هؤلاء الأنبياء الذين كانوا يقدمون المشورة للملك . وهو يضرب لنا مثالاً لتوضيح ذلك بقوله : ويرد فى سفر الملوك الأول ذكر مجموعات من الأنبياء فى بلاط أخاب ملك إسرائيل فى السامرة يتنبأون للملك ويقدمون له المشورة «فجمع ملك إسرائيل الأنبياء نحو أربع مائة رجل وقال لهم : أأذهب إلى راموت جلعاد للقتال أم أمتنع ، فقالوا أصعد السيد ليد الملك » .

ويضيف الدكتور خليفة : كما يرد فى نفس الإصحاح ذكر النبى ميخا ابن يملة الذى لم يكن يتنبأ بما يرضى الملك كما يفهم من هذا النص : « فقال يهو شافاط أما يوجد هنا بعد نبى الرب فتسأل منه ، فقال ملك إسرائيل .. إنه يوجد بعد رجل واحد لسؤال الرب به ولكنى أبغضه لأنه لا يتنبأ على خير بل شراً هو ميخا بن يملة ! » .

ويخبره رسول الملك أن جميع الأنبياء تنبأوا خيراً للملك « فيكون كلامك مثل كلام واحد منهم وتكلم خير ، فقال ميخا حى هو الرب أن ما يقول الرب لى به أتكلم » .

وبناء على هذا الرفض كان مصيــر هذا النبى الموت داخل غيابات السجن المظلم ، وكـانت تهمـتـه أنه أراد أن يقدم النصــح بالإيمان وبما أوحى إليـه لصالحه ولصالح قومه من بنى إسرائيل .

ويا ليتهم قـد استمعوا لما جـاء به ، فقد أصاب الملك الشىء الكثـير حين قرر خـوض هذه المعركـة .. وكان مـصيـره أن مات متـأثراً بجراحـه التى أصيب بــها أثناء القـتال ، وخلفـه من بعده ابنه الملك آخـزيا الذى حكم بنى إسـرائيل فى مدينة السامرة .

ولم ترد تفـاصيل أخـرى عن هذا النبى بعـد أن وضـعه الملك أخـاب فى السجن ، ولـكن المؤرخ يوسيفـوس يدعى أنه قد تم التـخلص من هذا النبى الكريم على يد الملك أخاب بطريقة ما .

ويعلق الدكتـور رشدى البـدراوى على ما قيل بشـأن مصـير هذا النبى بقوله : ولعله أحـد أنبياء بنى إسـرائيل الذين قتـلوهم ، وقد أشار إلى هؤلاء الأنبيـاء القرآن الكريم فى قـوله تعالى : ﴿ أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لا تَهْوَىٰ أَنفُسُكُمُ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ ﴿٨٧﴾ ﴾ [البقرة]

النبى أشعياء عليه السلام :

يؤكـد العديد من المؤرخـين وكذلـك التوراة المزورة أن الملك منسى أحـد ملوك بنى إسـرائيل الذين تولوا الحكم فى مملكة يهـوذا .. قد أمر بقتل النبى أشعـياء نشـراً بالمناشيـر !! ، لا لشىء إلا لأنه قد جـاءه بالحق مذكـراً إياه بضرورة العودة إلى الله وترك عبادة ما سواه من آلهة .

كـمـا يرى هؤلاء المؤرخـون أن النبى أشـعـيـاء كان مـن كبـار أنبـيـاء بنى إسـرائيل الذين ظهـروا فى عصر مملكة يهـوذا أيام حكم الملك منسى .. الذى حكم هذه المملكة وعمره اثنا عشر عاماً فقط وظل ملكا بها مدة خمسة وخمسـين عاماً .

ولكن ما هى حكاية هذا النبى الكريم ولماذا كـان مصيره القـتل بالمناشير على يد هذا الملك الإسرائيلى المجنون ؟!

تقول التوراة إنه هو أشعياء بن أموص ، وقد عاش فى أورشليم وعاصر

خمسة ملوك من يهوذا .. حيث امتدت نبوته إلى ما يزيد على ستين عاماً وزاد عمره على الثمانين .

ولهذا النبى بالتوراة المزورة سفر يعرف باسم « سفر أشعياء » . وفيه خلط كبير حيث لم يدركوا الفرق بين جبريل عليه السلام ملاك الرب وبين ذات الله تعالى ، كما ذكرت التوراة فى نفس هذا السفر تفاصيل ما أوحى به من قبل الله تعالى .

ويرى الدكتور رشدى البدراوى أن رسالة هذا النبى الكريم قد انقسمت إلى ثلاث مهام رئيسية .. هى توبيخ بنى إسرائيل على ما ارتكبوه من شرور كانت منتشرة فيهم مع شرح لبعض هذه الشرور والمفاسد . وثانياً توبيخ لآشور والتنبؤ بالعفو عن بنى إسرائيل الذين أسرهم الآشوريون بعد الانتصار عليهم فى فلسطين .

إلى جانب نبوءات أشعياء عليه السلام التى كان بعضها من وحى الله سبحانه وتعالى والبعض الآخر ـ كما تذكر ذلك التوراة ـ قد عرج به إلى السماء ليتلقاه ، وكلها نبوءات تختص بمصير الدول المجاورة لمملكة يهوذا . مثل أشور وبابل ومؤاب ودمشق ومصر .

كما تنبأ أيضاً بخراب يهوذا نفسها فى أورشليم ، ويبدو أن ما جاء به هذا النبى لم يرض عنه ملك بنى إسرائيل فأمر بقتله وبالطريقة السابق الإشارة إليها !!!! وهى طريقة تدل على وحشية وانعدام آدمية هؤلاء الذين استحلوا قتل الأنبياء بغير الحق .

وصدق ما جاء فى سفر الملوك واصفاً هؤلاء القوم الظالمين حين ذكر : «وأشهد الرب على إسرائيل وعلى يهوذا عن يد جميع الأنبياء وكل وراء قائلاً : ارجعوا عن طرقكم الردية واحفظوا وصاياى وفرائضى حسب كل الشريعة التى أوصيت بها آباءكم والتى أرسلتها إليكم على يد عبيدى الأنبياء » .

فما كان من بنى إسرائيل إلا ردود أفعال مجرمة ذكرها هذا السفر فى قوله : « فلم يسمعوا ، بل صلبوا أقفيتهم كأقفية آبائهم الذين لم يؤمنوا بالرب إلاههم ورفضوا فرائضه وعهده الذى قطعه مع آبائهم وشهاداته

التى شــهد بهـا عليهم وســاروا وراء البـاطل وتركوا جـميع وصــايا الرب إلاههم وعملوا لأنفسهم مسبوكات عجلين وعملوا سوارى وسجدوا الجميع ضد السماء وعـبدوا العجل وعبدوا بنيهم وبناتهم فى النار وعـرفوا عرافة وتفاءلوا »(١) .

النبى أرميا عليه السلام :

وهذا نبى كــريم من أنبـيـاء رب العـالمـين الذين بعث بهم لهـداية بنى إسرائيل ، وقد ظهر فى عصر الملك « يهوياقيم » أحد ملوك مملكة يهوذا من قبل سقـوطها وانهيارها قبيل الأسـر البابلى ، واسمه كمـا جاء فى التوراة « أرميا بـن حلقيا » أحد كـهنة بلدة عناثوت الواقعة بأرض بنيامـين شرق مـدينة أورشليم . وقد اخـتاره الله فى هذه المـهمـة إلى يهود بنى إسـرائيل محذراً إياهم من ذلك الشر القادم ضدهم .

ولما لم يسـتمعـوا إليه ، بل وعـذبوه .. أبلغهم بوحى مـن الله بما سوف ينالهم من جزاء شرورهم التى ارتكبوها وأباؤهم ولا يزالون .

ويرى الكثيـر من المؤرخين أن هذا النبى قد بدأ بعـثته فى السنة الثـالثة عشـرة من حكم الملك « يوشـيا » والذى أصـيبت البـلاد فى عهده بـالبلاء والقحط ، موضـحاً لهم أن كل ذلك سبـبه طغيانهم وابتعادهم عن طريق الله تعالـى ، وقد تمثل ذلك وفق مـا جاء فى التـوراة نفسـها فى تركـهم وعدم تقديـسهم ليوم الـسبت ثم عبـادة الأوثان .. حيث كـانوا يقدمـون أبناءهم قرابين للآلـهة من دون الله !!

لذلك فـقـد راح هـذا النبى يتنقل بيـن مـدن مملكة يهـوذا ليـنذر أهلهـا ويحذرهم بذلك الشـر القادم إن لم يرتدوا عن هذه الممارســات التى تغضب رب العالمين .

وقد تعرض لذلك للعـديد من المؤامرات للقضاء عليه وقـتله . حيث قُبض عليـه فى إحدى المرات على يـد أحد كـهنة هذه المملكة الذى حـبسـه فى آلة تعذيب خشـبية بها ثقـوب . منكراً عليه ما جاء به خـاصة تحذيره من ذلك الشر القادم عن قريب .

---

(١) تاريخ الديانة اليهودية ـ مصدر سابق .

وكان النبى « أرميا » كثيراً ما يتوجه إلى الله بالشكوى مما يلاقيه من عنت هؤلاء القوم المجرمين .

كذلك عاصر النبى « أرميا » وفق ما جاء بالتوراة أيام حكم الملك يهوياقيم .. وقد واصل نبوءاته عن العدو البابلى القادم من الشرق والدمار الذى سوف يلحق بيهوذا وأورشليم وتدمير هيكل سليمان ، فما كان من الكهنة إلا أن قرروا القبض عليه وقتله !

وتحكى التوراة عن ذلك فى سفر أرميا : « فصعدوا من بيت الملك إلى بيت الرب وجلسوا فى مدخل بيت الرب الجديد . فتكلم الكهنة والأنبياء مع الرؤساء وكل الشعب قائلين : حق الموت على هذا الرجل لأنه قد تنبأ على هذه المدينة كما سمعتم بآذانكم » .

ويرى بعض المؤرخين أنه لولا تدخل الشيوخ والعقلاء الذين حضروا هذه المحاكمة لنبى الله أرميا بعد أن هداهم الله .. لنفذ هؤلاء الكهنة ما اتفقوا عليه بقتل هذا النبى .

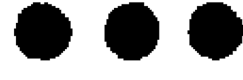
النبى أوريا بن شمعيا عليه السلام :

وآخر النماذج البشعة فى مذابح قتل أنبياء الله التى ارتكبها بنو إسرائيل.. هو إقدامهم على قتل نبى الله « أوريا» . الذى ظهر فى قرية كريات يعاريم ، وكانت آنذاك إحدى المدن التابعة لمملكة يهوذا ، وتقع غرب أورشليم . وقد عاصر الملك « يهوياقيم » أيضاً .. الذى لم تعجبه نبوءات النبى أوريا والذى أخذ يردد بكل قوة ما سبق وتنبأ به النبى أرميا بشأن قرب هلاك بنى إسرائيل ووقوع السبى البابلى عقاب من الله .. بسبب بعدهم عن طريق الله المستقيم وعبادة آلهة من دون الله ..

ولما سمع الملك يهوياقيم وكل من كانوا حوله من رجال البلاط تلك النبوءات قرر قتله ، إلا أن رحمة الله قد تداركته فى الوقت المناسب فهرب إلى مصر ..

وظل يعيش هناك فى مأمن إلى حين . ولكن ـ وعلى حد قول المؤرخين ـ كان لتحسن العلاقات السياسية آنذاك بين مصر ومملكة يهوذا فرصة

أتاحت لـهذا الملك الظالم أن يرسل رسله إلى مصر .. للقبض على هذا النبى ، وبالفعل أحـضروه إليه مقبـوضاً عليه ، فأمـر بقتله ودفن جثتـه فى مقابر الشـعب !!



ولعل خير ختام نستشـهد به على جرائم اليهود فى حق هؤلاء الأنبياء .. ما جـاء على لسان أحد هؤلاء الأنبـياء وهو النبى إيليا المعـروف فى القرآن الكريم باسم النبى إليـاس فى سـفر الملوك : « إن بنى إسـرائيل قد تركـوا عهدك ونقضـوا مذابحك وقتلوا أنبياءك » .

الفصل الثالث

.. تحـــريفهم الكتب المقدسة!

من خلال ملاحظة متأنية ربما لم يصل إليها غيرنا من قبل .. اكتشفنا أن بنى إسرائيل ، بعدما تأكدت جرائمهم فى حق الله تعالى ، واستمرار محاولاتهم الدنيئة لقتل الأنبياء بمختلف الطرق والوسائل .. استداروا لارتكاب المزيد من الجرائم الدينية والتى ظهرت بوضوح فى تحريفهم الكتب المقدسة ، وتزوير الكلام المنزل من رب العالمين سواء على لسان نبيه موسى أو عيسى عليهما السلام . وقد أرادوا تجربة ارتكاب نفس جرائم التزوير فى حق كتاب الله المنزل .. وهو القرآن الكريم .. ولكن ذلك سبقته كلمة من الله ، نزلت من اللوح المحفوظ .. لحماية هذا القرآن الكريم .. بعدما فضح الله محاولاتهم المجرمة سابقاً مع كل من الكتب السماوية الأخرى مثل التوراة والإنجيل وربما أيضاً زابور داود عليه السلام !

ولقد أشار القرآن الكريم نفسه فى العديد من السور والآيات الكريمة إلى ذلك محذراً من هذه المحاولات وداعياً المسلمين فى كل زمان ومكان .. إلى اليقظة .. والتمسك بما أنزل على رسولنا الكريم ، بعيداً عن محاولات اليهود فى مجال التحريف !

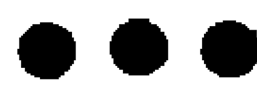
لقد صدقت كلمة الله العليا .. حين أكد فى كتابه العزيز : ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ⑨﴾ [الحجر]

هذه الآية المعجزة كانت نبراساً لكل المسلمين فى كل العصور لأجل البحث والتحرى لإثبات الإفلات من مجال التحريف والتزوير ، وإبطال ومقاومة جرائم اليهود فى هذا المجال .

كما هيأ الله العديد من جنوده الذين لا يعلمهم إلا سبحانه وتعالى لأجل

تأكيد كلمته العليا فى الحفاظ على هذا الذكر العظيم ، هؤلاء الجنود المجهولون إلا لله سبحانه وتعالى والذين يظهرون بين كل حين .. لتجديد تلك الصيحة .. ولفضح جرائم اليهود وحرفيتهم فى التحريف والتزوير ، والتى أظهرها الله لعباده من خلال آيات وسور هذا القرآن العظيم .

من هنا .. فقد وقفت قوة الله تعالى ، وارتفعت كلمته عالية كسد منيع ضد كل محاولات بنى إسرائيل لتحريف القرآن الكريم .



والسؤال الذى يفرض نفسه فى هذا السياق .. هل توقفت محاولات وجرائم اليهود ضد النصوص الإسلامية الأخرى بعد ما فشلوا فى محاولاتهم ضد القرآن الكريم ؟!

إن ما سوف نرويه من خلال لقطات حيوية .. سجلها الكثير من المؤرخين سوف تجيب على هذا السؤال تفصيلاً .. لكننا نود أن نشير فقط .. وفى هذا الحيز ومن قبل الانتقال إلى موضوع آخر .. لا يبتعد كثيراً عن تحريف اليهود للكتب المقدسة .

هذه الإشارة نؤكد من خلالها .. على أن هؤلاء اليهود .. لم يستسلموا أبداً من بعد فشلهم فى تحريف القرآن الكريم .. حيث اتجهوا بكل قوتهم وعلومهم وعلمائهم لتحريف بعض التفاسير القرآنية ! والتى رأوا فيها صالحهم وخدمة أغراضهم ، على ما يوافق ما لديهم فى توراتهم المزورة !

وأيضاً فقد هيأ الله بعض جنوده الذين تصدوا لبيان هذه الجرائم ، ولا يزال هؤلاء الجنود فى سعيهم لإثبات ما ارتكبته أيديهم فى حق الله وفى حق تفسير القرآن الكريم .

وفى يقينى الشخصى أن هؤلاء الجنود يظلون فى مهمتهم هذه إلى يوم القيامة ونبراسهم فى هذا الجهاد كتاب الله وسنة رسوله ﷺ والتى لم تسلم هى الأخرى فى بعض أحاديثها من جرائم بنى إسرائيل .

بل وظل اليهود فى سعيهم فى ميادين أخرى تتصل بكل ما هو إسلامى

مكتوب أو مدون لأجل تحريفه وإضافة ما يرونه يناسب ما لديهم من كتب مكدسة مزورة ، وقد بدا ذلك بوضوح فى بعض ما قيل وذكره بعض علماء المسلمين فيما يخص بعض جوانب السيرة النبوية الشريفة والتى دونت بعد رحيل صاحبها عليه الصلاة والسلام بأكثر من مائتى عام !

ومن خلال كلمات هذا الفصل الذى خصصناه لفضح جرائم اليهود فى مجال تحريف الكتب المقدسة .. سوف نسوق كل ما لدينا من جرائم سجلها عليهم التاريخ ، وما ارتكبته أقلامهم من تحريفات لم تترك لا التوراة ولا الإنجيل ولا القرآن فى بعض المحاولات . وكذلك الأحاديث النبوية أو السيرة النبوية الشريفة .. كل ذلك لأجل تحقيق مزيد من الوعى ، ومزيد من الروية واليقظة فى تناول كل ما يقع بين أيدينا من كتب شارك فى وضعها قوم من بنى إسرائيل .. قديماً أو حديثاً .. سواء أكانوا أحباراً أو كهاناً أو مستشرقين !

إنها جرائم خطيرة وتنذر بأخطار أشد على الإسلام وعلى المسلمين ، خاصة فى هذا الوقت العصيب الذى اشتد فيه عود بنى إسرائيل ، وأصبحوا يفعلون بأيديهم كل شىء مباح وغير مباح ، قانونى وغير قانونى .

ونحن نعلم جيداً .. أنه إذا ما ضاع القانون ، وأصبح تحت الأقدام .. تحول كل شىء إلى الإباحة ، حتى تعاليم الدين !! وهذه مسألة تخص أيضاً كل أصحاب الديانات الأخرى وعلى الأخص المسيحية ، وهى من الديانات السماوية وكما سوف نرى قد تعرضت نصوصاً وشخوصاً إلى التحريف والتزوير ، إلى جانب الشريعة اليهودية نفسها والتى طمست من أفواه وقلوب بنى إسرائيل .. إلا أن من بعض المؤمنين بها من الذين نأوا بأنفسهم بعيداً عن أرض إسرائيل .. حيث ضاعت التوراة الحقيقية التى نزلت على موسى عليه السلام . وحل محلها كتابات مزيفة ومريبة ، سوف نعرفها من خلال التفصيل القادم لكل ما طالته أيدى اليهود التحريفية ، سواء للألواح المطهرة التى أنزلت على موسى عليه السلام ، أو للإنجيل الذى جاء به عيسى عليه السلام .. أو فيما يخص القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة وبعض الأحاديث .

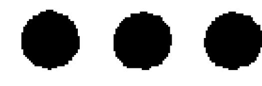
●● التوراة والإنجيل :

إن بداية محاولات كشف جرائم اليهود فيما يخص تحريفهم الكتب المقدسة .. لابد وأن تبدأ من التوراة التى أنزلت على موسى عليه السلام فى ألواح تلقاها فوق أرض سيناء .. وذلك وفقاً للترتيب الزمنى المرتبط بنزول هذه الكتب المقدسة .

ومما يثير الدهشة والعجب فى هذا السياق أن هؤلاء القوم المجرمين لم يحترموا شريعة الله هذه .. والتى أُنزلت لهدايتهم ولإصلاح أحوال معيشتِهم فى الدنيا والآخرة ولكى يعيشوا معيشة طيبة فى ظل عبادة الله الواحدِ الأَحد ، بل وأقدموا وبكل جرأة على تحريف هذه الشريعة ، بعدما ضاعت منهم أصولها عبر عدة أزمنة وسنوات .

ولقد سبق لنا أن أوضحنا الكثير من ملامح هذا التحريف .. عندما نسبوا زوراً وبهتاناً أشياء وأفعالاً لا تليق بالذات الإلهية فى تجرؤ وإجرام غير مسبوق . وكذلك ما نسبوه ظلماً وبهتاناً ضد أنبيائهم .. وإقدامهم على مقتل بعضهم .

وها نحن نستكمل المشوار لبيان محاولات وجرائم اليهود فيما يخص تحريفهم الكتاب المقدس والمعروف لدينا باسم التوراة .



ولقد رأينا من قبل إتمام هذه الخطوة ضرورة بيان الفروق الجوهرية بين تلك الألواح المطهرة والصحف التى أنزلت على موسى عليه السلام ، وبين ما يدعيه اليهود فيما يخص ماكتبوه بأيديهم ونسبتهم إياها إلى الله تعالى . وهو برىء مما نسبوه إليه .. حيث فضحهم وفضح أفعالهم وجرائمهم فى العديد من الآيات والسور القرآنية الكريمة .

إذ إنه ومن المعروف فى هذا السياق .. أن التوراة الإلهية ، وهى مانزل على موسى عليه السلام ، عرفت فى تاريخ الأديان بأكثر من تسمية ، وهو ما أكد عليه القرآن الكريم فى ذات الوقت .. حيث سميت التوراة بالألواح ،

وأيضاً بصحف موسى وهى ـ كما نعلم جميعاً ـ من أول الكتب المقدسة التى نزلت من السماء إلى أهل الأرض ، على قلب أحد رسل وأنبياء رب العالمين .

وبدون الدخول فى تفاصيل نقاشية وجدلية لا طائل من ورائها .. عما كانت تحويه هذه الألواح .. نقول : لقد كانت وفق تعبير القرآن الكريم هدى ونورا لبنى إسرائيل .. وهذان اللفظان ، فى تصورنا يشملان كل ما أراد الله تعالى تبليغه لبنى إسرائيل ، فى مجال العقيدة والدعوة .. بما يساهم كثيراً فى صلاح أحوالهم وحياتهم فى الدنيا والآخرة .

أو بمعنى آخر : شملت هذه الألواح أو هذه الصحف .. كل ما ينظم علاقة بنى إسرائيل برب العالمين ، وكذلك ما ينظم علاقاتهم بعضهم البعض فى ضوء رعاية الله وتعليماته وأوامره التى لا تحيد أبدا عن صالح البشر وصلاح حياتهم ، وهو ما درجت عليه كل الرسالات السماوية التى لحقت برسالة موسى عليه السلام ، مع تغييرات طفيفة سواء بالزيادة أو بالنقصان . خاصة ما يتعلق بالعبادات وأصولها ، وكذلك بعض المعاملات .

ودليلنا الواضح إلى ماذهبنا إليه ، ما ذكره كل من عيسى ومحمد عليهما السلام من أنهما جاءا لا لنقض الكتب السماوية السابقة ، بل للأخذ بما فيها وتأييدها مع بعض الإضافات وفق مقتضيات عصر كل رسالة سماوية .

ومن ذلك كله نخرج بنتيجة على جانب كبير من الأهمية .. يظهر من خلالها ما ارتكبه اليهود من جرائم فى حق أنفسهم بإقدامهم على التزوير والتحريف .

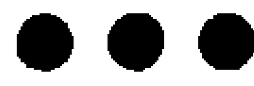
هذه النتيجة مؤداها أن ما جاء بالتوراة الإلهية التى أنزلت على موسى عليه السلام فى الألواح يختلف اختلافاً كبيراً عما كتبه اليهود فى كتبهم والتى أطلقوا عليها أيضاً التوراة !!

هذه الخلافات تصدى لبيان أصولها كل علماء الدين المشتغلين بعلوم مقارنة الأديان .. حتى من اليهود أنفسهم خاصة فى العصر الحديث .

ولدينا دليل آخر أكثر واقعية من سابقه ، وهو يؤكد ما سبق أن توصلنا إليه من حدوث هذا التحريف فى كتاب الله على يد اليهود ، هذا الدليل

يتجلى بوضوح فى وجود أكثر من كتاب دينى ينسبه اليهود إلى الدين اليهودى .. بخلاف التوراة ، بل إن التوراة نفسها .. تحمل بين أوراقها العديد من أسماء الكتب المفترض أنها مقدسة .. والتى أطلقوا عليها «الإصحاحات» والتى نسبوها إلى مؤلفيها ، وليس إلى النبى موسى عليه السلام الذى تلقاها من السماء .

فهل من المعقول .. أن ينزل رب العالمين كتاباً مقدساً من لدنه ، وينسبه آخرون إليهم كذباً وتضليلاً ؟! إن هذا ما فعله بنو إسرائيل فعلاً فوق أرض الواقع .. ويشهد بذلك ما لدينا الآن وما لدى الآخرين مما يسمى حاليا بالكتاب المقدس أو العهد القديم !



وكان على كثير من المؤرخين خاصة المسلمين منهم لكى يفضحوا هذا التزوير ، وهذا التحريف الذى أصاب كتاب الله « التوراة » أن يبحثوا عن أهم العبادات والمعاملات الحقيقية التى نزلت على موسى عليه السلام .. والتى عرّفها رب العزة بأنها نور وكتاب مبين . وكما ذكر القرآن الكريم .

وكان دليلهم لما توصلوا إليه ما جاء بالقرآن الكريم تفصيلاً عن محتويات التوراة الإلهية ، والتى قامت فى الأساس على الدعوة لوحدانية الله تعالى وعدم الشرك به ، وذلك مصداقاً لقوله تعالى : ﴿ إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلاةَ لِذِكْرِي (١٤) ﴾ [طه]

وفى قوله تعالى فى سورة الأعراف : ﴿ قَالَ يَا مُوسَىٰ إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالاتِي وَبِكَلامِي فَخُذْ مَا آتَيْتُكَ وَكُن مِّنَ الشَّاكِرِينَ (١٤٤) وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الأَلْوَاحِ مِن كُلِّ شَيْءٍ مَّوْعِظَةً وَتَفْصِيلاً لِّكُلِّ شَيْءٍ فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا بِأَحْسَنِهَا سَأُرِيكُمْ دَارَ الْفَاسِقِينَ (١٤٥) ﴾ [الأعراف]

ومما توصل إليه العلماء فى هذا الشأن قولهم بأن الله تعالى كتب لموسى عليه السلام فى هذه الألواح ، أو التوراة تفصيل الشريعة من الحلال والحرام والعبادات والشرائع والأحكام والمواعظ(١) .

(١) قصص الأنبياء والتاريخ – د. رشدي البداروي ج ٤ .

ورغم اختــلاف المؤرخين فى عدد هذه الألواح ومادتهــا .. وهو خلاف لا يجدى لإلقاء الضوء عليه .. لأنه لن يخدم الفكرة الرئيسية القائمة على بيان مضمون ما جاء بها من تعليمات سماوية فى العقائد والعبادات والمعاملات .

والغريب .. أن الذى شكك فى قضيــة الألواح من حيث عددها ومادتها .. هم اليهـود أنفســهم بما زعموه كـذباً عنها فى توراتهم البـشرية المحـرفة ! وذكرت التوراة المزيفة كلاماً كثيراً عن تلك الألواح ، وأيضاً بما لا يفيد فيما نحن مقبلون علـيه وقد أكد القرآن الكريم ذلك فى سـورة الأعراف أيضاً .. في قوله تعالى : ﴿ وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الْأَلْوَاحِ مِن كُلِّ شَيْءٍ مَّوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَيْءٍ فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا بِأَحْسَنِهَا سَأُرِيكُمْ دَارَ الْفَاسِقِينَ (١٤٥) ﴾ [الأعراف] .

ومن أهم ما توصل إليه العلمــاء فيما كانت تتضمنه الـتوراة الإلهية التى نجت من تحـريف اليهـود .. ما أسمـوه بالوصـايا الـعشرة .. ولما قـرأناها وجدنا بعضـها يميل إلى حد بعيد ناحية مقصد الحقيقة التى ننشدها .. وهذا ما سوف يتبين لكم أيضاً من خلال سرد بعض هذه الوصايا وهى كالتالى:

●● أنا الرب إلهك الذى أخـرجك من أرض مـصـر من بيت العـبـودية ، لا يكن لك آلهة أخرى أمام وجهى .

●● لا تصنع لك تمثـالاً منحـوتاً ولا صـورة مما فى السـمـاء من فـوق وما فى الأرض من تحت وما فى الماء مـن تحت الأرض .. ولا تسجد لهن ، ولا تعبدهن لأنى أنا الرب إلهك ، إله غيور .

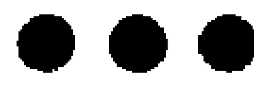
●● لا تحلف بـاسم الرب إلهك بـاطلاً .. لأن الرب لا يبـــرىء من يـنطق باسمه باطلاً !

●● اذكر يوم السبت لتقدسه . [ونأسف لاستكمال بقية هذه الوصية لما فيها من تكبر على الله تعالى .. وإلصاق بذاته الإلهية ما لا يجب أن يكون].

●● أكرم أباك وأمك لكى يطول عمرك فى الأرض التى يعطيك الرب إلهك.

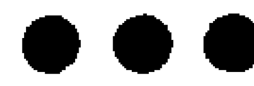
●● لا تقتل ـ لا تزن ـ لاتسرق ـ لا تشـهد على قريبك شـهادة زور [هذه أيضاً وصية ربما تجافى الحقيـقة .. وفق ما أنزله الله تعالى : إذ كيف يدعو ربنا بعدم الشهادة الزور على الأقارب فقط !!] .

●● وأخيراً : لا تشته بيت قريبك ، لا تشته امرأة قريبك لا عبده ولا أمته ولا ثوره ولا حماره ولا شيئاً مما هو لقريبك [وهذه أيضاً وصية مشكوك فى انتسابها للتوراة الإلهية ، إذ كيف ينهى رب العالمين بنى إسرائيل عن اشتهاء هذه الأعمال التى تخص الأقارب فقط ، من دون الآخرين ؟! .. إن الله هو رب العالمين ورب الناس جميعاً ، وبالتالى لا يفرق بين عباده إلا ما يشاء] .



كذلك قال العلماء : إن التوراة الإلهية وغير المزورة ، قد اشتملت بخلاف الوصايا العشر على تفاصيل إنشاء بيت للعبادة ! يقيمون فيه شعائر صلاتهم ، وفى تعليلهم لكونه من الخيام أو من مادة يسهل فكها ! . قالوا : إن السبب فى ذلك أن بنى إسرائيل كانوا كثيرى الترحال ، كما أن وجودهم فى سيناء كان وجوداً مؤقتا ينتهى بحلول الوقت المناسب لدخولهم الأرض المقدسة(١) .

كما اشتملت التوراة الصحيحة أيضاً على أركان الشريعة اليهودية التى أنزلت على موسى عليه السلام .. مثل الاعتراف والتطهر ، الحلال والحرام فى الأكل ، الزواج والطلاق ، والأعياد ، الزكاة ، الصوم ، الصلاة ، زيارة بيت المقدس ، مصداقاً لقوله تعالى فى سورة البقرة: ﴿ وَأَقِيمُوا الصَّلاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ (٤٣) ﴾ [البقرة]



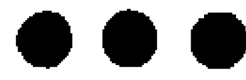
والسؤال الذى يفرض نفسه فى هذا السياق وبقوة ، يتعلق بالحديث عن ماهية الظروف والملابسات التاريخية التى واجهت اليهود .. وتم خلالها بدء عمليات التحريف ، وكذلك عن أهم مراحلها .. إلى جانب الحديث فى سياق السؤال نفسه عن الأسباب التى دفعت اليهود لارتكاب جريمة خطيرة مثل تحريفهم التوراة وتزويرها ، وهى من الجرائم التى كشف عنها القرآن الكريم فى أكثر من موضع !

من ذلك قوله تعالى فى سورة البقرة : ﴿ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ

(١) المصدر السابق .

ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِندِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلاً فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ (٧٩) ﴾ [البقرة]

وكان علينا لأجل الإجابة على هذا السؤال وما كان مرادفاً له من أسئلة من هذا النوع ، ضرورة أن نبين ظروف ضياع التوراة الحقيقية ، وملابسات ذلك الضياع وأسبابه .. ثم أهم الوسائل التى لجأ إليها بنو إسرائيل لكتابة توراة جديدة من تأليفهم ! .. يتخذون منها تجارة يتكسبون من وراء ترويجها .. الأمر الذى أدى بهم فى نهاية الأمر إلى تأليف كتب عديدة .. ادعوا أنها أكثر أهمية وقدسية حتى من التوراة التى أنزلت من السماء أو التى حرفوها .



وللحديث عن هذه الظروف التاريخية التى ارتبطت بضياع التوراة الحقيقية والتى نزلت على موسى عليه السلام فى صحف وألواح ، نقول : إن هذه التوراة الإلهية ، من بعد نزولها على قلب هذا النبى الكريم فوق أرض سيناء ، ومن بعد دوره فى تعليم بنى قومه من اليهود ما بها من تعاليم وعبادات ومعاملات .. نشأ جيل جديد من تلاميذ موسى عليه السلام من الذين تفرقوا كأسباط لليهود .. وقد قاموا هم كذلك بنفس الدور التزاما بما جاء بالشريعة الحقيقية .. وعلى الرغم من إعراض فريق كبير من بنى إسرائيل عما جاء بالتوراة . إلا أنه وفى المقابل .. قد حافظ البعض عليها ، وظلوا على ولائهم لما جاء بها من تعاليم دينية صحيحة .. وهم بدورهم قد نقلوها بأمانة إلى أبنائهم وأحفادهم .

ويرجع الفضل إلى هؤلاء فى الحفاظ على هذه التوراة لفترة زمنية قصيرة من بعد رحيل كل من موسى وهارون ويوشع بن نون عليهم السلام .. وكان طريقهم نحو تحقيق هذه الغاية هو حفظها فى التابوت المقدس الذى أخذوا يتناقلونه وما كان فيه من ميراث موسى عليه السلام ، خلال رحلاتهم وترحالهم المتكرر سواء داخل أرض سيناء أو من بعد الخروج منها حتى وصولهم إلى الأرض المقدسة .

ولكن بعد فترة زمنية من إقامتهم فوق أرض فلسطين .. انغمس أغلب بنى إسرائيل فى ملذات الحياة ، وبالتالى تفرغوا لجمع متاع الدنيا ، لتعويض مافاتهم من لهو ولعب حرموا منه خلال رحلتهم الطويلة مع موسى عليه السلام .

ونظراً لتناقص أعمدة الدين اليهودى آنذاك سواء بالرحيل أو العزلة أو الموت ، فقد تعرضت التوراة للضياع .. وكان من المفترض فى مثل هذه الحالة أن يفزع بنو إسرائيل .. ويخاف أحبارهم مما سوف ينالهم وينتظرهم من مصير مجهول فى ضوء اختفاء هذا الكتاب المبين !

ولكن يبدو أن أغلبهم قد وجدها فرصة للعيش فى الأرض مفسدين .. إذ اختفت من وجهة نظرهم تلك السلطة الدينية التى كانت تمثل بالنسبة لهم حائلاً كبيراً ضد متاع الدنيا واغتصاب الحقوق !

ولقد فشل أحبارهم فى تعويض ذلك النقص بالنصح والإرشاد .. لذلك أرسل الله الكثير من رسله وأنبيائه لكى يذكر هؤلاء القوم الذين قال عنهم فى كتابه الكريم : ﴿ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ (٤٧) ﴾ [البقرة] حتى يعودوا إلى حظيرة الإيمان ، ويتذكروا ما جاء بالتوراة الصحيحة من تعاليم تؤكد وحدانية الله وتحضهم على العمل المخلص ، بعيداً عن ارتكاب الظلم ضد الآخرين !

وكما نعرف جميعاً ، فقد فشل الكثير من هؤلاء الأنبياء فى هذه المهمة مهمة إعادة بنى إسرائيل إلى طريق الإيمان ، لما كانوا يلاقونه من ألوان وصنوف العذاب ، الذى كان أعلاه القتل والتشريد !

ولحكمة لا يعلمها إلا رب العالمين ، بعث الله إليهم ـ وبعد مرور سنوات طويلة ـ من يذكرهم بالتوراة الصحيحة .. على يد نبيه عزير .. ذلك الرسول الكريم الذى ادعوا عليه كذباً بأنه ابن الله !!

هذا النبى الكريم الذى أماته الله مائة عام ثم بعثه ، هو الذى أعاد التوراة الصحيحة لبنى إسرائيل ، وقد اختلف المؤرخون فى صيغة هذه الإعادة ، وهل تمت عن طريق تسجيل ما كان يحفظه من نصوص صحيحة فى كتب

تداولها بنو إسرائيل ؟ أم أنه قد أحضر إليهم النص الأصلى الذى قد ضاع منهم .. حيث كان يحتفظ لنفسه بنسخة أصلية من هذه الألواح الإلهية من قبل أن يتوفاه الله ، وقد أخفاها فى مكان أمين ، تركه ثم مات !

ومهما كانت الطريقة التى ظهرت من خلالها التوراة الصحيحة .. فقد حاول هذا النبى ومن كان معه من أحبار اليهود ورهبانهم .. أن يعيدوا هذا الشعب إلى طريق الإيمان ، الذى رسمته هذه الألواح بكل صدق ، ومن قبل إحداث هذه التحريفات !

وقد خاب ظن هذا النبى الكريم .. إذ ضاعت التوراة من جديد من بعد رحيله ، نظراً لإهمال بنى إسرائيل فى الحفاظ عليها . خاصة فى فترات تعرضهم لحالات السبى المتكررة عبر تاريخهم الطويل ، سواء على يد الآشوريين أو البابليين ، أو على يد غيرهم من الأمم القوية آنذاك ، وإن كان المؤرخون يعولون الشىء الكثير على السبى الأخير الذى وقع لليهود أثناء حكم الملك « بخز نصر » البابلى فيما يتعلق بضياع التوراة فى مرحلتها الثانية .

ومرت السنوات ، بل والدهور ، وقد شعر بنو إسرائيل بالضياع من جديد .. فى ضوء اختفاء شريعتهم الربانية ، حتى الظروف السياسية التى أحاطت بهم آنذاك لم تسعفهم فى الحياة الكريمة سواء فى ظل صعود الدولة الفارسية التى كانوا يميلون إلى حكامها .. أو من بعد ذلك .

وقد ضاعت التوراة الحقيقية إلى الأبد .. إلا من بعض النصوص القليلة التى هيأ الله بعض جنوده من بنى إسرائيل لحفظها ، وقد اختفت هى الأخرى برحيلهم .

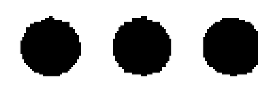
وكما سبق أن ذكرنا .. لم يكن أمام عبقريتهم الخبيثة خاصة من جانب رجال الدين لديهم والمعروفين تاريخياً بالأحبار .. إلا تأليف توراة جديدة خلطوا فيها بين الأساطير وبين أحداث تاريخية بعينها .

وكانت هذه الكتابات المصنوعة بأيدى اليهود ـ والتى نسبوها زوراً وبهاتناً إلى رب العالمين ـ محل بحث ودراسة لفريق كبير من المتخصصين

فى علوم مقارنة الأديان .. وهى من العلوم التى أخذت مؤخراً طريقها بقوة إلى أرض الواقع ، وأحرز المشتغلون بها تقدماً كبيراً فى مجالهم .

ولقد عنى العديد من الدارسين المصريين والعرب وكذلك من المؤرخين المسلمين فى مختلف العصور بمناقشة هذه الدراسات لبيان مدى ما قدمته عن هذا التزوير ، وهو ما أشار إليه القرآن الكريم منذ أكثر من ألف عام .. عن حالات تزوير وتحريف أهل الكتاب للتوراة وغيرها من الكتب المقدسة ، وقد أشار هؤلاء فيما كتبوه إلى مضمون هذه الكتب .. وما تحتويه من أسفار وإصحاحات منسوبة لإناس بعينهم .. سواء الذين كتبوها أو من الذين ارتبطوا بأحداثها التاريخية والدينية .

ومن أشهر المسميات التى أطلقت على التوراة المزورة لفظ « العهد القديم» تمييزا له عما يحتويه الكتاب نفسه ، والمسمى بالكتاب المقدس من أناجيل والتى تعتبر هى الأخرى فى مجملها مزورة ، ومنسوبة لإناس بعينهم ، وفق انتقاء فريق من هؤلاء اليهود !!



والعهد القديم المشار إليه كما يقول هؤلاء العلماء مكون من تسعة وثلاثين سفراً ، وقد اعتبرها اليهود جميعها أسفاراً مقدسة ، أى موحى بها!! والمراد بكلمة العهد فى كل من التسمية اليهودية والمسيحية ما يرادف كلمة الميثاق ، وهو كما يدعون ميثاق قد أخذه الله على الناس وارتبطوا به معه !

أما هذه الأسفار فتنقسم إلى أربعة أقسام الأول : يشمل كتب موسى أو الأسفار الخمسة وهى سفر التكوين وسفر الخروج وسفر التثنية ، وسفر اللاويين وسفر العدد ، وفى نظر قطاع كبير من بنى إسرائيل أن هذه الأسفار الخمسة تمثل التوراة الحقيقية التى أنزلت على موسى عليه السلام !!

وهو قول وكما سوف نبين مردود عليه .

أما من حيث محتويات هذه الأسفار ، فقد اشتمل سفر التكوين على تاريخ العالم من تكوين السماوات والأرض إلى استقرار أولاد يعقوب أو

إسرائيل فى أرض مصر . مع تفصيل فى قصة آدم وحواء ونوح والطوفان ونسل حام أحد أبناء نوح .

أما سفر الخروج فيعرض تاريخ بنى إسرائيل فى مصر وقصة موسى ورسالته وخروجه مع بنى إسرائيل ، ثم تاريخهم أثناء مرحلة التيه والتى قضوها فى صحراء سيناء مدة أربعين عاماً .

كما يشتمل هذا السفر على بعض من أحكام الشريعة اليهودية فى العبادات والمعاملات والعقوبات ، كما يحتوى سفر التثنية على معظم أحكام الشريعة اليهودية الخاصة بالحروب والسياسة والاقتصاد والمعاملات والعقوبات والعبادات ، وسمى بهذا الاسم لأنه يعيد ذكر تعاليم موسى عليه السلام والتى تلقاها من رب العالمين لتبليغها إلى بنى إسرائيل .

وسفر اللاويين الذى شغل معظمه بشئون العبادات وخاصة ما يتعلق منها بالأضحية والقرابين والمحرمات من الحيوانات والطيور ، واللاويون هم من نسل « لاوى » أو ليفى أحد أبناء يعقوب ، ومنهم موسى وهارون .

أما سفر العدد ، فقد شغل معظمه بإحصائيات عن قبائل بنو إسرائيل وجيوشهم وأموالهم ، وكذلك بأحكام تتعلق بطائفة من العبادات والمعاملات، ومن ثم فقد سمى سفر العدد .

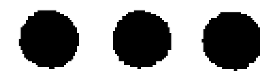
وأما القسم الثانى من التوراة المحرفة والمكتوبة بأيدى بنى إسرائيل فهو قسم الأسفار التاريخية ، وعدده ١٢ سفراً .. وفيه يعرض بنو إسرائيل لتاريخهم بعد استيلائهم على بلاد الكنعانيين ، ثم بعد استقرارهم بأرض فلسطين ، وكذلك تفاصيل تاريخ قضاتهم وملوكهم وأيامهم والحوادث البارزة فى شئونهم ، وهذه الأسفار هى : يوشع – القضاة – راعوث – صموئيل (سفران) – الملوك (سفران) – أخبار الأيام (سفران) – عزرا – نحميا – استير(١) .

والقسم الثالث يسمى أسفار الأناشيد أو الأسفار الشعرية ، وهى أناشيد ومواعظ معظمها يصطبغ بالصبغة الدينية ، وقد ألفها أصحابها تأليفاً شعرياً بليغاً ، وعددها خمسة أسفار هى : سفر أيوب – مزامير داود –

(١) الأسفار المقدسة فى الأديان السابقة للإسلام . د. على عبد الواحد وافى .

أمثال سليمان – كلام سليمان وأخيراً نشيد الأناشيد لسليمان .

أما القسم الرابع فيسمى بأسفار الأنبياء !! وعددها سبعة عشر سفراً ، وهى أسفار : أشعياء – أرميا – ومراثى أرميا – حزقيال – دانيال – هوشع – يوئيل – عاموس – عوبديا – يونس أو يونان – ميخا – ناحوم – حنقوق – صفينا – حجى وزكريا ، وهو غير زكريا والد النبى يحيى عليه السلام والذى ورد ذكره بالقرآن الكريم(١) .



هذا عن المضمون المزور فيما يحتويه الكتاب المقدس أو العهد القديم أو التوراة !! .. فماذا عن مواطن التزوير فى تلك الأسفار ؟!.. لقد سبق لنا القول بأن هناك العديد من العلماء والمؤرخين العرب والأجانب الذين تصدوا لبيان مواطن هذه المزورات ، ولسوف تتضح بشكل أكبر وأوسع .. حين نشير إليها .. ثم من بعدها عليكم بعمل المقارنات التى من خلالها يفتضح أمر هؤلاء اليهود وما اقترفته أيديهم من غش وتزوير فى أحد كتب رب العالمين .

فقد بات معلوما على حد قول الدكتور سيد القمنى أن نسبة الأسفار الخمسة الأولى إلى النبى موسى أمر مشكوك فيه تماماً ، بل وغير علمى بالمرة ، بل وأصبح من الدلائل العلمية التى لا يتطرق إليها الشك بتأليفه على يد عدد من الكتاب الذين اختلفت مشاربهم وأمزجتهم وثقافتهم ومواقعهم الاجتماعية وتوجهاتهم العقائدية .

هذا الأمر قد فرض نفسه أيضاً على المؤسسات الدينية خاصة المسيحية، ففى مقدمة الطبعة الكاثوليكية للكتاب المقدس الصادر فى عام ١٩٦٠ ما نصه : « ما من عالم كاثوليكى فى عصرنا ، يعتقد أن موسى ذاته كتب كل التوراة ! منذ الخليقة .. أو أنه أشرف حتى على وضع النص ، لأن ذلك النص قد كتبه عديدون بعده ، لذلك يجب القول بأن ازديادا تدريجياً قد حدث ، وسببته العصور التالية الاجتماعية والدينية »(٢).

(١) المصدر السابق .
(٢) إسرائيل – التوراة .. التاريخ – التضليل – د. سيد القمنى .

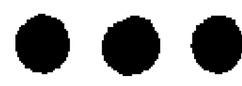
كما تتـوالى التأكيدات التى ترفض نسـبة هذه التوراة كمـا يدعى اليهود إلى موسى عليـه السلام .. حيث ذكـر توماس هويز الفيلسـوف الإنـجليزى (١٥٨٨ - ١٦٧٩) أن تدوين التوراة قد تم بعد موت موسى بزمن طويل .

ثم تبعه الفيلسوف الـيهودى باروخ اسبينوزا (١٦٣٢ - ١٦٧٧) الذى انتهى إلى إنكار احتمال يمكن بموجبه نسبة التوراة إلى موسى ، وقدم على ذلك شواهد كثيرة .

ثم يأتى الألمانى جـراف (١٨٦٥) ليكمل تلك الدراسـات فيقـوم بعملـية عكس وقلب شامل للتـصور التقليـدى الذى شاع عن كون القصـة الألوهية هى الأقدم .. لـيؤكد أن القـصة اليـهودية كـانت هى الأقدم .. بينـما دونت القصة الألوهية فى فتـرة العودة من المنفى البابلى زمن عزرا ، وذلك خلال القرن الخامس قبل الميلاد[1] .

ومجـمل القول أن هذه التوراة قد تم تألـيفها فى عـصور لاحقة لعـصر موسى بأمد غير قصـير (وهو العصر الذى يقع على الأرجح حوالى القرن الرابع عـشر أو الثـالث عشـر قبل المـيلاد) ، وأن مـعظم سفـرى التكوين والخروج قد ألف حوالى الـقرن التاسع قبل الميلاد ، وسفر التـثنية قد ألف فى أواخر القـرن السابع قبل الميـلاد ، وأن سفرى العدد واللاويين قـد ألفا فى القرنين الخامس والرابع قبل الميلاد ، أى بعد النفى البابلى .

كما أن هذه الأسفـار كما ثبت ذلك علمياً مكتوبة بأقلام اليـهود ، وتتمثل فيها عقائد وشرائع مختلفة تعكس الأفكار والنظم المتعددة التى كانت سائدة لديهم فى مختلف أدوار تاريخهم[2] .



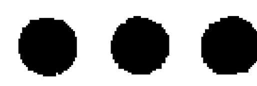
معـذرة للقارىء العزيـز على إطالتنا الحديث السابـق عن تزوير التوراة ومراحله .. ونصوص هذه التوراة سـواء المعتقد أنها هى الصحيـحة أو غير

(١) المصدر السابق .

(٢) الأسفار المقدسة - مصدر سابق .

الصحيحة !. وهو تطويل في الحديث كان مقصوداً .. ذلك لاعتقادنا بأن نجاح اليهود في إحرازهم تقدم كبير في مجال التزوير والتحريف . قد جعل فئة كبيرة من أتباعهم ومن غير أتباعهم يظن في أنها غير مزورة !

هذا النجاح ذاته قد بُنى عليه نجاحهم ، وكما سوف يتبين ذلك بعد لحظات ، في تزوير الإنجيل بل ومحاولة استخدام أساليبهم في التحريف في شأن القرآن الكريم وبعض الأحاديث النبوية الشريفة وكذلك السيرة والتفسير .



ولاشك كان علينا عند الحديث عن محاولات بني إسرائيل لتزوير الإنجيل أن نؤكد في البداية .. أن هذا الكتاب المقدس والذي أنزله رب العالمين على قلب نبيه عيسى عليه السلام . كان من قبل تحريفه وتزويره من الكتب السماوية التي نوه عنها القرآن الكريم . والذي يقوم كل ما فيه على وحدانية الله تعالى وعدم الشرك به .

وقد بين لنا ذلك القرآن الكريم في قوله تعالى : ﴿ وَيُعَلِّمُهُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَاةَ وَالإِنجِيلَ ﴿٤٨﴾ وَرَسُولاً إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ .. ﴿٤٩﴾ ﴾ [آل عمران]

وقد اجتهد العديد من المفسرين ومن المؤرخين خاصة من المسلمين في بيان هذه الأصول وهذه العبادات والمعاملات التي أوحى الله بها إلى عيسى عليه السلام ، تصحيحاً وإضافة لما جاء بالتوراة من قبل ، بل وبيان بعض الذي أغمض فهمه على بني إسرائيل .

ولقد بين لنا القرآن الكريم ذلك أيضاً في قوله تعالى : ﴿ وَلَمَّا جَاءَ عِيسَىٰ بِالْبَيِّنَاتِ قَالَ قَدْ جِئْتُكُم بِالْحِكْمَةِ وَلأُبَيِّنَ لَكُم بَعْضَ الَّذِي تَخْتَلِفُونَ فِيهِ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿٦٣﴾ إِنَّ اللَّهَ هُوَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَٰذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٦٤﴾ ﴾ [الزخرف]

ويقول الشيخ محمد أبو زهرة بخصوص ما جاء به هذا النبي من تشريعات امتلأت بها أوراق الإنجيل الحقيقي : لقد جاءت معجزاته من جنس رعايته ، وتناسب هدف رسالته ، وهو الدعوة إلى تربية الروح والإيمان بالبعث والنشور ، وأن هناك حياة أخرى يجازى فيها المحسن بإحسانه ، والمسيء بإساءته .

ورغم أن الأستاذ أحمد بهجت قد ذكر فى كتابه « أنبياء الله » أننا لا نجد فى دعوة عيسى عليه السلام مثلاً نظاماً تشريعياً للميراث ، أو الوصية أو الزكاة ولن نجد نظاماً تشريعياً يقرر عقوبة القتل والسرقة أو الزنا ، ولن نجد تشريعاً للزواج والطلاق والنفقة . إلا أننا عثرنا على عكس ذلك فيما جاء بالقرآن الكريم نفسه وبالذات في قوله الله تعالى : ﴿قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا (٣٠) وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا (٣١) وَبَرًّا بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا (٣٢)﴾ [مريم]

وهذا يعنى فى المقام الأول أن شريعة عيسى عليه السلام ، إنما هى شريعة سماوية متكاملة من حيث العبادات والأحكام والشرائع والمعاملات شأنها فى ذلك شأن كل رسالات السماء السابقة واللاحقة .

وكل ما فى الأمر أن هذه الرسالات الثلاث كل منها يكمل بعضه وفق إرادة الله ، وما يراه دائماً مناسباً لبنى البشر .. كل حسب الزمان الذى يتواجد فيه .

ورغم هذا الوضوح فى كل ما تناولته أوراق الإنجيل .. إلا أن اليهود الذين دأبوا على التزوير والتحريف .. قد وجدوا ضالتهم فى تأليف أناجيل كثيرة ، وليس إنجيلاً واحداً .

تماماً كما فعلوا من قبل مع التوراة ، حتى صار لها معهم توراة كثيرة !.. ولن نستطيع أن نقول هنا هذه المرة أن اللجوء لكتابة الإنجيل والتزوير فيه ، كان بدافع الشتات وضياع نصوصه الحقيقية ! وهو ما حاولنا بيانه عند الحديث عن ضياع التوراة .

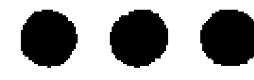
وهذا يؤكد تأكيداً عظيماً على توافر أركان جريمة التزوير والتحريف فيما يخص الإنجيل ، وبدون دوافع خارجية ، اللهم إلا رغبة من اليهود ودأبهم فى التزوير والتحريف فقط .

وربما نراهم قد وجدوا الطريق أمامهم سهلاً وممهداً .. بسبب عدم وجود إنجيل مكتوب ، فى عصر عيسى عليه السلام .. وقد اعتمدوا على ما كان

يسمعه الحواريون من معلمهم النبى الكريم .. فأخذوا يدونونه ويزورون فيه ويحرفون كل ما كان يقوله هذا النبى .. خاصة فيما يتعلق بالتوحيد !

وفى تصورنا أن السبب الأساسى وراء ما ارتكبه اليهود من جريمة تزوير فى حق الإنجيل ، خاصة بالنسبة للتوحيد والإيمان بالوحدانية هو رغبتهم فى إغراق أتباع المسيح عليه السلام فى مشاكل لاهوتية تبعدهم كثيراً عن التحدث فيما ارتكبوه من جرائم فى حق التوراة شرعاً ومنهاجاً .. وهى أنهم قد اختلقوا فكرة المسيح الإله ، أو المسيح ابن الله .. وهى أفكار .. كانت موجودة سلفاً فى تراث اليهود الدينى والأسطورى !

والعجيب أن أتباع المسيح عليه السلام فيما بعد ، قد آمنوا بهذه الأفكار المضللة مما جعلهم ينزلونها منازل القدسية والتقديس !



ولاشك أن الحديث المفصل عن هذه الأناجيل المختلقة سوف يوضح لنا ذلك وأكثر .. كما يبين لنا بالشكل المطلوب ، ذلك الدور الخبيث الذى لعبه بنو إسرائيل فى ارتكاب هذه الجريمة التى لازالت أركانها قائمة وإلى الآن .

وأيضاً كان هذا الموضوع هو الشغل الشاغل للعديد من المؤرخين فى القديم وفى الحديث .. إذ تبين لهم أن ما اختاره اليهود من أسماء مصنوعة لكتابهم المقدس ، كانت هى نفسها التى اختاروها للإنجيل .

ويبدو ذلك بوضوح فيما تبين تكراره داخل كل من العهد القديم والجديد خاصة كلمة « الأسفار » !

إذ ينقسم الإنجيل أو العهد الجديد إلى قسمين أو نوعين من تلك الأسفار.. الأول يمثل الأسفار المقدسة ، التى كتبها أو حكاها أو نطق بها الحواريون أو الرسل ..

والقسم الثانى فيه ما رواه أو كتبه التلاميذ والتابعون ، وهم من الذين يساوون الحواريين فى منزلتهم .

ولقد استقر الرأى فى أوائل القرن الخامس الميلادى على اعتماد سبعة وعشرين سفراً من أسفار الإنجيل ، وقرر القائمون على ذلك باعتبارها هى

وحدها الأسفار المقدسة ، أو الموحى بها . وهم يقصدون بذلك أنها موحى لأصحابها من الرب بمعانيها لا بألفاظها ، وهى التى أطلقوا عليها اسم « العهد الجديد » . للمقابلة بينها وبين ما اعتمد من أسفار يهودية مقدسة أطلق عليها « العهد القديم » .

وتوجد الأسفار بالعهد الجديد فى ثلاث مجموعات وسفرين . والمجموعات هى : مجموع الأناجيل وعددها أربعة ، ومجموعة رسائل بولس وعددها أربع عشرة رسالة ، ومجموعة الرسائل الكاثوليكية وعددها سبع رسائل .

وأما السفران فهما : سفر « أعمال الرسل » للوقا ، وسفر « رؤيا يوحنا» أو « الأبوكالبيس » ليوحنا .

وإذا ما تركنا الإجمال لحديث التفاصيل عن هذه الأناجيل نجد أنفسنا نقول ، وفق ما سطره الدكتور على عبد الواحد وافى أن الأناجيل الأربعة تمثل أهم المجموعات الموجودة بالعهد الجديد .. وتستأثر وحدها بحيز كبير ، ربما إلى نصفه حيث تستغرق نحو ١١٠ صفحات من مجموع صفحات ذلك الكتاب البالغة نحو ٢٥٠ صفحة فى إحدى ترجماته بالفرنسية ، وهى أناجيل متى ، ومرقص ، ولوقا ، ويوحنا .

أما بالنسبة لأنجيل متى فالمؤلف هو الرسول متى أحد الحواريين الاثنى عشر الذين اختارهم المسيح عليه السلام ، والذى كلفهم بتبليغ رسالته إلى بنى إسرائيل ، وهو كما نعرف أيضاً من اليهود الذين آمنوا برسالة المسيح عليه السلام ، وإنجيل متى هو أقدم الأناجيل جميعاً إذ يرجع تاريخ تأليفه إلى حوالى ٦٠ سنة بعد الميلاد على أرجح الأقوال ، وقد ألفه باللهجة الأرامية الفلسطينية ، وهى اللهجة التى كانت مستخدمة فى المحادثة والكتابة آنذاك فى فلسطين .

أما بالنسبة لانجيل مرقص ، فمؤلفه هو القديس مرقص أحد تلاميذ المسيح عليه السلام والمعروفين باسم السبعين ، وقد ألفه على أرجح الأقوال حوالى سنة ٦٣ أو ٦٥ بعد الميلاد باللغة اليونانية وليس باللغة اللاتينية كما يذكر بعض المؤرخين ، وكان تأليفه إياه تحت إشراف أستاذه

بطرس رئيس الحواريين وبإرشاده ، حيث رجع إليه فى بعض حقائقه ، واستمد منه بعض الذكريات وبعض حوادث التاريخ .

وثالث هذه الأناجيل ، هو إنجيل لوقا ومؤلفه هو القديس لوقا ، أحد التابعين ، وقد ألفه على أرجح الأقوال فى العصر نفسه الذى ألف فيه مرقص إنجيله ، أى حوالى ٦٣ ، أو ٦٥ م ، كما كتبه باللغة اليونانية وليس اللاتينية .

أما الإنجيل الرابع فهو إنجيل يوحنا ، الذى ألفه الرسول يوحنا ، أحد الحواريين الاثنى عشر باللغة اليونانية ، وجاء تأليفه حوالى عام ٩٠ ميلادية على أرجح الأقوال ، وهو لذلك أحدث الأناجيل جميعاً ، إذ تفصله عنها مرحلة زمنية كبيرة تبلغ ٣٠ عاماً(١) .

وبشكل عام فإن أهم الأمور التى تشتمل عليها هذه الأناجيل الأربعة تدور كلها فى فلك خمسة موضوعات هى القصص والعقيدة والشريعة والأخلاق والزواج .

ولقد أجمع المؤرخون ودارسو الديانات خاصة المسيحية .. أن هذه الأناجيل الأربعة تتفق فيما بينها فى جوهر الموضوعات السابق الإشارة إليها .. فيما يمتاز الإنجيل الرابع عن غيره بمزيد من التفاصيل فى العقائد والشرائع والتصدى للرد على البدع التى استحدثت فى المجتمعات المسيحية فى عصره وبمزيد من الصراحة فى إثبات إلوهية المسيح وبنوته للأب !!

كذلك توصل معظم الباحثين إلى أنه رغم هذا الاتفاق فيما بين هذه الأناجيل الأربعة فى كثير من التفاصيل ، إلا أنه يبدو خلافها واضحاً إلى حد كبير فى تناول هذه التفاصيل أيضا ، حتى فى القصص نفسها .

وكذلك هناك خلاف كبير بين محتويات هذه الأناجيل وما ذكره القرآن الكريم خاصة عن عيسى عليه السلام وعن ميلاده ورسالته وتاريخه وموته .

ولعل أوضح هذه الخلافات ، كما يقول بذلك الدكتور على عبد الواحد

---

(١) المصدر سابق .

وافى : « إن القرآن الكريم يحدثنا عن كتاب سماوى أنزله الله على نبيه عيسى بن مريم واسمه الإنجيل ، أما هذه الأسفار ، فقد كتبها إناس من البشر وبأقلامهم بعد رفع المسيح عليه السلام بنحو ثلاثمائة عام !

وهذا يعيد للأذهان فكرة إعادة كتابة التوراة بعد رحيل موسى عليه السلام ، مما يؤكد ضلوع اليهود فى تزوير الإنجيل أيضاً ، وكتابة ما فيه من شرائع وقوانين وأحداث تاريخية على هواهم الخاص !!

ولن نذهب بعيداً لأجل تأكيد هذه الجريمة فى مجال تزوير وتحريف اليهود للكتب المقدسة ، بل سوف نستعين فى هذا السياق برأى أحد المفكرين الأوروبيين المسيحيين وهو يدعى « موريس بوكاى » .. الذى تناول هذه القضية بمقاييس العلم الحديث . حيث يقول عن موقف اليهود من الإنجيل على وجه الخصوص :

« يشعر كثير من قراء الأناجيل بحرج وحيرة إلى حد الارتباك الذهنى عندما يتفكرون فى معنى بعض الروايات الواردة فى بعض الأناجيل لوصف أحداث معينة ، ويشعرون بنفس الحرج والحيرة والارتباك الذهنى عندما يجرون مقارنة بين ما يتضمنه هذا الإنجيل وذاك الإنجيل من وصف مختلف لحدث معين ، يعرض له بالوصف أكثر من أنجيل . إن هذه الملاحظة قد أشار إليها أيضاً « الأب روجيه » فى كتابه « مقدمة لدراسة الأناجيل » وهو كتاب أصدرته دار دى سوى فى باريس عام ١٩٧٣ »(١) .

●● القرآن والأحاديث :

مما لاحظناه ونحن نقرأ عن موقف اليهود من الرسالة الإسلامية ، خاصة فى فترة ما بعد هجرة النبى عليه الصلاة والسلام من مكة واستقراره بالمدينة التى كان بها قطاع كبير من بنى يهود ، أن كل الذين كتبوا عن موقف بنى إسرائيل من الإسلام وعقائده قد أغفلوا تقريباً وربما عن غير قصد محاولات هؤلاء اليهود العبث بالقرآن الكريم ومحاولة

(١) التوراة والأناجيل والقرآن الكريم بمقياس العلم الحديث د. موريس بوكاى - ترجمة على الجوهرى .

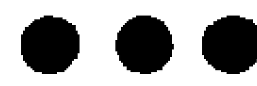
تحريفه جـرياً وراء عاداتهم التى اتقنوها من قبل ، حيث تحـريفهم التوراة والإنجيل !

وقد وجهـوا فقط كل جهودهم لكشف هذه المحاولات المجـرمة فى اتجاه العبث بالأحاديث وتاريخ السنة والسيرة النبوية ، إضافة إلى ما قيل بشأن تورطهم فى كثير مما كتبه المفسـرون خطأ عندما تناولوا تفسير آيات كتاب الله وتأثرهم الشـديد بالفكر اليـهودى وحكاياتهـم التى دأبوا على ترديدها حتى فى كتبهم المزعومة بالقدسية !

والمنعطف الجديد الذى نشير إليه هنا وفى هذا السياق هو تلك المحاولات التى باءت بالفشل من جانب اليهود أو من جانب أنصارهم فى العبث بآيات الله ، وإدعاء بعضـهم النبوة ، وأنه قد أُنزل عـليه قرآن كريم ، كما أُنزل على محمد عليه الصلاة والسـلام !! وذلك بهدف أن يصرفوا الأنظار عن القرآن الكريم الحقيقى والمنزل من قبل رب العالمين .

ولا شك أن هذه الجـريمة التى أقـدم عليهـا يهود المدينة .. لم تنشـأ بين عـشيـة وضـحـاها .. بل مـرت بعدة مـراحل .. دارت جـمـيعـهـا فى فلك محـاولاتهم لضرب الدعـوة الإسلاميـة فى مقتل سـواء فيمـا يخص النبى الكريم ذاته وحيـاته وسيرته ، أو ما يخص العقـيدة الإسلاميـة وكتاب الله المنزل والأحاديث النبوية ..

وكانت البـدايات القوية لتلك المحـاولات منذ وطأت أقدام النبى الشـريفة أرض يثرب ، واختياره الإقامة بها إقامة دائمة .



وفيما يخص محاولاتهم لضرب العقيدة الإسلامية بتزوير الكتاب المقدس والعبث بالأحاديث النبوية الشريفة .. فقد اشتدت تلك المحاولات بعدما فشل يهود المدينة فى النيل من الإسلام ومن رسول الإسـلام بالوسائل التقليدية التى دأبوا على اتـبـاعـها آنـذاك مـثل الجـدل والنفـاق ونشـر الشـائعـات والدسائس .

عندئذ قرر كبار أحبـارهم التوجه بكل ثقلهم إلى القرآن الكريم للنيل منه ومما أنزل به من كلمات وآيات وسور حملها جبريل عليه السلام من السماء إلى قلب رسول الله الكريم .

ونحن نعرف جميعاً أن يهود المدينة كانوا ـ مثل دأبهم دائماً ـ منعزلين فى أماكن وخلف الحصون المنيعة التى حالت دون اتصالهم ، اتصال المنافع وتبادل الثقافات واللغة بين العرب سواء داخل المدينة أو فى خارجها ، وكانت تلك حكمة من الله تعالى .. إذ جعل من هذه العزلة وسيلة مؤكدة لعدم اتقان بنى إسرائيل آنذاك اللغة العربية كما كان يتقنها أصحابها داخل قبائل الحجاز ، وهى اللغة الشريفة التى فضلها رب العالمين لكى ينزل بها القرآن الكريم .

وكما نعرف أيضاً .. فإن اللغة العربية التى اختارها رب العالمين لهذا الغرض ، لم تكن على إطلاقها ، بل خص بها لغة قريش فقط ! وكانت آنذاك اللغة الزعيمة للغة العربية فى كل بلاد الجزيرة العربية مع اختلاف بعض اللهجات .

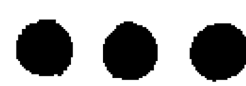
ولما لم يكن اليهود على علم تام بأسرار اللغة العربية وجمالياتها . وهى كما سبق وقلنا هى اللغة التى أنزل بها القرآن الكريم فقد استداروا للبحث عمن يتقن تلك اللغة من القبائل الحليفة .

ولما وجدوه ، اقنعوه بإدعاء النبوة ، وبأنه قد أنزل عليه من السماء قرآن مثلما أُنزل على محمد عليه الصلاة والسلام !!

والغريب أن هذه الدعوة قد لاقت فى نفوس بعض ضعفاء العرب من الذين يشتهون المناصب والغنائم ، رواجاً غير مسبوق ، حيث ظهر فعلاً أكثر من رجل وامرأة من الذين ادعو النبوة ! ونزول القرآن الكريم عليهم !

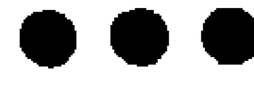
هذه الوسيلة ، قد استراح لها أحبار اليهود وتصوروا أنهم عن طريقها سوف يحققون أغراضهم فى تحريف القرآن الكريم وتزوير بعض آياته ، مثلما فعلوا من قبل مع كل من التوراة والإنجيل .

ولكن الله غالب على أمره .. إذ جعل من القرآن الكريم مؤيداً من قبل السماء فى عدة صور ، بعضها ذكرها القرآن نفسه ، والبعض الآخر بانت معالمه فى حينه .



ولما كنا قد خصصنا هذا الفصل لبيان جرائم اليهود فى مجال تحريف الكتب المقدسة .. فقد فضلنا كذلك أن نلقى بعض الأضواء المبهرة على محاولات اليهود فى شأن تزوير القرآن الكريم .. سواء قديماً ، عن طريق من ندبوهم لادعاء النبوة من بعض قبائل العرب ، أو حديثاً بتزوير بعض طبعات المصحف الشريف .

ولقد رأينا من قبل إتمام هذه الخطوة ضرورة بيان بعض المعلومات المهمةعن القرآن الكريم وعن مشتملاته مثلما فعلنا من قبل مع غيره من الكتب المقدسة .. لأننا نفترض أن هذا الكتاب سوف يقرؤه أيضاً من هم على غير علم باللغة العربية .



لقد بدأ نزول القرآن الكريم على النبى ﷺ فى ليلة القدر من شهر رمضان فى عام ٦١٠ م وكان عليه الصلاة والسلام قد تجاوز الأربعين من عمره ببضعة شهور ، حين جاءه الوحى بالآيات الأولى من سورة العلق، معلنا بداية بعثته عليه الصلاة والسلام(١) .

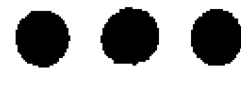
ولما انتهى نزول الوحى .. إيذانا باكتمال نزول القرآن الكريم .. بدأت محاولات جمعه حيث أجمع المؤرخون على أن هذه الخطوة تمت على ثلاث مرات: الأولى فى عهد النبى ﷺ والمرة الثانية فى عهد أبى بكر والثالثة فى عهد عثمان بن عفان رضى الله عنهما .

ولقد ظلت النسخة المتداولة من القرآن الكريم منذ هذا الخليفة وحتى الآن بدون تحريف أو تزوير والحمد لله .. إلا من حالات فردية غبية كانت تدس بين الحين والحين .. ولكن سرعان ما يتم الكشف عنها وفضحها فى حينها .

والقرآن الكريم فى كل المصاحف المتداولة الآن ومنذ عهد عثمان بن عفان رضى الله عنه .. قد رتب ترتيباً إلاهياً وتحت إشراف رسول الوحى جبريل

(١) دراسات فى القرآن والحديث . د. يوسف خليف .

عليه السلام .. إذ لم يكن لبشر تدخل فى هذا الأمر على الإطلاق . حيث يبدأ المصحف المنشور فيه ذلك القرآن العظيم بسورة الفاتحة .. وينتهى بسورة الناس .. وعدد السور سواء المكية أو المدنية تبلغ ١١٤ سورة ما بين طويلة ومتوسطة وقصيرة . وكما نعرف فإن هناك العشرات من الدراسات الميدانية والأكاديمية العظيمة التى تناولت القرآن الكريم فى كل ما اشتمل عليه من سور وآيات بينات .



وحين نعود مرة أخرى لاستبيان محاولات اليهود اليائسة لأجل تحريف القرآن الكريم خاصة فى الفترة الإسلامية الأولى وفى حياة رسولنا الكريم . نكتشف أن بنى إسرائيل ، وكما سبق أن ذكرنا قد عهدوا بهذه المهمة إلى نفر قليل من حلفائهم من العرب المناوئين للدعوة الإسلامية .. نظراً لاستحالة قيامهم بذلك .

ولقد أفردت بعض كتب السيرة أجزاء كبيرة لبيان تلك المحاولات التى دارت كلها فى فلك الادعاءات الكاذبة بالنبوة ! والتى كان يتزعمها آنذاك مسيلمة الكذاب ، وغيره من هؤلاء الذين كانوا يحلمون بالجاه والسلطان على حساب الحق .

ومما جاء فى حق هؤلاء الكذابين من مدعى النبوة ما سطره ابن هشام نقلاً عن ابن اسحاق الذى ذكر : أنه قد تكلم فى عهد رسول الله ﷺ الكذابان مسيلمة بن حبيب باليمامة فى بنى حنيفة ، والأسود بن كعب العنسى بصنعاء .

وقال ابن إسحاق : حدثنى يزيد بن عبد الله بن قُسيط ، عن عطاء بن يسار أو أخيه سليمان بن يسار ، عن أبى سعيد الخدرى ، قال : سمعت رسول الله ﷺ وهو يخطب الناس على منبره ، وهو يقول : أيها الناس ، إنى رأيت ليلة القدر ، ثم أنسيتها ، ورأيت فى ذراعى سوارين من ذهب ، فكرهتهما ، فنفختهما فطارا ، فأولتهما هذين الكاذبين : صاحب اليمن وصاحب اليمامة(١) .

(١) مختصر سيرة بن هشام ـ ج ٢ ـ المجلس الأعلى للشئون الإسلامية .

وبخلاف ذلك هنـاك أكثر من مـؤرخ مسلم قد أشـار إلى ما كـان بشأن هؤلاء الكذابين الذين ادعـوا النبـوة بغيـر حق وبتـدبيـر محكم من يهـود الحجاز !

ومما أشاروا إليـه فى هذا السيـاق قولهم : لقـد كان من أكـثر المتنبـئين خطراً على الإسـلام فى حـياة الـنبى ﷺ مسـيلمـة الكذاب الذى ظهـر فى بنى أسد ، وسجاح وهى امرأة من تميم .

فأما مسيلمة الكذاب .. فقـد زعم أن له قرآنا نزل عليه من السماء ويأتيه به ملك يسمى « رحـمن » وأنه يهبط عليه فـى الظلام لا فى وضح النهار ، ومن قـرآنه الذى زعـمه قـوله : والمبـذرات زرعاً ، والحـاصـدات حصـداً ، والذاريات قمـحاً ، والطاحنات طحناً والعـاجنات عجناً ، والخابزات خـبزاً ، والثاردات ثرداً ، واللاقمات لقماً ، أهالة وسمنا . لقد فضلتم على أهل الوبر وما سبقكم أهل المدر ، ريفكم فامنعوه ، والمعُتر فآووه والباغى فناوئوه » !!

وقوله : « والشـاة ألوانها وأعجـبها السـود وألبانها ، والشـاة السوداء ، واللبن الأبيض إنه لعجب مـحض ، وقد حرم المذق (مزج اللبن بالمـاء) فما لكم لا تمجعون (عجن اللبن بالتمر) ! .

وقوله: « والفيل مـا الفيل ، وما أدراك ما الفـيل ، له ذنب وبيل وخرطوم طويل » !!

وكان كلامه على هذا النمط يجنح فى أكثره إلى سجع الكهان ، وهو واه سخيف لا ينهض ولا يتماسك ، بل هو مضطرب النسج مبتذل المعنى(١) .

أما سـجاح التـميمـية فظهـرت فى بنى تغلب وهم أخوالهـا ، وقد ادعت النبـوة خاصـة بعد وفاة رسـول الله ﷺ وفى خلافـة أبى بكر الصـديق ، ولم تدع قـرآنا وإنما كانت تزعم أنه يوحى إليـها وتسـجع فى ذلك سجـعاً كقـولها ، حين أرادت مـسيلمة الكذاب مـتنبىء اليمـامة : « عليكم باليمـامة ودفوا دفيف الحمامة فإنها غزوة صرامة ، لا يلحقكم بعدها ملامة » .

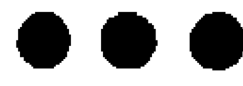
ولكن هناك من المؤرخـين الذين يقـولون إن هذه المرأة قـد ادعت النبـوة

(١) أربعة عشر قرناً مع القرآن الكريم ـ عبد الخالق سيد أبو رابية .

بالفعل ، كما ادعت أنه أنزل عليها قرآن تقول فيه : « يا أيها المؤمنون المتقون . لنا نصف الأرض ولقريش نصفها ولكن قريشاً قوم يبغون » !!

أما ثالث أشهر هؤلاء الأنبياء الكذابين الذين دفعهم اليهود لأجل تحريف القرآن الكريم فكان منهم الأسود العنسى ، والذى كان يلقب بذى الخمار لأنه كان يدعى بأن ملكاً ينزل عليه أسماه « ذا الخمار » .

وكان متنبىء اليمن فصيحاً ومعروفاً بالكهانة والسجع والخطابة والشعر والنسب ، ولا يذكر المؤرخون أن له قرآناً إذ ضاع كلامه ، كما ضاع غيره !



ولما كشف الله زيف هذه النبوءات المدمرة .. فى فترة السنوات الأولى لظهور الإسلام .. بعدما نبه الله إليها الكثير من عباده المؤمنين الذين خلقهم خصيصاً لرعاية كتابه المجيد .

وبعد طرد اليهود الذين وقفوا وراء هذه المحاولات من أرض الجزيرة العربية ، ظل بعضهم يحلم بإعادة هذه الجريمة مرة أخرى !! ولكن على شكل تحريف مقصود فى كتاب الله بالحذف أو بالإضافة .

ولقد تم ضبط عشرات من المحاولات اليهودية فى هذا الشأن خاصة فى العصر الحديث وفى ظل رعاية الأزهر الشريف والجامعات السعودية .. تم إبطال مفعولها والقضاء عليها فى حينها ..

هذه الجريمة ذاتها هى التى دفعت المملكة العربية السعودية لإقامة صرح إسلامى كبير يتولى طباعة كل المصاحف الشريفة ، وكذلك فى مصر على يد رجال الأزهر وتحت إشراف لجان متخصصة التى أنشئت لهذا الغرض .

ومن أشهر المحاولات اليهودية التى تم ضبطها فى حينها بشأن تحريف كتاب الله .. ما جاء فى كتاب « هذا هو القرآن .. وهذا هو الإسلام » والذى يقول فيه مؤلفه أحمد يوسف : « ومن جملة ما شهده العصر الحديث من شرور اليهود .. تلك الجريمة الوقحة فى تحريف آيات القرآن الكريم وطريقتهم فى ذلك أن يحذفوا ما يريدون ، حتى تعطى الآية مدلولاً غير مدلولها ، وحتى تكون العبارة عكس ما يجب أن تكون عليه .

فمثلاً حذفوا من القرآن الكريم بعض الجمل القصيرة ، وحذفوا منها ألفاظاً من أدوات النفى أو النهى . كما صنعوا بالآية الكريمة : ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ لا تَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ وَلا تُخْرِجُونَ أَنفُسَكُم مِّن دِيَارِكُمْ ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ وَأَنتُمْ تَشْهَدُونَ ﴿٨٤﴾ ﴾ [البقرة]

وقد أصبحت بعد الحذف : « وإذا أخذنا ميثاقكم تسفكون دمائكم وتخرجون أنفسكم من دياركم ، ثم أقررتم وأنتم تشهدون » !!!

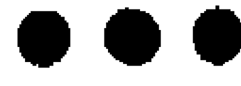
وإزاء هذا التحريف ، ولأجل ترويجه على نطاق واسع قام اليهود بطبع آلاف من نسخ القرآن الكريم المحرف وأرسلوها إلى كافة بلاد العالم ، التى ظنوا أنها فى منأى عن الاكتشاف ، وبالتالى تكون سوقاً رائجة لنشر مثل هذا التحريفات .

وكان من هذه البلاد المغرب وغانا ، واتحاد مالى ونيجيريا وغيرها . وقد انتفض الإسلام ورجاله وعلماؤه للتصدى لهذه الجريمة ، فوجه فضيلة الإمام الأكبر الراحل الشيخ محمود شلتوت ، شيخ الجامع الأزهر الأسبق بياناً لكل المسلمين .. جاء فيه : « لقد تكشفت نوايا إسرائيل الخبيثة وقصدها السيء على دينكم فى طبعها القرآن الكريم ، كتاب الله العظيم فى صورة محرفة ، قامت بتوزيعها فى آسيا وافريقيا .. تريد بذلك القضاء على دينكم ومعتقداتكم .. وذلك حينما فشلت فى تهديم بنيان المسلمين وكيانهم ، عن طريق السياسة والاستعمار . ذلكم لأن السيطرة على القلب وعلى العقل هو المعول الهادم ، الذى يقوض بناء الأفراد والأمم » .

هذا وقد قامت إدارة الأزهر فى أعلى سلطاتها بالاتصال بالشعوب الإسلامية من خلال المجلس الأعلى للشئون الإسلامية لبيان هذا التحريف ، وقد قامت بجمع النسخ المحرفة من شتى هذه البلدان ، ثم قامت بإحراقها .

كما قامت وزارة الأوقاف فى الوقت نفسه بتشكيل لجنة لإعداد ترجمة صحيحة دقيقة لمعانى القرآن الكريم ، وكذلك طبعت نسخاً صحيحة من القرآن الكريم ، ثم أرسلتها إلى مختلف الشعوب المسلمة والتى لا تجيد القراءة باللغة العربية .

وقد نتصور أن محاولات تحريف كتاب الله توقفت ، أو سوف تتوقف من جانب بنى إسرائيل .. بل هى محاولات مستمرة .. فى الوقت الذى تسهر فيه عيون علماء المسلمين لبيان كل تحريف سواء فى الترجمات أو فى النصوص الأصلية أو حتى فى التفسير .



وإذا ما تركنا جرائم اليهود فى مجال تحريفهم الكتب المقدسة .. خاصة القرآن الكريم .. لنتوجه بالحديث عما اقترفته أيديهم أيضاً فى مجال تحريف الأحاديث النبوية الشريفة . سوف نصاب بضيق شديد وخوف وألم مما أصاب المصدر الثانى من مصادر التشريع الإسلامى من تحريفات نجح اليهود وعلى مر العصور فى إحرازها خاصة فى العصور الأولى لتدوين هذه الأحاديث .

وكانت هذه القضية أيضاً هى الشغل الشاغل لآلاف العلماء والمؤرخين المسلمين الذين تفرغوا ولا يزالون يجدّون فى هذه المهمة لأجل كشف هذه التحريفات المضللة فى سُنة رسول الله ﷺ .

وقد أطلقوا على هذه الكتب « كشف الإسرائيليات فى الحديث والتفاسير » .

ومما يؤيد ما توصلنا إليه قول الاستاذ الدكتور محمد رجب البيومى : « لم تخل الأحاديث النبوية الكريمة من شبهات ظالمة تحيق بها بين الحين والحين ، إذ يرجف بها قوم لم يبلغوا من أصالة العدم حداً يقف بهم موقف المطمئن الواثق ، فيسرعون إلى تسطير ما تهجس به نفوسهم دون تريث . ولكن الراسخين فى العلم من ذوى البصر الثاقب بتاريخ الحديث والمحدثين كانوا ولا يزالون يؤدون حق الله فى تمحيص الحقائق وإزالة الأراجيف ، فما يهتف شاك بقول مخطىء حتى تجد السنة المطهرة أنصارها الغيُر من قوم علموا الحق فأذاعوه ورأوا الباطل فناوأوه »[١] .

(١) البيان النبوى ـ د. محمد رجب البيومى ـ سلسلة نداء الإسلام وموسوعة الفكر الإسلامى .

ويبدو أن ظروف تدوين هذه الأحاديث وارتباطها بتدوين سيرة رسول الله ﷺ فى القرن الثانى الهجرى كان له دخل كبير فى إحراز هذا التقدم من جانب اليهود فى مجال الأحاديث النبوية ، إذ من الشائع أن السُنة النبوية المطهرة ظلت ، ولأكثر من قرن من الزمان فوق شفاه وداخل حناجر المئات من صحابة رسول الله ومن التابعين .

حيث قيل أن رسول الله ﷺ قد أمر بعدم تدوين هذه الأحاديث الشريفة فى حياته خوفاً من التباس الأمر فى صدور المسلمين بينها وبين القرآن الكريم ، على أن الدكتور محمد رجب البيومى يقدم العديد من الأدلة التى نتبين منها أن الرسول الكريم ، قد أمر العديد من أصحابه بتدوين هذه الأحاديث، ولكن ليس بالكثرة المطلوبة .

ومهما يكن من أمر هذا الخلاف فإن الوقائع التاريخية قد أثبتت أن اتساع رقعة الدولة الإسلامية فى عهد الدولة الأموية . ودخول جنسيات متعددة ، وشعوب كثيرة فى دين الله أفواجاً ، واندساس اليهود وسط هذه الشعوب كان له تأثير كبير فى وضع المئات من الأحاديث المكذوبة ، والتى نسبت ظلماً لرسول الله ﷺ .

وفى عصر التدوين ذاته والذى قيل أنه بدأ مع عهد الخليفة عمر بن عبدالعزيز ، بدأت أولى خطوات تدوين السيرة النبوية والاشتغال بعلم التفسير. مما أتاح الفرصة أكثر ليهود هذه الأزمنة من التدخل بقوة لأجل التحريف بالزيادة والنقصان . وهذا ما سوف نلقى عليه الأضواء المبهرة كذلك فى الفقرات القادمة .

لقد أكد معظم الذين كتبوا تاريخ التشريع الإسلامى أن عمر بن عبدالعزيز كان فعلاً أول من أشار بجمع الحديث ، حيث أمر الإمام محمد ابن شهاب الزهرى فى عام ١٣٤ هـ للاشتغال بهذه المهمة .

فكان أول من دون الحديث فى كتب خاصة غير مبوبة ، ثم شاع التدوين بعد ذلك فى الجيل الثانى فنشط ابن جريج عام ١٥٠ هـ وابن إسحاق عام ١٥١ هـ والربيع بن صبيح عام ١٦٠ هـ ومالك وغيرهم ، إلى أن جاء

القرن الثالث الهجرى فظهرت الكتب الصحاح الذائعة الصيت ، مستندة إلى ما تطلبه التقدم الفكرى من اتخاذ مناهج خاصة بكل محدّث[1] .



وفى ظل هذه الحركة الفكرية الجديدة التى عمت العالم الإسلامى تسربت ما عرف باسم الإسرائيليات كما وصفها علماء التفسير والحديث .. والتى كانت تعنى تلك الأساطير والأحاديث المنقولة عن مصادر يهودية على كثرة ونصرانية على قلة ، كما توسع البعض على حد قول الدكتورة آمال ربيع ، فعُد دسائس أعداء الإسلام من اليهود وغيرهم فى التفسير والحديث من قبيل الإسرائيليات كذلك ، وذلك من باب التغليب للطابع اليهودى على غيره .

إذ أن معظم ما يروى من هذه الأساطير يرجع فى مصدره إلى أصل يهودى ، كما كان أول منْ نشرها بين المسلمين من الذين عاشوا إلى جوار المسلمين فى المدينة .

وهذا ما أكده أيضاً الدكتور محمد حسين الذهبى فى كتابه الإسرائيليات فى التفسير والحديث .

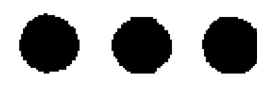
ولا يجب أن ننسى أن نشير فى السياق نفسه إلى أن الوجود اليهودى فى شبه الجزيرة العربية كان له بالطبع أثره الثقافى والفكرى القوى على العرب سواء قبل الإسلام أو بعده ، كما امتدت هذه الآثار إلى خارج شبه الجزيرة العربية ، بعد نجاح الرسول الكريم ﷺ فى طرد يهود المدينة إلى خارجها ، وانتشارهم فى ربوع بلاد الشام وغيرها .

إضافة لكمية الحقد التى كانت تملأ صدور بنى إسرائيل تجاه الإسلام والمسلمين . سواء لموقف الإسلام من دعواتهم المزيفة أو لموقف الرسول والمسلمين فى المدينة من مؤامراتهم ودسائسهم ، ومواقفهم العدائية من الرسالة ومن صاحبها .

وتشير الدكتورة آمال ربيع فى كتابها « الإسرائيليات فى تفسير الطبرى» . إلى بُعد هام آخر ساهم كثيراً فى نجاح اليهود فيما وصلوا إليه

(١) المصدر سابق .

بشــأن إجادة تحـريفهم للأحـاديث النبـوية الموضوعـة وتدخلهم المخل فى تاريخ السـيرة وفى أصـول التفـسير . فـتقـول : « لم تكن درجة الضـبط والدقة والتثبت فى الروايـة واحدة فى جميع مراحلها ، فقـد كان الصحابة رضوان الله عليـهم أكثر دقـة وعدلاً وأمانة فى رواياتهم عـمن تلاهم حتى فشا الوضع والكذب فى عصر التابعين خدمة للأغراض والأهواء »[١] .



كل هذه العوامل وغـيرها ساهمت كثـيراً فى نجاح اليهـود للوصول إلى ما كانوا يحلمون به بشـأن إحراز تقدم فى مجال حرفتهم المجرمة .. تزوير وتحريف كل ما هو مقدس ودينى !

وللأسف كانت الضحية هذه المرة بعض الأحـاديث النبوية الشريفة التى دست على رسول الله بغير حق ، وهناك من المؤرخين من الذين يرون أيضاً أن فرق الشيعة التى بدأت تظهـر وبقوة بعد مقتل على بن أبى طالب رضى الله عنه ، كانت لهـا دور بقيادة عبـد الله بن سبأ اليـهودى . فى وضع هذه الأحاديث المكذوبة، واختلاق أحاديث كثيرة، فى فضائل على بن أبى طالب ، والتى رفعته إلى درجة « الألوهية » والعياذ بالله .

كمـا كان العراق أول بـيئة نشـأ فيهـا هذا الوضع على حد قـول الإمام الزهرى رضى الله عنه . صاحب هذه المقولة المشهورة : « يخرج الحديث من عندنا شبراً ، فيرجع إلينا من العراق ذراعاً !! »[٢] .

وكذلك ذكـر العلمـاء ثلاثة أسبـاب رئيسيـة فى وضع الأحاديـث ضمن مجموعة كبيرة من هذه الأسباب .

وكمـا سبق أن ذكـرنا فقـد قيض الله المئـات من العلماء المسلمـين الذين انتبـهوا لهذه الجرائم ـ وأخـذوا فى تفنيد وكشف أركانهـا .. بل ونشر كل ما أصبحوا يشكون فيه من الأحاديث الموضوعة التى يقف وراءها اليهود .

---

(١) الإسرائيليـات فى تفسير الطبـرى ـ دراسة فى اللغة والمصادر العـبرية ـ د. آمال عبـد الرحمن ربيع ـ مطبوعات المجلس الأعلى للشئون الإسلامية .

(٢) الإسرائيليات والموضوعات فى كتب التفاسير قديماً وحديثاً ـ سعد يوسف أبو عزيز .

ليس هذا فقط ، بل ووضعوا القواعد العامة لتقسيم الحديث وتمييزه ، من صحيح وحسن وضعيف ، ومن مرسل ، ومنقطع وشاذ ومنكر .

ثم ذكروا أيضا علامات كثيرة للوضع فى السند والمتن ، وقد ملئت بها الأسفار على حد قول الدكتور محمد رجب البيومى ، كما أفردوا كتباً خاصة بالأحاديث الموضوعة مثل « اللالىء المصنوعة فى الأحاديث الموضوعة » . و« تمييز الطيب من الخبيث فيما يدور على ألسنة الناس من الحديث» ، وهى كتب وضعها الأئمة من كبار المحدثين فى الإسلام .

وكانت تلك من أقوى خطوط الدفاع الحصينة ضد جرائم اليهود فى مجال تزوير السنة الشريفة المطهرة ، بل وستظل كذلك إلى ما شاء الله .

●● السيرة والتفسير :

والحديث عن جرائم اليهود فيما اقترفته أيديهم فى مجال تحريف الكتب المقدسة وما ارتبط بها من ملحقات خاصة فى الشريعة الإسلامية ، لن يبتعد كثيراً حين نشير فى السياق نفسه ، لتلك المحاولات القذرة التى قاموا بها وأشياعهم فيما يخص سيرة المصطفى ﷺ .

هذه السيرة النبوية العطرة التى كان مصدرها على الإجماع هو القرآن الكريم الذى حكت آياته وسوره الكريمة الشىء اليسير والعظيم عن حياة هذا النبى الكريم .

وهو مصدر مهم وقد وقف حائلاً كالطود العظيم فى وجه محاولات اليهود لتحريف وتزوير سيرته الشريفة .

ثم كان المصدر الثانى لهذه السيرة النبوية ، وهو ما قيل بشأنه فى الأحاديث النبوية وما ارتبط بأفعاله وصفاته وتقرير نسبه وحياته ومماته ، عليه الصلاة والسلام .

ونظراً لكون هذا المصدر قد اعتمد على الشفاهيات أكثر مما هو مكتوب .. إذ نقل الصحابة والتابعون كل نشاطه عليه الصلاة والسلام فى جميع

ميادين الإصلاح الفردى والجماعى .. لذا فقد كان من الأبواب الواسعة التى نفذت منها كل محاولات اليهود لتشويه هذه السيرة العطرة ، تنفيساً عما كان فى صدورهم وصدور أجدادهم وأحبارهم الأوائل من حقد عليه وعلى رسالته عليه الصلاة والسلام .

وربما ارتباط هذا المصدر بالقصص التى أتقنها هؤلاء اليهود منذ زمن طويل وملأوا بها توراتهم المحرفة ، كان بابا آخر أكثر إتساعاً لدخول الإسرائيليات فى سيرته الشريفة ، وهو عنها براء .

ويشير العديد من المؤرخين أن أصحاب رسول الله ﷺ فيما يخص هذا المصدر بالذات قد التزموا بما نهى رسول الله عنه حيث قال ﷺ فيما رواه مسلم « لا تكتبوا عنى ، ومن كتب عنى غير القرآن فليمحه ، وحدثوا عنى ولا حرج ، ومن كذب علىّ متعمداً فليتبوأ مقعده من النار » .

لذلك وبعد وفاته عليه الصلاة والسلام لم تكن هناك مصادر للسيرة غير القرآن الكريم كما سبق أن ذكرنا وما وعاه الصحابة من أحاديثه حتى جاء عمر بن عبد العزيز ، الذى أمر بجمع الأحاديث النبوية الشريفة .

وهذا يعنى فى المقام الأول أن سيرته عليه الصلاة والسلام وما كُتب عنه بشأنها قد ارتبطت أولاً وأخيراً بفترة جمع الأحاديث النبوية على عهد هذا الخليفة العادل .

ولقد سبق لنا التنويه من قبل أنها كانت فترة مليئة بأجناس وشعوب كثيرة دخلت إلى الإسلام ، واختلط فيها أعداء الإسلام ، وأحباؤه !

وكانت تلك فرصة بنى إسرائيل الذين اندسوا وسط هذه الشعوب وهذه الأجناس للدس للإسلام والتزوير والتحريف فيه ، وكانت الأحاديث النبوية وكذلك السيرة والتفسير من أخص ما تعرض لهذه الجرائم ، إذ لم تقتصر حركة التدوين آنذاك على السنة فقط ، بل كان كل ما اتصل بحياته عليه الصلاة والسلام من أخبار مهما كانت مصادرها !!

ولقد شغلت هذه القضية العديد من المفكرين والمؤرخين فى العصرين القديم والحديث لبيان أركانها ، إذ يرى الدكتور محمد حسين هيكل فى

مطلع حديثه عن زمن جمع الأحاديث النبوية والأمثال من جانب المفكرين المسلمين الأوائل على كتابة سيرة المصطفى عليه الصلاة والسلام ، أن هذه الأحاديث الموضوعة والتى كانت أساس كتابة سنته الشريفة بالذات قد كثرت ، كثرة راعت المسلمين ، لمنافاة الكثير منها لما فى كتاب الله .

ولم تنجح المحاولات التى بذلت لوقفها فى زمن الأمويين ، فلما كانت الدولة العباسية ، وجاء المأمون بعد قرابة قرنين من وفاة النبى كان قد أذيع من هذه الأحاديث الموضوعة عشرات الألوف ومئاتها . إذ ذاك قام الجامعون بجمع الحديث وتولى كتاب السيرة كتابتها(١) .

ويستشهد الدكتور هيكل على ما وصل إليه من نتائج .. بأن الواقدى وابن هشام والمدائنى وهم من أعمدة كتاب السيرة وقتذاك قد كتبوا مؤلفاتهم أيام المأمون .. وهو نفسه العصر الذى امتلأ فيه بلاط العباسيين بالآلاف من اليهود سواء المتأسلمين أو المتمسكين بديانتهم !

ولم يكن لهؤلاء ولا لغيرهم أن ينازعوا الخليفة فى آرائه مخافة عقابه ، لذلك لم يطبقوا ما يجب من الدقة هذا المقياس الذى روى عن النبى من وجوب عرض ما يروى عنه على القرآن ، فما وافق القرآن فمن الرسول .. وما خالفه فليس منه .

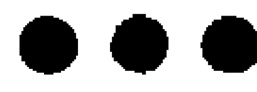
ولعل العلامة العظيم ابن خلدون قد وضح لنا بشىء من التفصيل فى مقدمته الشهيرة أسباب نجاح اليهود فى دس الإسرائيليات سواء فى الأحاديث الموضوعة أو السيرة أو التفسير ، وذلك فى قوله : « وقد جمع المتقدمون فى ذلك وأوعوا ، إلا أن كتبهم ومنقولاتهم تشتمل على الغث والثمين والمقبول والمردود ، والسبب فى ذلك أن العرب لم يكونوا أهل كتاب ولا علم ، وإنما غلبت عليهم البداوة والأمية .

وإذا تشوقوا إلى معرفة شىء مما تتشوق إليه النفوس البشرية فى أسباب المكونات ، وبدء الخليقة ، وأسرار الوجود ، فإنما يسألون عنه أهل

(١) من مقدمة كتاب حياة محمد - د. محمد حسين هيكل .

الكتـاب قبلهم ، ويسـتفـيدون منهم ، وهم أهل التـوراة ومن تبع دينهم من النصارى.

وأهل التوراة الذين بين العرب يومئـذ بادية مثلهم ، ولا يعرفون من ذلك إلا ما تعـرفه العامـة من أهل الكتاب ، ومعظمـهم من حميـر ، الذين أخذوا بدين اليـهـودية ، فلمـا أسلمـوا بقـوا على مـا كـان عندهـم مما لا تعلق له بالأحكام الشرعيـة التى يحتاجون لهـا ، مثل أخبار بدء الخليـقة وما يرجع إلى الحدثان والملاحم ، وأمثال ذلك هؤلاء : كعب الأحبار ، ووهب بن منبه ، وعبد الله بن سلام وأمثالهم»(١) .



ولو أعدنا قـراءة ما سطره ابن خلدون فى هدوء وروية .. لاسـتطعنا أن نضع أيدينا أيضا على ما أصاب التفسـير القرآنى من تحريف اليهود . وهو بذلك قـد جمع بين حـديث تحريف الأحـاديث الشـريفة والسـيرة النبـوية وتفسير القرآن الكريم .

وما نود أن نشـير إليه من قـبل الانتقال لـلحديث المفصل عن تحـريفات اليهود والتى أطلق عليها المؤرخون لفظ الإسـرائيليات ، نؤكد أن أعمدة كتب السـيـرة والموجـودة بين أيدينا إلـى الآن ، لا تزال بهـا الكثـيـر من هذه الإسرائيليـات ، وإن حاول أكثر من مـؤرخ أن ينقى هذه النسخ بما علق بها من محاولات اليهود لتحريفها .

وقـد اضطلع بهـذا الدور الخطيـر كل من تصدى لـتحـقـيق هذه الكتب القديمة التى تحدثت عن السيرة النبوية الشريـفة سواء ما كتبه ابن إسحاق أو ابن هشام أو الواقدى أو غيرهم .

أضف إلى ذلك محـاولات بعض المؤرخين التابعين وتابعى التـابعين من الذين اشتغلوا بالفقه الإسلامى وتاريخـه .. من أمثال الإمام الشافعى وابن حجر وابن تيمية وجمال الدين الأفغانى والشـيخ محمد عبده ومحمد رشيد رضـا .. وهم من رواد مدرسـة التفسير الحديث الذين وقـفوا موقف الحذر مما كتبه اليهود ، فى إسرائيلياتهم سواء فى السيرة أو فى التفسير .

(١) من مقدمة ابن خلدون .

ولا ننسى فى هذا السياق الإشارة إلى ما قام به الدكتور محمد حسين هيكل ، الذى حاول جاهداً .. الخروج على نمط الإسرائيليات فى كتب السيرة النبوية . وقد بدا ذلك بوضوح فى كتابه « حياة محمد » . الذى طبع لأول مرة فى عام ١٩٣٣ .



وإذا كانت محاولات المؤرخين لكشف تحريف اليهود فيما أضافوه خاصة فى مجال الأحاديث النبوية والسيرة الشريفة ، قد أخذت جهداً كبيراً ووقتا ثميناً من هؤلاء .. فإن جهدهم الأكبر قد بدا بوضوح فى تصديهم لكشف هذه الإسرائيليات فى مجال التفسير ..

وهذا يتضح بجلاء من خلال مجموعة الكتب والدراسات الأكاديمية والرسائل الجامعية المتعددة والمتنوعة سواء فى مصر أو فى غيرها من البلاد العربية والإسلامية ، والتى صدرت وتصدر تباعاً .

ولقد تفضل العديد من هؤلاء فى نفس إصداراتهم المشار إليها من بيان معنى التفسير وأهدافه ومدارسه وأهم أقطابه ورواده على مدى العصور الإسلامية . وذلك على سبيل التأصيل وتقديم الممكن والمتاح لإجلاء ما التبس على الناس ولفترات طويلة وحسبوه من التفسير الصحيح .

ولقد مر علينا آنفاً كيف شغلت هذه القضية مؤرخين كثيرين من أمثال ابن خلدون وغيره .

بل وتفضل فريق غيرهم لبيان أشهر الذين تصدوا لتفسير القرآن الكريم من اليهود سواء من الذين أسلموا أو الذين تأسلموا !!

وقد انحصر هؤلاء فى ثلاث شخصيات إسلامية هى عبد الله بن سلام ابن الحارث الإسرائيلى الأنصارى وهو من ولد يوسف بن يعقوب عليهما السلام ! وقد أسلم عند مقدم النبى ﷺ إلى المدينة .

وتؤكد الدكتورة آمال ربيع بأنه ليس هناك اتهامات بالتحريف يمكن أن توجه إليه .. على نحو ما نجده تجاه كعب الأحبار ووهب بن منبه ، كما لا نجد من طعن فى علمه من القدماء أو المحدثين إلا من كان من الكتاب

المتأخرين الذين تأثروا بمقولات المستشرقين ونوايا هؤلاء ، وبخاصة اليهود منهم تجاه الإسلام والنبى والصحابة .

وهى تردد نفس ما قاله محمد بن أبو شُهبة فى كتابه « الإسرائيليات والموضوعات فى كتب التفسير » .

أما الشخصية الإسلامية الثانية والتى أثير حولها شبهات بشأن تحريف تفسير كتاب الله بصفته من اليهود فهو كعب الأحبار المدعو تاريخياً كعب بن مانع بن عمرو بن قيس من آل ذى رعين ، وقيل الطلاع الحميرى ، ويكنى بأبى إسحاق ، وأصله يهودى من اليمن .

وقال أنه أدرك الجاهلية وأسلم فى خلافة أبى بكر ، وقيل فى خلافة عمر بن الخطاب ، وقيل فى عهد الرسول ﷺ . وقد كان الصحابة كابن عباس وأبى هريرة وغيرهما يروون عنه .

وهناك من المؤرخين الذين يؤكدون بأنه لا يُتهم بالكذب فيما كان يفسره أو يرويه من أحاديث شريفة .. ولكن هناك فريقاً آخر يحمله مسئولية كبيرة فى نقل الروايات الإسرائيلية عن أسلافه دون تمحيص ، وكان الأجدر به أن يتمثل بقول النبى ﷺ فيما رواه مسلم :

« من حدث بحديث يرى أنه كذب ، فهو أحد الكاذبين » .

والثالث هو وهب بن منبه .. المعروف بأبى عبد الله ، وهب بن منبه بن سيبح بن ذى كناز اليمانى الصنعانى ، وكان أبوه من أبناء فارس ، وقد أسلم والده فى عهد النبى ﷺ ، وجاءت ولادة ابنه وهب فى خلافة عثمان .

وقد روى عن أبى هريرة وأبى سعيد الخدرى ، وابن عباس وابن عمر وآخرين ، وهو أيضاً من الذين يحملهم المؤرخون مسئولية إدخال الإسرائيليات بما فيها من قصص باطلة إلى كتب التفسير .

وتؤكد الدكتور آمال ربيع على خطورة دخول الإسرائيليات إلى كتب التفسير بقولها : « كان لهذه الإسرائيليات التى أخذها المفسرون عن أهل الكتاب وشرحوا بها كتاب الله تعالى أثر سيء فى التفسير ، إذ كان هذا المنهج مدخلاً لدخول كثير من الأباطيل والأساطير التى نسبت إلى رواة

الإسرائيليات من أمثال كعب ووهب وغيرهما .

كما أدى دخول مثل هذه الأباطيل إلى النظر بعين الشك والريبة والاتهام لمن قام برواية الإسرائيليات بشكل عام .

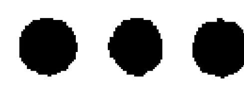
وتضيف الدكتورة آمال ربيع : وما زاد الطين بلة أن انتهز الوضاعون والزنادقة وضعاف الإيمان الفرصة فنسبوا هذه الإسرائيليات إلى النبى ﷺ . وكان من نتيجة هذا كله ، أن ركز المستشرقون والمبشرون على هذه الإسرائيليات وما لصق بها من موضوعات للطعن فى الإسلام وتصويره كدين ملىء بالخرافات التى لا يقبلها المنطق والعقل .

بل وذهب فريق آخر من المستشرقين اليهود إلى إبراز حجم هذه الإسرائيليات فى كتب التفسير ، وبنوا عليها نتيجة خطيرة وهى أن محمداً ﷺ قد أخذ من علماء اليهود وأحبارهم وأسفارهم دينه بالكامل !!

وما دام الأمر كذلك فعلى المسلمين أن يؤمنوا بضرورة وحتمية عودة شعب الله المختار إلى أرض الميعاد(١) .

ولكى تبرهن الدكتورة آمال على ما وصلت إليه من نتائج خطيرة ، فقد تناولت بالدراسة المقابلة والمقارنة ما كتبه الطبرى فى تفسيره متأثراً بهذه الإسرائيليات ، وقد اعتمدت فى بيان هذه المقارنة على نصوص المصادر العبرية التى انتقلت منها هذه الإسرائيليات مثل بعض أسفار العهد القديم وكتب المدراشيم « التفاسير » العبرية وبعض فصول التلمود ..

والجديد الذى تقدمه الباحثة فى هذا الكتاب المهم .. هو اعتماد هذه المقارنات على ما جاء فى كتب اليهود بلغتهم المكتوب بها هذه الإسرائيليات وهى العبرية . ثم ترجمتها إلى اللغة العربية . وبيان مدى التطابق فيما بينهما .



ورغم اتفاق علماء المسلمين على أن هناك أقساماً أربعة للتفسير وفق ما جاء على لسان ابن عباس رضى الله عنه ، وهى « حلال وحرام لا يعذر

(١) الإسرائيليات فى تفسير الطبرى - مصدر سابق .

أحد بجهالته ، وتفسير تفسره العرب بألسنتها ، وتفسير تفسره العلماء ، وتفسير لا يعلمه إلا الله » .

إلا أن هؤلاء العلماء قد اتفقوا كذلك على أن أخطر مصدر تسربت إليه تلك الإسرائيليات كان فى مجال القصص ، خاصة ما ارتبط بقصص الأنبياء ، وقصة الخلق والإيجاد .

ويبين لنا الشيخ أحمد مصطفى المراغى السبب وراء انتشار هذه الظاهرة خاصة فى مجال القصص فيقول فى مجمل حديثه عن نقده والتحذير من هذه الإسرائيليات المنتشرة فى كتب التفاسير : « أشار الكتاب الكريم إلى كثير من تاريخ الأمم الغابرة التى حل بها العذاب على اجتراء الآثام ، وإلى بدء الخليقة وتكوين الأرض والسماوات ، ولم يكن لدى العرب من المعرفة ما يستطيعون به شرح هذه المجملات التى أشار إليها الكتاب الكريم. إذ كانوا أمة أمية فى صحراء نائية من مناهل العلم والمعرفة . والإنسان بطبعه حريص على استكناه المجهول واستيضاح ما عزت عليه معرفته ، فألجأتهم الحاجة إلى الاستفسار من أهل الكتاب من اليهود والنصارى » .

الفصل الرابع

.. محـاربتهـم
الأديان السماوية

هناك من الأفكار التى تظل عالقة بالذهن لفترات زمنية طويلة، وتحتل موقع الصدارة خاصة فى مجال الصدق والصحة ، وقد تكون غير ذلك إذ يكشف عن زيفها وعدم صحتها أو دقتها المزيد من الاطلاع أو المناقشة .

وفى غالبية الأحوال تدور معظم هذه الأفكار فى فلك حوادث التاريخ ، وبعض ثوابت العلوم التى يكون مقر الكشف عن عدم صحتها المعامل واتباع النظريات .

ومن بين الأفكار التى احتلت مكان الصدارة فى مجال الصدق والصحة.. الاعتقاد بأن بنى إسرائيل كانوا ولا يزالون أشد أعداء الديانتين المسيحية والإسلامية فقط !..

ولكن وبالإطلاع على تاريخ اليهود والغوص فيما يخص ما ارتكبوه من جرائم ، تبين لنا أنهم كانوا أكثر عداء للدين اليهودى بل وأكثر خطورة على هذا الدين ممن لم يؤمنوا به ، سواء فى العصور القديمة أو الحديثة !

ولقد ظل هذا العداء مطموراً بين طيات صدورهم وتحت ملابسهم وداخل قلوبهم .. فترات زمنية طويلة حتى قيض الله لدينه الحنيف من يدافع عنه ، وذلك عندما جاء الوحى بالقرآن الكريم الذى كشفت آياته وسوره الكريمة هذا العداء السافر من جانب اليهود لدينهم الحنيف ، بل ولبقية الأديان السماوية ، ولكل ما أتت به من كتب منزلة من رب العالمين .

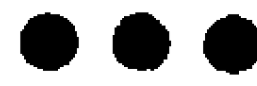
ولما انكشف هذا العداء الإسرائيلى لكل ما هو منزل من السماء ، كان من المفترض أن تتكاتف كل البشرية للوقوف فى وجههم وفضح هذا العداء ،

ولكن للأسف وعن طريق التحريف والتزوير استطاعوا الإفلات من هذا العقاب الجماعى ..

وبالحيلة والدهاء تمكنوا من أن يحيّدوا أصحاب وأتباع الديانة المسيحية بل ويجعلوهم ، الدرع الواقى لهم فى صراعهم مع المسلمين الذين حملوا ولا يزالون يحملون وحدهم عبء الدفاع عن دين الله سواء اليهودية أو المسيحية أو الإسلام .

ومن جانب آخر استسلم هؤلاء لتلك الحيل وهذه الوسائل الخداعة التى أبداها ويبديها اليهود فى كل عصر حتى صاروا فعلاً أتباعاً لهم ولدينهم وإن لم يعلنوا ذلك صراحة .

بدليل ظهور العديد من الكتابات والمؤلفات والدراسات التى أخذت تروج لما يسمى الآن بالمسيحية اليهودية ، خاصة فى الغرب وفى أمريكا بالذات .



ومما سبق يتضح لنا أنه يمكن إضافة جرائم جديدة فى عصر الديانات .. قد ارتكبها بنو إسرائيل .. وجميعها ترتبط بقوة بما فعلوه وارتكبوه فى حق دين الله الحنيف سواء فى صورة الدين اليهودى أو المسيحى أو الإسلام .

ولسوف يتضح لنا ذلك أكثر عندما نتناول بالتفصيل بيان هذه الجرائم وأركانها وأصولها ونتائجها أيضاً . ولسوف يكون سبيلنا نحو إثبات ذلك هو ما سطره اليهود أنفسهم وما سجلوه فى كتبهم وما نقله عنهم المؤرخون فى مختلف العصور .

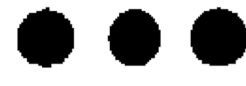
محاربة اليهودية :

نستطيع أن نقول وبشكل فيه تأكيد ، بأن عداء اليهود للأديان السماوية الثلاث قد مر بمرحلتين هامتين : المرحلة المرتبطة بظهور هذه الديانات .. ونعنى بها أيام وشهور وسنوات وجود الرسول أو النبى الخاص بكل ديانة .

أما المرحلة الثانية ، فهى التى تبدأ فور رحيل هذا النبى أو ذاك، وتستمر

ربما حتى أيامنا هذه ، وكان سبيلهم لمحاربة هذه الأديان وفى هاتين المرحلتين .. القيام بتحريف الكتب المقدسة .. ثم محاربة نبى هذا الدين، بل ومحاولة البطش به والقضاء على حياته فى حينها .. وذلك لاعتقادهم الأسود بأن القضاء على نبى هذا الدين أو ذاك سوف يعجل باختفاء رسالته التى يدعو من خلالها إلى الوحدانية .

ونراهم من خلال أعمالهم المجرمة خلال هاتين المرحلتين يركزون أكثر على تحريف الكتب المقدسة .. ذلك لأن الله غالب على أمره فيما يخص حمايته تعالى لأنبيائه من أصحاب الرسالات الثلاث . وهذ قضية أشرنا إليها من قبل وبكل التفاصيل .



وعندما نحاول الاقتراب من بيان جرائم اليهود ضد الأديان السماوية ، وما يخص بالذات عداءهم للدين اليهودى .. نجد أن تلك الجرائم قد تعدت بمراحل عداءهم للديانة المسيحية والإسلامية . وفى ذلك غرابة شديدة ! ، إذ سوف يبدو لنا من خلال المتابعة الجيدة أن عداءهم للدين الإسلامى والمسيحى قد توقف فقط عند اتجاهين أساسيين . هما التحريف ومحاولة قتل كل من عيسى ومحمد عليهما السلام !

أما عندما نتحدث عن جرائمهم ضد الديانة اليهودية سوف يتضح لنا أنهم قد سلكوا أكثر من اتجاه فى حربهم ضد هذا الدين الحنيف .

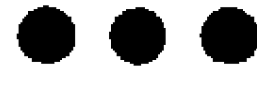
فإلى جانب موقفهم الشائن والغريب والعجيب من شخصية موسى عليه السلام .. وهجومهم الدائم عليه واتهامهم إياه بأنه قد أخرجهم من أرض مصر التى كانت توفر لهم اللبن والعسل .. حيث أتى بهم إلى أرض جرداء صحراء ، ليس فيها ماء ولا زرع !!..

فقد تجرأوا أيضاً على أخيه هارون عليه السلام ورموه بإتهامات باطلة.. بل وثاروا عليه وكادوا أن يفتكوا به كما ذكر ذلك القرآن الكريم !

ثم ثالثاً : استداروا للنيل من شيوخهم الكبار وأحبارهم الذين آمنوا بالله الواحد الأحد .

ليس هذا فقط ، بل وارتكبوا جرائم قتل غير إنسانية فى حق بعض أنبياء

الله الذين أرسلوا من بعد موسى عليه السلام لهدايتهم ، ولإعادتهم لطريق الحق بعد الضلال !، وأيضاً فقد سبق لنا بيان هذه الجرائم وبشكل مفصل .



ولا شك أن حروب اليهود ضد الديانة اليهودية . قد بدأت بالفعل منذ أن وطأت أقدامهم أرض سيناء . هذه الحروب تجلت فى أكثر من صورة .. كان في مقدمتها .. معاندة موسى عليه السلام ومخالفة ما جاء به من تعاليم سماوية استهدفت هدايتهم والإيمان بالله .

ولم يتوقف أمر هذا العناد عند حد بعينه . بل فاق كل التصورات وما تأكد داخل النفس البشرية عبر كل العصور .. سواء من قبل عصر الرسالات أو من بعدها !. حيث تآمروا ضد هذا النبى ثم حاولوا البحث عن إله آخر يعبدونه فى غيابه ! .

وكذلك فعلوا مع أخيه هارون الذى فشل فى إثنائهم عما عقدوا العزم عليه ، وتاريخ الديانة اليهودية وما جاء فى توراتهم المزورة وما ذكره القرآن الكريم أيضاً .. يبين لنا مظاهر هذا العناد ، وأصول تلك الحرب التى أعلنوها على الدين اليهودى ، وحتى فى وجود نبيهم موسى عليه السلام .

فقد تصور هؤلاء النفر من الناس أنهم أقوى من موسى وهارون وقد كانوا بالأمس القريب فى موضع ذلة وضعف أمام فرعون الذى أذاقهم سوء العذاب ، وقد نسوا ذلك .. بل وأرادوا أن يقتصوا من نبى الله موسى عليه السلام .. لأنه أخرجهم من مصر .. التى عاشوا فيها لسنوات طويلة . واستمتعوا بخيراتها المتعددة .

بل ونراهم فى خضم هذه الحرب .. يطلبون من نبيهم الكريم أن يوفر لهم العيش الكريم والماء العذب .. وهم وسط هذه الصحراء الجرداء .. وكأنما كانوا يختبرون مدى علاقته بالله رب العالمين . وبالتالى مدى استجابته لطلباتهم المتكررة ! .

إن قصة بنى إسرائيل مع نبيهم موسى عيه السلام .. وأخيه هارون مليئة بالتفاصيل التى تبرهن على كراهية هؤلاء القوم المجرمين لدين الله

الذى أنزله على نبيه موسى عليه السلام .

هذه الكراهية هى التى قادتهم للأسف إلى ارتكاب جناية تحريف كتابهم المقدس ، بل وكل الكتب الدينية والسماوية المقدسة !

وهذه الكراهية وتلك الحرب . كانت فى الوقت ذاته المقدمة الحقيقية لبقية حروبهم ضد الأديان الأخرى ، وعلى رأسها الدين الإسلامى والمسيحى ، وهو ما سوف نشير إليه تفصيلاً خلال هذا الفصل أيضاً .

وما نريد أن نؤكده فى هذا السياق .. أن كراهية اليهود لدينهم الحنيف .. ومحاربتهم لشريعة موسى عيه السلام .. قد استمرت حتى من بعد رحيل هذا النبى الكريم وأخيه هارون ، بل وزادت فى العصور التى تلت هذه المرحلة . بل ونجدهم لا يزالون فى حربهم ضد هذا الدين الحنيف إلى يومنا هذا .

ولعل ما سجله الدكتور محمد خليفة حسن فى كتابه عن تاريخ الديانة اليهودية وتطورها ، فيه الكثير مما أصاب هذه الديانة السماوية من خلل بأيدى اليهود أنفسهم .. وهذا ما دعانا إلى القول بأن خطورة بنى إسرائيل قد تجلت بصورة أكبر فى مجال عدائهم للأديان السماوية .. فى عدائهم للدين اليهودى نفسه !

وللأسف فإن كثيراً من المؤرخين لم يلتفتوا إلى هذه النقطة المهمة ، وفى المقابل كان الإسلام والمسلمون من أشد المدافعين عن هذا الدين الحنيف ، وعن نبى هذه الرسالة .

ويبين لنا الدكتور محمد خليفة حسن خطورة اليهود على الديانة اليهودية فى العديد من المواقف التاريخية التى سجلها المؤرخون فى كتبهم أو فى تلك التى نقلوها عن كتب اليهود المقدسة والمزورة .

هذه الخطورة تجلت بوضوح فى المعاناة الشخصية لكل الأنبياء الذين جاءوا إلى هذا الشعب لهدايته ، مؤكداً على أن هذه المعاناة لم تلحق بموسى عليه السلام وحده ، بل كانت تلك المعاناة هى السمة الأساسية التى لازمت أنبياء بنى إسرائيل فى حياتهم النبوية ، وما نتج عنها من أنشطة مختلفة .

ذلك لأن النبى فى بنى إسرائيل لم تكن وظيفته على حد قول الدكتور محمد خليفة وظيفة دينية فقط ، بل تشعبت وظائف النبوة لتخدم أهدافاً أخرى غير الهدف الدينى ، إذ اتسمت رسائلهم بأنها رسائل إصلاح عام للحياة الإسرائيلية فى جوانبها وأنشطتها المختلفة(١) . سواء على المستوى السياسى أو الاجتماعى أو الاقتصادى .

ورغم ذلك فإن هذه الديانة قد أصابها الكثير من التغير والتبديل ليس فى الكتب المقدسة فقط،بل وفى المعاملات والشرائع والعلاقات الإنسانية أيضاً .

وكما هو معروف لنا جميعاً ، فإن الديانة اليهودية التى جاء بها موسى عليه السلام ، قد بُنيت على الأخلاق الطيبة ، وفق ما جاء فى الألواح وفى التوراة الحقيقية .

ورغم ذلك فإن هناك عقائد ومفاهيم دينية جديدة للأسف أضيفت إلى اليهودية من بعد عصر موسى عليه السلام !!

ويرجع ذلك فى نظر العديد من المؤرخين إلى احتكاك بنى إسرائيل بعدد من الشعوب الأجنبية فى بيئة الشرق الأدنى القديم ، مما كان لها تأثيرها الدينى والحضارى على الإسرائيليين .

وكان الكنعانيون من أول هذه الشعوب التى احتك بها الإسرائيليون بعد تمام خروجهم من مصر واستيطانهم فى أرض كنعان .

ويضيف هؤلاء المؤرخون أن هذا التأثير قد اتسم بالسلبية فى معظم الأوقات نظراً لأن البيئة الكنعانية هى فى الأصل بيئة زراعية وثنية وقد تعددت فيها آلهة الطبيعة !

وهذا فى تصورنا لا يعفى بنى إسرائيل من مسئولية تأثير تلك الحضارة الجديدة على معتقداتهم الدينية التى خرجوا بها من سيناء ، وإن كان هؤلاء المؤرخون يزيدون فى حديث هذه المؤثرات بقولهم : إن الفترة الأكثر تأثيراً فى الديانة اليهودية من حيث التحريف قد زادت عندما بدأ اليهود فى

(١) تاريخ الديانة اليهودية ـ مصدر سابق .

الاحتكاك بحضارة بلاد ما بين النهرين والتى يمكن أن يؤرخ لها منذ انقسام مملكة إسرائيل ووقوع الجزء الشمالى من فلسطين والمسمى بإسرائيل تحت حكم الأشوريين فى عام ٧٢١ ق.م.

وربما كان يقف وراء هذا التعليل المرفوض على الأقل من جانبنا مجموعة المستشرقين اليهود من الذين حملوا لواء الدفاع عن جرائم بنى إسرائيل ومواقفهم العدائية من الديانة اليهودية .

وعلى أية حال .. فقد ظل مؤشر الخروج على الديانة اليهودية من جانب بنى إسرائيل يزداد يوماً بعد يوم .. منذ رحيل موسى عليه السلام وحتى اليوم . على الرغم من تعدد الأنبياء الذين بُعثوا لهدايتهم وإعادة مسار الشريعة إلى طريقها المستقيم .

وقد كان آخر هؤلاء الأنبياء والمرسلين ، عيسى عليه السلام الذى جاءهم بالبينات فى صور شتى ، وشرائع جديدة استهدف بها تعديل وتوضيح ما خفى عن بنى إسرائيل من أمور تحدثت عنها التوراة التى عدلوا وبدلوا فيها ، بعدما ضاعت من بين أيديهم ومن أفواه كبار أحبارهم .

ولقد سبق لنا أن أوضحنا تلك الجرائم عند الحديث عن تحريفهم الكتب المقدسة ، وقلنا إنهم لم يكتفوا بهذا التحريف بل واخترعوا كتباً جديدة حسب أهوائهم ومصالحهم .

ورغم ذلك فإن بعض المؤرخين وفى السياق نفسه قد وضعوا خطوطاً حمراء واضحة المعالم لما أصاب الديانة اليهودية على أيدى اليهود أنفسهم ، وذلك من خلال تحديد دقيق لأهم العصور التى انتهت فيها تلك الديانة بشكل مطلق ..

وقالوا فى هذا الشأن : إن من أخطر هذه العصور كان عصر الحضارة اليونانية والذى ظهرت فيه المرحلة التلمودية وذلك لعجز هذه الديانة المزورة وفق تصور الدكتور خليفة عن ملاحقة ذلك الغزو الثقافى اليونانى .. الذى ترك بصماته واضحة حتى على بعض أسفارهم المكتوبة بأيديهم !! مثل سفر الجامعة الذى تسيطر عليه نزعة عقلية تشاؤمية

لا تتناسب مع الرؤية الدينية العامة لكتاب العهد القديم .

ليس هذا فقط ، بل وقد ظهر تأثير هذه الثقافة على نبذ اليهود للتوراة المزورة ذاتها !، والبحث عن كتاب دينى جديد ، وهو التلمود !!

حتى أن المؤرخين قد اختاروا فترة زمنية معينة من تاريخ الديانة اليهودية وهى التى أطلقوا عليها الحقبة التلمودية والتى امتدت حتى نهاية القرن الثامن عشر ، وإن كانت لا تزال بعض شعائرها قائمة إلى اليوم ..خاصة فى إسرائيل ، ولكن فى صور متعددة منها ما يسميه المؤرخون « باليهودية التلمودية » أو « اليهودية الحاخامية » ، والتى ارتبطت بتفسير التوراة تفسيراً شفهياً ! وهى الديانة اليهودية المنتشرة فى إسرائيل الآن باعتبارها الأساس الذى تستند إليه رؤية الحاخامات الدينية فى هذا العصر(١) .

ولم يتوقف عداؤهم للدين اليهودى الذى أُنزل على موسى عليه السلام بأوامر من رب العالمين عند الحد الذى اختلط فيه بالأساطير والتاريخ والأهواء الشخصية والتعديل والتبديل فى شرع الله ، بل نستطيع أن نقول وبضمير الباحث الواعى أن هذا الدين تحول إلى شىء آخر تماماً بحيث أصبح لا يمت بصلة إلى اليهودية الموسوية . كما انتهى أمر هذا الدين إلى الاعتقاد بأن المعيار الحقيقى فى تعريف اليهودى ليس هو المؤمن بالعقيدة ، وإنما بكونه فقط المولود من يهودية !!

بل والأكثر من ذلك وكما تقول الموسوعة الصهيونية أنه ووفق هذه الشريعة المزيفة يمكن أن يكون اليهودى من الناحية النظرية يهودياً وملحداً فى آن واحد !! كما أصبح هناك ما يسمى باليهودية الأثنية التى ترى أن اليهودية لا تنبع من إيمان اليهودى بالقيم الدينية والأخلاق اليهودية ، وإنما من الأثنية اليهودية المستمدة من الموروث الثقافى !

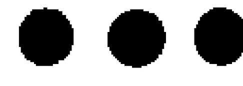
ومن هذا الباب الواسع لتفسير اليهود دينهم وفق أهوائهم بات يوجد الآن ما يسمى « بعلمنة اليهودية » وهو مصطلح يستخدم كثيراً فى الوقت الحاضر لإعادة صياغة النسق الدينى اليهودى من الداخل على أيدى بعض

---

(١) موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية ـ مصدر سابق .

المفكرين اليهود من العلمانيين وشبه العلمانيين.. وحتى يتكيف ذلك الدين تماماً مع العلمانية .. وبالتالى تصبح كل منطلقاته الدينية والفلسفية ذات طابع تاريخى !.

وقد أدى ذلك كله إلى انتشار ما يسمى الآن بالعبادات الجديدة !! وهى المنتشرة حالياً بكل أماكن العبادة اليهودية سواء فى أوروبا أو أمريكا أو إسرائيل . هذه العبادات التى يروج لها الآن جماعة أطلقت على نفسها « جماعة المسيحيين العبرانيين» .. وهم يرون أنه من حق اليهودى أن يكون مسيحياً أيضاً !.



وعلى أية حال .. فلسنا فى حاجة إلى سرد المزيد من هذه الجرائم الإسرائيلية فى حق دين الله الذى أنزله على قلب أحد عباده الصالحين . ويكفى أن نقول فى هذا السياق بأن الله تعالى قد قيض لهذا الدين من يعيده إلى مساره الطبيعى الذى جاء بالحق ، سواء فى قلوب بعض عباده أو فوق هذه الأرض التى تنشد العدل والسلام . وكان فى مقدمة من قاموا بهذه المهمة الجليلة كل من النبيين الكريمين عيسى عليه السلام ومحمدﷺ .

وكعادتهم دائما .. فقد لاقى منهم نبى الله عيسى عليه السلام المتاعب والمشاكل سواء مع نفسه ، أو مع أمه مريم عليها السلام ، أو مع تعاليم ديانته المخلصة .

ثم تلا ذلك استمرار عنادهم وجرائمهم ضد نبى الله محمد عليه الصلاة والسلام . والتى لم تتوقف عند حد بعينه .. بل استخدموا فى هذه الحروب التى شنوها بضراوة ضد كل من المسيحية والإسلام كل أساليب الإجرام .. وكان سبيلهم نحو تحقيق أهدافهم فى هذه الحروب .. المكر والخديعة .. والتزوير .. ومحاولة اللحاق بأصحاب هاتين الديانتين للخلاص منهما ..

ولسوف يشعر بذلك كل من يشاركنا الاطلاع على هذه الأوراق .. إذ استدار اليهود ومن خلفهم الأحبار والرهبان للنيل من المسيحية والإسلام .. فى سبيل فرض عقائدهم المحرفة والمزورة .. واستعانوا فى ذلك بشتى

الطرق والوسائل .. وهو ما سوف نبينه تفصـيلاً من خلال حديث بقية هذا الفصل .

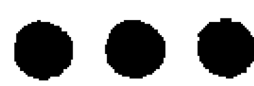
محاربة المسيحية :

مـا نود أن نشيـر إليـه فى سـياق حـديث جـرائم اليـهود ضـد الأديان السماوية الثـلاثة ، ومن قبل بيان تفاصيل هذه الجرائم فى مـيدان حربهم الشرسة ضد المسيحية . هو أن هذه الجرائم البشعة قد بدأت وبشكل مكثف لمضايقة نبى الله عيسى عليه السلام عندما عقدوا العزم من بعد تأكدهم بأنه هو النبى المنتظر والمكتوب عندهم فى التـوراة .. على النيل منه ومن أمـه ، وملاحقته أينما وجد ، للتخلص منه والقضاء على دعوته فى حينها !

وبعد عناء شديد ، كادوا أن يحققوا هذه الجريمة لولا تدخل عناية الله فى الوقت المناسب ، وقد رفعه الله تعالى إليه ، للفرار من كيد هؤلاء ، حيث شُبه لهم رجل على هيئته .. من الذين كانوا يشتركون فى جرائم الفتك به !

ليس هذا فقـط ، بل ونراهم عندما صور لـهم خيالهم المريض بـأنهم قد ظفروا بهذا النبى الكريم وبحياته ، قد اسـتداروا للنيل أيضاً من بقية أتباعه وحوارييه ، إمـا بالتنكيل بهم أو بإجبارهم على المشاركـة معهم فى تزوير نصـوص الإنجيل !، ثم العـبث بمحـتوياته من عـبـادات وشرائع وقـوانين ومعاملات .

وقد ظل هذا العـبث وللأسف قائماً إلى اليوم ! وبالتـالى كان علينا نحن أيضاً ومن خلال أسانيد وأدلة قوية أن نفضح ما قاموا به فى شأن محاربة الدين المسيحى ، وقد وجدنا أمامنا مصـدراً رئيسياً لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفـه ، ممثـلاً فى آيات القـرآن الكريم . مما شـجع الآلاف من المفسرين ومن المؤرخين غيرنا وحـتى من أهل الكتاب أنفسهم لإعادة النظر كلية سواء فيـما يخص الدين اليهودى أو المسيحى ، وما أضـيف إليهما من نصوص وشرائع لم ينزل الله بها من سلطان على قلب أحد من رسله سواء موسى أو عيسى عليهما السلام !

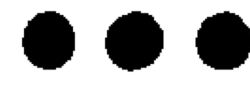


ومن كل ذلك نصل إلى نتيجة مهمة مؤداها ، أن محاربة اليهود للمسيحية قد بدأت أولا بمحاولات النيل من صاحب هذه الرسالة عيسى عليه السلام وفى صور عديدة ، وتواريخ مختلفة .. ربما بدأت من قبل أن يولد المسيح نفسه وبفترات زمنية طويلة !

هذا الرأى يؤكده عباس محمود العقاد فى كتابه عن المسيح فى قوله : «وقد كان الإيمان بانتظار المسيح على أشده بعد زوال مملكة داود وهدم الهيكل الأول ، فردد الشعب الإسرائيلى وعود أنبيائه بعودة الملك إلى أمير من ذرية داود نفسه تخضع له الملوك وتدين الأمم لسلطانه»[١] .

ويؤكد العقاد فى السياق نفسه أن الإيمان بالمسيح بمعنى « الملك » قد تحول مع مرور الزمن إلى الإيمان بالمسيح بمعنى « المختار » أو المنذور للهداية والصلاح .

هذا الارتقاء فى فهم رسالة المسيح كان دائما يصاحب أطوار الشعب الإسرائيلى فى تاريخه المتعاقب ، معنى ذلك ـ وهذا التفسير لا يزال على لسان العقاد ـ أن مفهوم الرسالة المنتظرة كان يتراوح بين رجعة الدولة وبعثة الهداية !! .



وكان علينا لمعرفة المزيد عن موقف اليهود من المسيح عليه السلام حتى من قبل الإعلان عن شخصيته ومن سوف يكون ، هو ضرورة الوقوف على الحالة الدينية المهترئة آنذاك والتى اجتاحتها رغبات الكهنة والرهبان والحاخامات حتى تفرقت كلمتهم وتحولوا إلى مجموعة من الطوائف ، كل منها له رغبة فى ظهور هذا النبى المنتظر بصرف النظر عن كونه المخلص والمنقذ لأمة بأسرها من الضلال .

لقد كان العالم اليهودى فى العصر الذى ولد فيه السيد المسيح عليه السلام يشتمل فعلاً على طوائف مختلفة ، ولكل منها مذهب فى انتظار المسيح المخلص الموعود ، حتى أن بعض المؤرخين قد عدوها بأكثر من عشر

(١) حياة المسيح ـ عباس محمود العقاد .

طوائف .. وقد اكتفى العقاد بذكر خمسة منها فقط وهى الصدوقيون والفريسيون والأسيون والفلاة والسامرية ، بل وكان منهم أيضاً طائفة الكتبة!، أو فقهاء الدين الذين قبلوا الأسفار الحديثة واعتمدوا عليها فى العبادات والمعاملات .

إضافة إلى ذلك فقد انقسم الكهنة المنوط بهم وظائف الهيكل إلى عدد كبير ، مما أثار بينهم الحقد والحسد الناتج عن الصراع من أجل الاستحواذ على أكبر قدر من المريدين !! .

وهناك من المؤرخين من يرى أن ميلاد السيد المسيح عليه السلام قد جاء أوانه، ووظائف الهيكل عند اليهود مصفاة فى المجمع المقدس والذى يطلق عليه « السنهدرين » وكان عدد أعضائه واحداً وسبعين عضواً من الذين كانوا يتصلون برجال الدولة فيما يخص الشئون العامة وما يرتبط بذلك من تنفيذ الأحكام والمحافظة على الشريعة المحلية أو الموسوية !

هذه الهيئة الدينية العليا فى حياة اليهود وقت ميلاد المسيح .. لم تكن ترى باعثاً إلى الترحيب ببشرى ظهوره ومولده عليه السلام !



وجانب آخر مهم لابد من إلقاء الضوء المبهر عليه وهو يرتبط ارتباطاً مباشراً بما لاقاه المسيح عليه السلام على أيدى هؤلاء اليهود ، هذا الجانب يقترب إلى حد بعيد من بيان الحالة السياسية والاجتماعية التى كانت سائدة آنذاك .

ذلك لأن الوقوف على هذه الحالة سوف يبين لنا عمق العداوة اليهودية للمسيح عليه السلام ولدعوته المرتبطة بتوحيد الله تعالى ..

وباختصار شديد نقول فى هذا البيان : إن عصر الميلاد قد صادف عصر أوغسطس المجيد ، ذلك الامبراطور الرومانى الشهير ، والذى وقعت فلسطين تحت حكمه وسيطرة رجاله ومواليه ، إذ حكمها فى هذه الفترة حاكم يهودى كان يميل كثيراً نحو تقليد الرومان على حساب دولة الفرس ، وكان يدعى « هيرود » ، وعندما توفى خلف وراءه ثلاثة أبناء اقتسموا حكم

فلسطين . وهم هيرود الثـانى المسمى « أنتيـاس » ، الذى حكم الجليل حيث ولد السـيد المسـيح . أما اليـهـودية فقد وقعت فى حـصـة « أرخـلاوس » ووقعت مشارف الشام فى حصة الابن الثالث « فيليب » .

ولقـد أقـر قـيـصـر الرومـان هؤلاء الأبناء الثـلاثة فى ولايـاتهم على فلسطين ، مما أدى إلى تمزق تلـك البلاد والتناحـر فيـمـا بينها ! وبالتـالى سادت الفوضى السياسية ، وانتشرت حتى فى الأوساط الدينية اليهودية . التى أخـذت هى الأخرى تميل وفق هوى كـل حاكم لضـمـان البـقاء وعـدم التصفـية ، الأمر الذى عجل بانتشـار الوثنية وضياع الدين اليـهودى حتى داخل صدور بنى إسرائيل .



وهناك صـورة أدبية وصـفيـة غاية فى الروعـة تنقل إلينا بكل الصـدق أحوال بنى إسرائيل قـبيل ميلاد المسيح عليـه السلام ، وقد كتبهـا الدكتور توحيد الزهيرى وأودعها صفحات من كتابه « كلمة من الله » ..

والمتأمل جيداً لما فيها من مواقف وتفـاصيل يستطيع أن يتصور ما كانت عليه أرض فلسطين من فوضـى ، وأرض الجليل بالـذات وقت ميلاد المسيح عليه السلام ، ثم نتائج هذه الفوضى وتأثيرها على حياة المسيح نفسه.

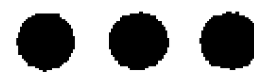
ويقول المؤلف فى هذه الصـورة : « ومع صعود الأباطرة المتـألهين على العرش فى رومـا منذ يوليوس قـيصـر الذين لم يعودوا يكتـفون بسـرقة الأموال المنهـوبة من أقوات الشـعوب الفـقيـرة ، بل صاروا يتطلعـون مثل «إبليس » إلى سرقة مجد « الله » ! زادت النفقات لأن المجد الزائف للمتألهين الأرضـيين يتطلب أمـوالاً طائلة ، وكـان على الفـقراء من رعـايا الدولة فى المستعمرات أن يدفعـوها من أقواتهم ودمائهم ، وبذلك زادت الأشغال الملقاة على ظهر الـشعوب الخـاضعة لسـلطة روما وزاد من وطأتها عـلى الشعب اليهـودى فى أرض « اللبن والعسل » طموحـات « هيرودوس » المتطلع إلى تأسيس مملكة عظيـمة وهو ما يعنى فـرض ضرائب إضافيـة ، أعطت روما صلاحيات فرضـها .

هكذا ناء ظهر الشعب اليهودى الذى طال انحناؤه لغير « الله » بأثقاله التى أخذت تتزايد يوما بعد يوم ، فالجنود أصبحوا لا يكتفون بالعلائف، والعشارون لا يكتفون بالنصيب المفروض ، إذ صار كل صاحب سلطة يختلس قدراً من المال بقدر سلطته حتى تنتهى الأموال المسروقة إلى يد السارق الأعظم الجالس على عرش النسر فى روما !!

فى ظل هذه المظالم المتراكمة أمسى « المال » هو الإله المعبود من دون الله وأصبح كل واحد يلهث وراء الصنم ، يريد جمعه واستحواذه .

وفى هذا السباق المحموم نزل الكهنة من الهيكل إلى السوق يتنافسون وقد تحولوا إلى تجار جشعين ، وبضاعتهم « كلام الله » !!، كما صار منهم التجار الذين يعملون فى تجارة المواشى والطيور التى كانت تقدم كقرابين للإله فى مذبح الهيكل طلباً للغفران أو وفاء بالنذور .

وفى هذه التجارة تصبح الخطايا والنذور كنزا لا يفنى ، فكلما زادت الخطايا واشتدت الحاجة إلى المغفرة ، وكلما كثرت وتكاثرت الرغبات وأصبحت النذور ضرورية للظفر بها ، زادت ثروة الكهنة التجار »(١) .



ووسط هذا الجو السياسى والدينى والاجتماعى والاقتصادى الفاسد كان لابد من وقفة تأتى من السماء كتمهيد لظهور الناموس الأكبر والذى نزل أولاً مبشراً لمريم عليها السلام ، ثم راعياً لابنها الوليد رسول الله ومبلغ رسالته لبنى إسرائيل .

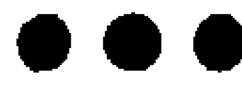
ولقد تجلى هذا التمهيد الربانى فى تلك المجهودات الخارقة التى بذلها زكريا عليه السلام وهو أحد أنبياء بنى إسرائيل ، والذى أعطاه الله الولد وهو فى سن متأخرة حين بشرته الملائكة بالنبى الكريم يحيى عليه السلام وجيهاً فى الدنيا والآخرة ومن المقربين ، وصاحب حكمة وحجة وبيان ، وداعياً إلى الله بإذنه لإعادة الشعب اليهودى إلى صوابه !

هذا النبى الكريم كان بينه وبين عيسى ابن مريم قرابة دم ، كما كانت

(١) كلمة من الله ـ د. توحيد الزهيرى .

هناك أيضاً قرابة رعـاية .. إذ فاز زكريا عليه السلام وبتـقدير رب العالمين بكفالة مريم عليها السلام .

ولما لم تفلح جهـود زكريا وابنه يحيى عليـهما السلام والذى قـتل غدراً كان لابد من نزول الـوعد الحق من رب العالمين .. وظهـور المسيح عـيسى عليه السلام .. هذا النبى الذى بعثه الله تعالى هادياً ومبشراً لبنى إسرائيل ، ومصدقاً لما معـهم من شريعة صحيحة نزلت بها التوراة الحـقيقية وليست المزورة .



وكدأب بنى إسرائيـل باعتبارهم طليعـة الشر ومصدره ، فـقد أخذت كل فرقـة من فرقـهم الدينيـة السابق الإشـارة إليهـا . تنتظر مقـدم هذا النبى الكريم.. بل وتحاول الادعاء بأنه من بينهم !. فى الوقت الذى كان فيه قطاع كبيـر منهم وعلى رأسـهم الأحبار .. يفكرون فى الوسـيلة أو الوسائل التى يقـضون بها عـليه من قـبل حتى ظهـوره واستـفحال أمـر دعوته الدينـية السمحاء .

ليس هذا فقط . بل وعندما علم هؤلاء بأن السيـدة مريم البتول التى كان يكفلهـا النبى زكـريا عليـه السـلام .. هى أم هذا النبـى ، استـداروا كـذلك لإيذائها .. حيث لم تسلم من ألسنتهم الحادة وشائعاتهم المغرضة .

ولو أفـسحنـا المجال لحـديث هذه الافـتراءات لما وسـعـتنا هذه الأوراق جميعاً.. لكننا سوف نسـوق بعض الذى يخدم فكرة هذا الكتاب ولبيان هذا العداء السافر من بنى إسرائيل للمسيح عيسى ابن مريم وأمه سيدة العالمين عليهما السلام .

والغـريب أن تلمـود بنى إسـرائيـل والذى أصـبح للأسف الآن من أهم المصادر المسـيحـية بعد الأناجـيل فى تقديم البـيئة التـاريخيـة على وجود المسيح ووقـائع القبض والصـلب ، وما كان هناك مـن محاكـمة وإشـهار ، وعلى حد قول حـسن يوسف الأطير: فإن الإشارة فى التلـمود إلى المسيح وإلى والدته تحمل مغزى خطيراً وبالغ الأهمية سواء من وجهة الربى الذى

كتبـها ووعيه بقيمـتها أو من جهة القارئ الـذى ينبغى أن يتسم بمثل ذلك فى النظر والاهتمام(١) .

ويؤكد حسن الأطيـر من جانب آخر على أنه سوف يكتـفى بنقل فقرتين وردتا فى التلمود بشأن اتهـام اليهود لمريم ، نقلها بعض المؤلفـين الغربيين الذين ذكـروا إحداهمـا أو كلتيـهمـا فى سـياق الإثبـات التاريخى لوجـود المسيح!، وكلتـاهما إقـرار صريح من اليهـود ورؤساء دينهم بإتهـام مريم بارتكاب الفاحشة !

ونحن فى حل من نقل هاتين الروايتين لكننا نشير فى الوقت نفسه إلى أن مـيـلاد المسـيح عليـه السـلام كـان فى نظر بنـى إسرائـيل وبناء على افتـراءاتهم على أمه عليهـا السلام ، لم يتم بصورة مـعتادة أو مشـروعة ، وإنما كـان هناك لغط غيـر قليل بشأن نسـبه ، إلى الحـد الذى جعـل الأمر يؤخذ مـأخذ الجد لدى المؤرخـين المعاصرين من الذيـن توصلوا إلى القول بأن اليـهود لم يؤمنوا بـولادة المسيح عليـه السـلام ولادة عجـيبـة وغيـر مسبوقة إذ خلقه الله من غير أب كما فعل مع آدم عليه السلام .. بل اعتقدوا إلى حد اليقين بأن له أباً لكنه غير معروف .

ناهيك عمـا ألصقوه بهـذه الشخصـية التى تدعى يوسف النجـار . حتى جعلوه خطيبها ثم زوجها !!

وياليت الأمـر قد توقف عند حـد هذا البـهتـان وهذا الظلم البين لأطهـر سيدة فى العـالم ، بل روجوا لقصة لازالت موجودة بالتـراث اليهودى عن علاقة مـريم عليها السـلام بأجد جنود الرومان ويدعى « بانتيـرا » ، وإليه ينسبون المسيح !!

وقد كتبوا ذلك فى كتبهم سواء المقدسة على حد زعمهم أو فى تاريخهم.

ومما ذكروه فى هذا السـياق قولهم : « إن مريم عندمـا حبلت به طردها النجار الذى كانت مـخطوبة له ، لأنه قد اتهمهـا بالزنا !!، وأنها ولدت طفلاً لعسـكرى رومانى يدعى « بانتـيرا » وأن يسـوع قد ولد فى قرية يـهودية معروفة ، من امرأة فقيرة فى تلك البلاد ، حيث كانت تحصل على معيشتها

---

(١) سر مريم أم المسيح عليه السلام ـ حسن يوسف الأطير .

من الغزل ، وطردها زوجها النجار لاتهامها بالزنا !.

وبعد أن طردها زوجها ، وهامت على وجهها وقتاً ما ، ولدت يسوع المسيح فى خزى وعار ، وهو طفل غير شرعى !!

وإذ استؤجر فى مصر كخادم بسبب فقره ، وإذ حصل على قوة لإجراء المعجزات . تلك القوة التى يفتخر بها المصريون ، ثم عاد إلى وطنه منتفخاً جداً بسببها ، وبواسطتها أعلن أنه إله »!!(١) .

لقد بين لنا القرآن الكريم هذه الاتهامات الباطلة التى حاول أن يروجها اليهود ضد مريم وابنها عيسى عليهما السلام وذلك فى قول الله تعالى فى سورة النساء : ﴿ وَبِكُفْرِهِمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَىٰ مَرْيَمَ بُهْتَانًا عَظِيمًا (١٥٦) وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مَا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا (١٥٧) ﴾ [النساء]

وفى تفسير لطيف للدكتور محمد سيد طنطاوى شيخ الجامع الأزهر يوضح لنا ماهية هذا البهتان اللعين الذى روجه بنو إسرائيل ضد مريم عليها السلام . حيث يقول ، والمعنى : « إن من أسباب لعن اليهود وضرب الذلة والمسكنة عليهم ، كفرهم بعيسى عليه السلام ، وهو الرسول المبعوث إليهم ليهديهم إلى الحق وإلى الطريق المستقيم وافتراؤهم الكذب على مريم أم عيسى ، ورميهم لها بما هى بريئة منه ، وغافلة عنه ، فقد اتهموها بالفاحشة لولادتها عيسى من غير أب وقد برأها الله»(٢) .

ليس هذا فقط ، بل لقد اشتمل القرآن الكريم على سورة كريمة من كتاب الله باسم مريم .. وفيها تصوير دقيق وبليغ عن حياة هذه السيدة العذراء الطهور التى اختارها رب العالمين ، واصطفاها على نساء العالمين . وهى من سور القرآن الكريم التى فضحت كل محاولات اليهود فى حربهم ضد المسيح وأمه .



(١) المصدر السابق .

(٢) القصة فى القرآن ـ ج ٤ ـ د. محمد سيد طنطاوى .

ولما فشلت كل هذه المحاولات اليهودية لتشويه صورة مريم عليها السلام بعدما ولدت المسيح ، اتجهوا صوب هذا النبى الكريم لأجل قتله والقضاء عليه من قبل أن تستفحل دعوته ، والتى سوف تفضح أهواءهم وجرائمهم .

وكان لهم فى هذا السبيل عدة تجارب خاضوها بنجاح للأسف ضد غيره من الأنبياء الذين قتلوهم .

ولقد تصوروا أن الوقت قد حان الآن للخلاص من هذا النبى مثل غيره .. والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون ، حيث ظل المسيح عليه السلام يدعو بقوة إلى وحدانية الله وبأنه قد جاء هادياً لبنى إسرائيل .. ومصححاً لشريعة موسى عليه السلام ومبشراً برسول سوف يأتى من بعده اسمه أحمد عليه الصلاة والسلام .

وقد بين لنا القرآن الكريم مهمة هذا النبى فى قوله تعالى في سورة آل عمران : ﴿ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَلِأُحِلَّ لَكُم بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ وَجِئْتُكُم بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ (٥٠) إِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ (٥١) ﴾ [آل عمران]

وفى تصور العديد من المؤرخين أن دعوة عيسى عليه السلام قد استمرت ثلاث سنوات .. بعدما عاد من جديد إلى فلسطين ، وكلفه رب العالمين برسالته السماوية المجيدة .

وخلال هذه السنوات الثلاث لم تفتر همة بنى إسرائيل من أجل القضاء على دعوة المسيح وتعاليم رب العالمين التى أخذ يدعو إليها قومه من بنى إسرائيل ، وهم الذين كانوا من قبل فى اشتياق لظهور هذا النبى ولكنه قد جاءهم بما لا تهوى أنفسهم !! وبالتالى عزموا على قتله والتخلص من دعوته !!

ونظراً لما اتصف به هذا النبى من جرأة فى الحق ، واعتماده على رب العالمين الذى بعثه بالحق نبياً .. فقد قرر مواجهة جموع كهنة بنى إسرائيل من الذين جاهروا بكفرهم وتحديهم لرسالته وذلك عندما اختار أن يذهب إليهم ومعه حواريوه الذين أعلنوا تأييدهم لرسالته ولدعوته ووقوفهم فى وجه كفار بنى إسرائيل .

وفى ظل هذا الإصرار العجيب من عيسى عليه السلام وتحديه لبنى إسرائيل ، فقد قرر هؤلاء التخلص منه وقتله ولم يبق على تنفيذ هذا الحكم الظالم سوى ساعات قليلة .. إذ أعدوا لهذا الأمر الخطير كل شىء !

ويحكى لنا التاريخ صورة مهمة نقلها بصدق الدكتور الزهيرى .. وقد بين لنا فيها تلك المواجهة الأخيرة التى أسفرت عن قرار حاخامات بنى إسرائيل بقتل المسيح عليه السلام .

فعندما جاء المسيح من جبل الزيتون يحيط به تلاميذه الاثنا عشر ، ظهرت قدراته التى ساهمت كثيراً فى التغلب على هؤلاء الخصوم ، وبجوار هؤلاء التلاميذ كان يتزاحم الناس الذين أتوا من كل مكان يريدون رؤية هذا النبى القادم من ناصرة الجليل والذى يصنع المعجزات .

ومنذ هذه اللحظة أخذ المسيح يفرض سلطانه على الهيكل ، فلم يعد أحد يستطيع أن يتجاوز الحرم وهو يحمل متاعاً ، ولم يعد تجار الأنعام أو الصيارفة يجرؤون على الاقتراب من « حرم » الهيكل .

وقد أصاب الكهنة والشيوخ من بنى إسرائيل غم شديد بسبب هذا النبى الذى يتصرف بسلطان لا حدود له ..

ولم يكن أمامهم من سبيل للقضاء عليه وإيقاف دعوته إلا بالقتل !، ولكن كيف السبيل إلى تنفيذ ذلك .. لقد أصبحوا عاجزين عن استئجار بعض القتلة المحترفين ، لأن الجميع صاروا يرهبون هذا النبى ، ويعتقدون فى قرارة أنفسهم أنه مزود بقوة خارجة .. إضافة إلى قوة الإيمان بالله والتى ينكرونها !

لقد أخذ ذلك السؤال عن كيفية قتل المسيح يدور فى أذهان أحبار اليهود.. بحثاً عن وسيلة آمنة وفعالة وهم يرونه وسط هذه الجموع التى لا تفارقه أينما سار ولا يتركونه إلا فى الليل عندما لا يستطيعون أن يقاوموا ما اعتراهم من تعب ويأخذهم النوم فى سلطانه !

فى حين يسهر هو عليه السلام فوق جبل الزيتون متضرعاً إلى الله ، وساجداً لوجهه الكريم .

أضف إلى ذلك أن أحبار اليهود قد وضعوا فى حساباتهم ضرورة إقناع حكام أورشليم واليهودية من أتباع روما بضرورة تنفيذ هذه الجريمة .. حيث تخضع منطقة الجليل ضمن مناطق نفوذ هذا الحاكم المدعو « بيلاطس » ، وأخيه « هيرودوس » ، وإن كان « بيلاطس » بالذات هو ذلك الرجل الذى يجب إقناعه لتأييدهم والذى كان يحتاج بالفعل إلى تحرك سريع للقضاء على تلك الفتنة التى كان يثيرها المسيح عليه السلام ، سواء ضد سلطته وسلطة كهنته من أحبار اليهود أو سلطة روما التى كانت هى الأخرى فى حاجة إلى تحقيق المزيد من الهدوء للحفاظ على سلطانها فى هذه البلاد .

وبالفعل بدأوا السير قدماً فى هذا الاتجاه ، حيث بعثوا برسائلهم ضد هذا النبى إلى روما يشكون من القلاقل التى يثيرها المسيح عليه السلام .

ومع ذلك ورغم أجواء هذه المؤامرات فقد استمر المسيح عليه السلام يأتى أورشليم لمواصلة دعوته إلى الله قرابة ثلاث سنوات حتى أنبأه رب العالمين باقتراب نهاية دعوته ، وبالتالى فقد أخذ يعد العدة لذلك اللقاء المقترب ، وقد رفعه الله إليه ، فى الوقت الذى وجدوا فى أحد تلاميذه المدعو « يهوذا » الخائن والذى دلهم على مكانه حيث كان يعتكف .. شبهاً كبيراً .

هذا الشبه جعل الثائرين ضد المسيح عليه السلام يقبضون عليه ويقتادونه حيث المكان الذى أعدوه لتنفيذ جريمتهم بالصلب .

وقد ظلوا على ضلالهم هذا بالاعتقاد غير الصحيح بأنهم قبضوا على المسيح عليه السلام .. وهو الآن بين أيديهم ، وفوق صليبهم الذى أعدوه لتنفيذ هذه الجريمة !

ولقد حاول « يهوذا » أن يصحح هذا الخطأ .. ولكن صوته قد ضاع وسط ضجيجهم .. كما ضاع حين خرجت روحه من جسده ! والغريب أن بنى إسرائيل وحتى اليوم لا يزالون على ضلالهم القديم بشأن صلبهم المسيح عليه السلام !

وقد جـاء القرآن الكريم مـبيناً هذا الضلال كـما بين لنا من قـبل جرائم اليـهود سواء فـيمـا يخص قتـلهم الأنبيـاء أو تزويرهم وتحريفـهم للكتب المقدسـة . وجاء ذكـر ذلك فى القرآن الكريم فى قـوله تعالى : ﴿ وَبِكُفْرِهِمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَىٰ مَرْيَمَ بُهْتَانًا عَظِيمًا (١٥٦) وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ .. (١٥٧) ﴾ [النساء]



وقد يتـصور البعضُ أن عـداء بنى إسرائيل للمـسيح وللمسـيحيـة ، قد انتهى بزعمهم قتل عيسى عليه السلام مصلوباً ! ، بل بالعكس ، فقد استمر هذا العداء وبشكل سـافر حتى من بعد أن تم رفع المسيح عـليه السلام إلى السمـاء .. وقد اتخذ عدة صـور ، كان من أهمهـا ملاحقة حـوارييه فى كل مكان .. وهم من الذين فروا بدينهم خارج فلسطين .

وقد نقل إلينا صـور هذا العـداء العديد من المؤرخين المسيحيـين كما جاء فى كتاب تاريخ مصر المسمى « بالكافى » لمؤلفه شاروبين .. بما يوحى بأن بنى إسرائيل قـد بعثوا برجـالهم فى كل البلدان لأجل ملاحقـة المسيحـيين والقضاء عليهم ..

ولم يتوقف عدوانهم هذا إلا بإعلان الامبراطورية الرومانية باتخاذ الدين المسيحى ، دين الدولة الرسمى ! .

وحتى بعد هذا الإعلان فقد ظل اليهود يفكرون فى وسائل بديلة للقضاء على المسيحيـة ، ولم يكن أمامهم من سبيل لتحـقيق تلك الخطوة إلا بتزوير الإنـجيل وتحريفه وإضافة سمومهم بين أوراقه .

محاربة الإسلام :

ونصل معاً .. إلى مـحطة الحديث عن جرائم اليهود فى مـحاربة الإسـلام.. وكيف أن هذه الحرب لم تحسم حـتى الآن .. بل ولن تحسم إلا على مشارف سنوات يوم القـيامـة . وهى كما سـوف نعرف .. حـرب بدأت بشراسـة بين بنى إسـرائيل وبين رسول الإنسـانيـة محـمد عليـه الصلاة والسـلام ، منذ هجرته إلى يثرب .. حيث كان يقيم اليهود آنذاك بالجزيرة العربية .

بل ونستطيع أن نقول إن بنى إسرائيل قد أخذوا يعدون عدتهم وعتادهم لخوض هذه الحرب منذ أن عرفوا بأن هناك نبياً ثالثاً وأخيراً سوف يبعثه رب العالمين هادياً للعالمين ، ومبشراً بآخر كتب السماء وهو القرآن الكريم ، ذلك الكتاب الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه .

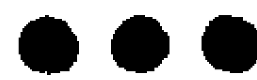
ولا شك أن جرائم اليهود فى حق رسالة الإسلام .. كانت وسوف تكون ذات دلالات ومعان خاصة ، بل ولها أهداف تختلف اختلافاً كبيراً عما ارتكبوه من جرائم فى حق كل من الديانتين اليهودية والمسيحية.. والسبب الرئيسى وراء ذلك .. هو أن هذا الدين الحنيف . قد جاء بقرآن كريم فضح فى آياته وسوره كل جرائم اليهود منذ أن خلقهم الله وحتى يوم القيامة !

وهذا لم يكن فى حسبانهم ، ولا حسبان رهبانهم .. الذين ظنوا ظن السوء .. بأن دين الإسلام لن يخرج عن الرسالتين السابقتين ، سواء فى تعاليمه أو فيما جاء به من كتاب مبين !

صحيح أنهم كانوا يعرفون من كتبهم السابقة أن هناك نبياً عظيماً سوف يبعثه الله كخاتم للأنبياء والرسل وأن اسمه أحمد ، ولكنهم لم يعرفوا أن هذا الرسول الكريم قد اختاره رب العالمين وفضله على غيره من الرسل بأن أنزل عليه قرآنا يُتلى إلى يوم القيامة وهو معجزة خالدة ، وقائمة ومستمرة .

هذه المعجزة الإلهية هى التى فضحت بنى إسرائيل ، وأظهرت ما ارتكبوه من جرائم على طول تاريخهم الأسود ! لذلك فهم لهذا الدين بالمرصاد دائماً! .. ولكن الله غالب على أمره .. ولسوف ينصر دينه .. كما نصر من قبل رسله وكذلك نصره المبين لرسوله محمد عليه الصلاة والسلام .

وياله من تحد عظيم إذ بعث الله بهذا النبى الأمى والذى خرج من بيئة أمية .. وقد استطاع أن يهزمهم ، بل ويخرجهم من ديار الإسلام إلى الأبد!



وعند الحديث المفصل عن جرائم اليهود فى حق دين الإسلام .. سوف

نفاجأ بأن هذه الجرائم لم تختلف كثيراً فى موضوعها ولا فى أهدافها عن بقية جرائمهم التى ارتكبوها فى حق كل من اليهودية والمسيحية !، وإن زادت بعض الشيء فى بعض التفاصيل ، كما نراها أكثر استمراراً من جرائمهم وحربهم ضد الرسالتين الأخيرتين ! بما يوحى بقوة هذا الدين وصلابته ، ووقوفه فى وجه تلك الجرائم ، بل وفضحها وتعرية أصحابها أمام أنفسهم أولاً ثم أمام الآخرين ثانياً .

ولقد سبق لنا القول .. بأن بنى إسرائيل فى حروبهم ضد الأديان ، قد دأبوا على سلوك طريقين لا ثالث لهما . الأول هو معاداة نبى الرسالة وقائدها ، ومحاولة قتله ، وقتل أتباعه ، ثم اللجوء للطريق الثانى .. وهو تحريف الكتاب المقدس لهذا الدين أو ذاك !

وكما أوضحنا أيضاً من قبل .. فإن محاولات بنى إسرائيل قد فشلت فشلاً ذريعاً فيما يخص قتلهم أنبياء هذه الرسالات الثلاث .. رغم اعتقادهم الأسود بأنهم قد قتلوا المسيح عليه السلام !

وقد كانت لهم سوابق خطيرة فى مجال قتلهم الأنبياء . خاصة أنبياءهم الذين بعثوا لهدايتهم من بعد موسى عليه السلام .

أما فيما يخص تحريفهم للكتاب المقدس لكل ديانة من هذه الديانات الثلاث ، فقد تبين لنا مدى نجاحهم فى تحريف كل من التوراة والأنجيل !، وهو ما فشلوا فى تحقيقه وكما أوضحنا ذلك أيضاً فيما يخص القرآن الكريم بالذات ! .

وقد كانت ولا زالت أمانيهم تداعبهم بتحقيق تلك الخطوة ، ولكن هيهات.. فإن لله جنود السموات والأرض . التى تحرس هذا القرآن العظيم وهذا الدين الحنيف .

من كل ذلك نخرج بنتيجة مهمة مؤداها .. أن اليهود فى حربهم ضد الإسلام قد انحصرت وسائلهم فى معاداة الرسول ﷺ ومحاولة قتله ، ثم محاولات تحريفهم لكتاب الله وبعض أحاديث رسوله الشريفة .

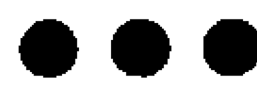
ولما كنا قد بينا هذه المحاولات من قبل ، وفى فصول سابقة . فقد بقى

لنا أن نعرف تفصيلاً .. محاولات اليهود وجرائمهم فيما يخص معاداة ومحاربة نبى هذه الرسالة ، كاستكمال مطلوب لبيان أركان جرائمهم المرتبطة بالديانات السماوية ، بل وبيان جرائمهم فى محاربة دين الله سواء اليهودية أو المسيحية أو الإسلام .

هذا البيان سوف يتطلب منا .. تتبعاً واعياً لكل جرائم بنى إسرائيل والتى ارتكبوها أو حاولوا ارتكابها فى حق النبى محمد عليه الصلاة والسلام ، سواء من قبل بعثته أو من بعدها ، حتى استطاع وبقوة من الله أن يحاربهم بنفسه ومعه أصحابه وجموع المسلمين حتى أجلاهم عن خيبر ، آخر معاقلهم داخل الجزيرة العربية .

ولم تكن حرباً هينة أو بسيطة ، بل كانت حرباً شرسة .. استخدموا فيها كل ألوان الجرائم المشروعة وغير المشروعة ، حتى داعبت أحلامهم دس السم للنبى عليه الصلاة والسلام .. ولم يكن أحد منهم ولا حتى من أحبارهم يعرف أن الله خير حافظ لهذا النبى الكريم وهو الذى جعل بقدرته تلك الشاة المسمومة ـ وكما سوف يمر علينا بعد قليل ـ تنطق بالحق ، وتخبره عليه الصلاة والسلام بألا يأكلها فإنها مسمومة ! فسبحان من أنطقها .. كما أنطق لرسولنا أشياء كثيرة من قبل ومن بعد .

ويالسماحة هذا النبى الكريم . الذى برهن على عدم عنصرية هذا الدين.. عندما قبل الاقتران بإحدى نساء اليهود بعدما أسلمت ، وقد اتخذها آخر زوجاته .. وهى السيدة صفية رضى الله عنها ، ولم لا..؟ فقد قبل هذا النبى الكريم أيضاً ومن قبل واقعة اقترانه باليهودية.. هدية مقوقس مصر.. والذى بعث بالجارية المصرية ماريا والتى تزوجها النبى هى الأخرى بعدما أسلمت .



إن الحديث المفصل عن جرائم اليهود فى حق نبى الأمة الإسلامية ، بعد الحديث عن جرائمهم فى حق القرآن الكريم والسنة المطهرة .. سوف يبين لنا بجلاء .. أن هؤلاء اليهود قوم لا يستحقون العيش فى أمان ، بل لابد

وأن يشردوا دوماً وتقطع أوصـالهم وأوصال عائلاتهم أيضاً وأن يعـيشوا دائما في أي أرض تحت خـوف وفزع دائمين . مـصداقاً لقـول الله تعالى : ﴿ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ أَيْنَ مَا ثُقِفُوا . . ﴿١١٢﴾﴾ [آل عمران]



وهذا الحديث التفصيلى .. كان لابد وأن يبدأ من طفولة النبى محمد عليه الصلاة والسلام حيث كـان بنو إسرائيل يتتبعون ظهـوره .. كما فعلوا ذلك من قبل مع عيـسى عليه السلام ، وما قصة الراهب بحـيرا الذى قابل النبى وهو لا يزال صبياً فى مـدينة بُصرى ، إلا واحدة من سلسلة القصص التى ارتبطت باليهود .. مع النبى الكريم .

وقد حذر هذا الراهب المسيحى أبا طالب عم النبى بضرورة أن يعود بابن أخيه محـمد على الفور بعد هذه المقابلة .. خشيـة أن يعلم اليهود بوجوده ، فيتسببوا فى إيذائه !

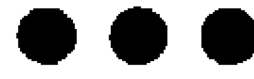
وبالفـعل لم يكذب هذا العم الطيـب هذا التحـذير .. حـيث سـارع بالنبى الكريم راجعاً إلى مـكة من دون أن يكمل رحلته التجارية التى كـان قد جاء مصاحباً إياه من أجلها .

وحتى فى المرة الثانية من رحلته عليـه الصلاة والسلام إلى الشام تاجراً فى أموال الـسيدة خـديجة ومن قـبل بعثـته عليـه الصلاة والسـلام بعدة سنوات ، حفظه الله ورعـاه .. وأعمى عيـون بنى إسرائيل عنه .. حـتى عاد سـالماً إلى مكة .. والتى لم يغادرهـا بعد ذلك إلا مـهاجـراً إلى المدينة والتى كانت آنذاك مستودعاً لليهود وقبائلهم فى الحجاز !

ولما أخذت الأنباء تحمل رياح هذه الرسالة الطيبة ، عن طريق أفواه بعض العرب الذين التقى بهم رسول الإنسـانية فى موسم الحج ، خاصة من أهل يثرب .. بدأ بنو إسرائيل فى إعداد العدة والعتـاد للبدء فى تنفيذ جرائمهم ، إذ عرفـوا أن أوان هذا الرسول الجـديد قد حان .. وأنه ربما ظـهر هناك فى مكة ، بل وعلموا كـذلك من أبناء قبيلتى الأوس والخـزرج من الذين قابلهم رسول الله ﷺ ، أن هذا النبى قـد ظهر بالفعل ، بل وأخـذ يدعو الناس لدين الله ولدعوة الإسـلام .

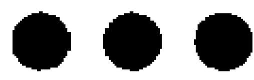
وها هى بعض وفود العرب قد أخذت تتناقل أخبار هذه الرسالة .. بل وآمن بعضهم بها .

ليس هذا فقط بل وبدأت هذه الدعوة تخرج عن نطاق مكة وتزحف بقوة ناحية قلوب وصدور وعقول القبائل القابعة فى يثرب نفسها .



وبعد مرور عدة سنوات ، ازدادت قوة الإسلام ، بازدياد أتباعه .. وكلما كانت هذه القوة فى ازدياد ، زاد انزعاج اليهود منها .. خاصة بعد النجاح الباهر الذى كان يلقاه محمد عليه الصلاة والسلام فى ظل دعوته وفى ظل علانية هذه الدعوة التى انتشرت فى كل ربوع مكة ، ثم المدينة ومن حولها بعدما تحولت إلى دار نصرة للإسلام .. وذلك عندما قرر رسول الإنسانية عليه الصلاة والسلام اتخاذها دار هجرة مباركة .

وبدخول الإسلام إلى المدينة أو يثرب .. باتت الحرب بين اليهود وبين صاحبها ورائدها وعظيمها محمد عليه الصلاة والسلام ، على وشك الاشتعال، وإن لم يكن قد اشتعلت فعلاً منذ أن أخبر أحدهم.. الأنصار من أهل المدينة من الذين كانوا ينتظرون مقدم الرسول الكريم وصاحبه .. بأن نبيهم قد جاء فى التو واللحظة !



والسؤال الذى لابد وأن يطرح نفسه فى هذا السياق هو .. كيف كان وضع اليهود فى المدينة حين مقدم الرسول ﷺ مهاجراً إليها ..؟! إنه بلا شك سؤال مهم ، والإجابة عليه سوف تبين وضع هؤلاء وقوتهم ، ومكانتهم التى حاولوا الحفاظ عليها فى ظل هذا الدين الجديد .

ولقد اجتهد الكثير من المؤرخين فى بيان حالة اليهود وأعدادهم وقبائلهم فى يثرب فى هذه الفترة التاريخية ، وكان من بين هؤلاء المؤرخين الدكتور السيد عبد العزيز سالم الذى قال عن تاريخ اليهود فى يثرب : « أدت الثورات التى قام بها اليهود فى أورشليم على الرومان إلى قيام هؤلاء بطردهم من فلسطين . وتهديم معبدهم على يد الامبراطور الرومانى طيطس عام ٧٠ م ، وفرت جموع كثيرة من اليهود على أثر ذلك إلى جزيرة

العرب فاستوطن بعضهم أخصب بقاع الحجاز فى يثرب وفدك وخيبر ووادى القرى وتيماء ، كما نزل بعضم أرض اليمن وتمكنوا من تهويد جماعة من أهلها .

وكان يعيش فى يثرب إضافة إلى هؤلاء جماعات يهودية قديمة كانت قد نزحت إليها فى عهد قديم ، وتغلبت عليها من أصحابها من العماليق .

لذلك فإن مجتمع يثرب عام ٧٠ م كان يتألف من اليهود القدامى الذين تغلبوا على عماليق يثرب ومن اليهود الجدد الذين اتخذوا من بلاد العرب دار هجرة لهم أمام اضطهاد الرومان .

وفى يثرب أقام اليهود أطما وهى حصون يلجأون إليها فى أوقات الغارات ويتحصن فيها النساء والأطفال والشيوخ عندما تخرج رجالهم إلى القتال . كما كان اليهود عندما نزلوا يثرب يحيط بهم قبيلتا الأوس والخزرج ، فى حين كانوا هم أكثر من عشرين قبيلة(١) .

ويقول بعض المؤرخين أن أهم هذه القبائل هى بنو قريظة وبنو النضير وبنو محمحم ، وبنو قينقاع وبنو ثعلبة وبنو فاعصة ، وبنو ماسكة وآخرون ، على أن أشهرهم خاصة بالنسبة للتاريخ الإسلامى ومحاربتهم الإسلام فى عهد رسول الله ﷺ ووفق إجماع الروايات ، كانت قبيلتى بنى قريظة وبنى قينقاع .

وقد اشتغلت هذه القبائل بالتجارة ، بل وظلت مسيطرة على أغلب القوافل التجارية من وإلى الشام .. حتى تم إجلاؤهم عن يثرب .. بل وعن جزيرة العرب كلها .

معنى ذلك أن رسولنا الكريم ﷺ ، عندما هاجر إلى يثرب . كان يسيطر عليها هؤلاء اليهود ، سكنا وتجارة ، مما جعل قبيلتى الأوس والخزرج العربيتين تعيشان فى حالة تحالف دائم مع هؤلاء من بنى إسرائيل . وذلك لضمان الاستمرار والغلبة والقوة .

والتاريخ يحكى لنا كيف كانت الحروب والمناوشات لا تنقطع أبدا بين

(١) تاريخ العرب فى الجاهلية ـ د. السيد عبد العزيز سالم .

هاتين القبيلتين العربيتين .. وقد وجدتا فى دعوة الإسلام .. خير معين لهما على تجاوز هذه الخلافات.. ثم لوضع حد مستمر لما كان بينهما من حروب، مما كان له أسوأ الأثر على يهود يثرب الذين كانوا يرون أن تلك الخلافات ، هى خير وسيلة لضمان تفوقهم على العرب .

وربما يكون لذلك الهدوء الذى بدأ يسود بين أفراد هاتين القبيلتين ، سبب آخر لمحاربة اليهود للإسلام والتحرش برسول الإسلام وبكل أصحابه وأتباعه !

وعلى أية حال .. نستطيع أن نقول وبضمير الباحث أن تخطيط بنى إسرائيل لارتكاب جرائمهم ضد الإسلام ، قد بدأ ربما بسنوات من قبل هجرة النبى الكريم إلى يثرب ، حيث كان يجتمع أحبارهم دوماً لاستطلاع آخر أخبار نبى الله فى مكة .

ولقد ذكرنا من قبل أن بعضهم كانت لديه الشواهد القوية لظهور ذلك النبى فى جزيرة العرب .

ويبدو أن اختيار بنى إسرائيل لأحد أتباعهم من اليهود لمصاحبة الواقفين على أبواب يثرب فى انتظار وصول النبى من مكة .. كان ضمن هذه المخططات ، لأجل أن يعرفوا .. متى يبدأون وكيف ؟! وما حجم أتباعه وأصحابه من الذين جاءوا معه من هناك ؟!

وقد يتصور البعض أن بنى إسرائيل الموجودين فى يثرب قد بادروا فوراً بإعلان حربهم على الإسلام .. منذ نجاح الرسول الكريم فى الوصول بأمان إلى مشارف يثرب .. ونحن نعتقد وفق ما جاء فى الأثر من أخبار.. أن اليهود قد تعمدوا إظهار الإحسان والترحيب بنبى هذه الأمة ، وقد بادلهم محمد عليه الصلاة والسلام هذا الود رغم علمه عليه الصلاة والسلام بأنهم قوم لا أمان لهم ولا عهد ولا ذمة !

وما كان هذا الود الظاهر إلا نوعاً من وسائل كشف النوايا ، وتحديد الجهة التى يمكن من خلالها بدء الهجوم إيذانا بالحرب على الإسلام !

وقد غفل اليهود بكل ما كان لديهم من علم قديم ، أن رسول الله حين أتى

إليهم .. إنما جاء مأموراً برعاية الله ورسله من الملائكة ، وأن هذه الرعاية وهذه العناية قد ظلت تلازمه طوال هذه الحرب ..

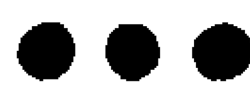
بدليل أن القرآن الكريم الذى كان ينزل به جبريل عليه السلام ، كان خير سند ومعين لهذا النبى فى حربه ضد اليهود والتى بدأت أولاً بالكلام ثم بالدسائس والتحالف مع المشركين والمنافقين ؛ وكان أيضاً القرآن الكريم لهم بالمرصاد .

وبالرجوع إلى تاريخ الدعوة الإسلامية والسيرة النبوية الشريفة اكتشفنا أن جرائم اليهود ضد الإسلام وضد نبى الإسلام قد انقسمت إلى رافدين .. الأول كان يجرى فى فلك المحاورات والمجادلات .. وفرض الأسئلة التى كانوا يظنون أنها كانت سوف تكشف ضعف رسالة الإسلام.. وقد استغلوا فى ذلك الأمر اشتغالهم بالعلوم الدينية .. فى مقابل أمية العرب واشتغالهم فقط بالشعر والأدب المروى فوق الألسنة من دون التدوين !

وأما الرافد الثانى فقد كان يجرى بقوة من خلال ما به من جرائم فى مصب التعاون مع المشركين والمنافقين خاصة فى فترة الأزمات والحروب !

ولسوف نضرب العديد من الأمثلة لبيان طبيعة هذه الجرائم وأهدافها ، ولما كان كل من هذين الرافدين وما بهما .. ينضب فور الإعلان عن بداية جريان جرائمه .. فقد ردموهما ، وحفروا للمسلمين رافدا جديداً ، كان يصب فقط فى مخيلتهم أولاً ، إذ كان يصور لهم شيطانهم الملعون ، إمكانية قتل صاحب هذه الرسالة ، كما تصوروا كذباً أنهم قد قتلوا المسيح عليه السلام من قبل !

وأيضا سوف يكون لنا مع هذا النوع من الجرائم وقفات .. لبيان طبيعتها وآثارها .. وكيفية فشلها .. ذلك الفشل الذريع .



أما بالنسبة لحديث الرافد الأول الذى اعتمد فيه اليهود على أسلوب المجادلة والمحاورة ، فيرى العديد من المؤرخين أنهم أى اليهود قد بدأوا فى

اللجوء إليه بعد انتهاء فترة الود والتعارف بين المسلمين من المهاجرين والأنصار وبينهم ، وذلك بسبب إسلام كبير أحبارهم آنذاك وهو عبد الله بن سلام .. وقد خافوا أن يتفشى الإسلام فى عامتهم .. ما دام قد أسلم به أحد كبار أحبارهم .

عندئذ أعلنوا على الملأ عدم اعترافهم بنبوة محمد عليه الصلاة والسلام .. ما دام لم يظهر هذا النبى فى بنى إسرائيل !!، فى حين لجأوا إلى وسيلة أخرى للوصول إلى هذا الهدف ، وهو إعلان بعضهم بإظهار الإسلام على الباطل ، حتى يتمكنوا من الجلوس إلى المسلمين والتشكيك فى دينهم !

وهم قد اقتربوا بسلوكهم هذه الخطوة من العديد من المنافقين ، الذين فضلوا إظهار الإسلام لاتقاء شر جموع المسلمين ، مع أنهم كانوا ولا يزالون على شركهم ونفاقهم !

ويصور لنا الدكتور محمد حسين هيكل بداية هذه الحرب الكلامية بين اليهود وبين رسول الإنسانية بقوله : « وهنا بدأت حرب جدل بين محمد واليهود أشد لدداً وأكبر مكراً من حرب الجدل التى كانت بينه وبين قريش بمكة .. وفى هذه الحرب البشرية تعاونت الدسيسة والنفاق والعلم بأخبار السابقين من الأنبياء والرسل ، أقامتها اليهود جميعاً صفوفا متراصة يهاجمون بها محمداً ورسالته وأصحابه المهاجرين والأنصار .

ودسوا من أحبارهم من أظهر إسلامه ومن استطاع أن يجلس بين المسلمين يظهر غاية التقوى ، ثم ما يلبث الحين بعد الحين أن يبدى من الشكوك والريبة ويلقى على محمد ﷺ من الأسئلة ما يحسبه يزعزع فى أنفس المسلمين عقيدتهم به وبرسالة الحق التى يدعو إليها ..

وكانوا يسألون محمداً ﷺ : إذا كان الله قد خلق الخلق ، فمن خلق الله ؟! وكان محمد يجيبهم بقوله تعالى : ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾ اللَّهُ الصَّمَدُ ﴿٢﴾ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴿٣﴾ وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ ﴿٤﴾﴾(١) [الإخلاص]

ليس هذا فقط ، بل وسألوه عليه الصلاة والسلام عن الروح ، وعن ذى القرنين .

---

(١) حياة محمد ـ مصدر سابق .

ويؤكد الدكتـور هيكل فيما كـتبه أن هذا الجدال الذى نشـأ بين المسلمين وبين اليهود فى يثرب قد بلغ حداً كـان يصل أحياناً ـ مع ما كان بينهم من عهد ـ إلى الاعتداء بالأيدى .

ولأجل أن يؤكـد لنا مـا وصل إليه هذا الاعـتـداء يسوق لـنا قصـة ذلك اليهودى فنحـاص وأبى بكر الصديق ، وهى القصة التى روتهـا معظم كتب السـيرة والتى تتـعلق بقول ذلـك اليهـودى عن أن الله تعالى فـقيـر !، وأنه لو كان غنياً عنا ما استقرضـنا أموالنا كما يزعم صاحبكم !!

وهو يشيـر في هذا السياق إلى قـول الله تعالى : ﴿مَن ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ وَلَهُ أَجْرٌ كَرِيمٌ (١١)﴾ [الحديد]

ويؤكد الدكـتور هيكل أن أبا بكر الـصديق رغم ما اتصف بـه من دماثة خلق وطول أنـاة ولين طبع .. إلا أنه لم يطـق صـبـرا علـى هذا الجـواب ، فغـضـبـاً غضـبـاً شديـداً وضرب وجه فنحـاص ضرباً قـوياً ، وقال قـولته المشـهورة : « والذى نفـسـى بيـده لولا العهـد الذى بيننا وبينكم لضـربت رأسك يا عدو الله » .

ولم يكتف اليـهود على حـد قول الدكتـور هيكل وآخريـن بالوقيعـة بين المهاجرين والأنصار ضمن جرائمهم ضد الإسلام والمسلمين ، وبين الأوس والخزرج ، ولم تكفهم فتنة المسلـين عن دينهم ومحاولة ردهم إلى الشرك دون مـحـاولة تهـويدهم ، بل زادوا على ذلك بأن حـاولوا فـتنة الرسـول نفـسـه . ذلك بأن بعض أحـبارهم وأشـرافـهم وسادتهم ذهبـوا إليه عليـه الصـلاة والسلام وقـالوا : إنك قد عـرفت أمرنا ومنزلتنا ، وإنا إن اتبـعناك اتبعك اليهود ولـم يخالفونا .. وإن بيننـا وبين بعض قومنا خصومة فنحتكم إليك فنتبعك ونؤمن بك » فنزل فيهم قوله تعالى : ﴿وَأَنِ احْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَنْ بَعْضِ مَا أَنزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ ..(٤٩)﴾ [المائدة]

هذا وقد أضاف الدكتـور محمد سيد طنطاوى شـيخ الجامع الأزهر بعداً

جديداً لجرائم بنى إسرائيل فى حربهم ضد النبى الكريم وضد الإسلام خاصة فى مجال أو فى رافد المحاولات ، باستخدامهم أسلوب الشائعات .

ولبيان خطورة هذه الأساليب ، فقد ألقى عليها الأضواء المبهرة من خلال كتابه « الإشاعات الكاذبة وكيف حاربها الإسلام » . حيث اختار لنا العديد من هذه الإشاعات الكاذبة التى أطلقها بنو إسرائيل .. وذلك على حد قوله : ومن أشد الإشاعات الكاذبة خبثاً ومكراً ، ما فعله بعض اليهود لتكذيب النبى ﷺ فى دعوته وللإساءة إلى شخصه ، أنهم تواصوا فيما بينهم بأن يتظاهروا بالإيمان فى أول النهار ، فإذا جاء آخر النهار رجعوا إلى دينهم.. فإذا ما سألهم سائل : لماذا فعلتم ذلك ؟ قالوا : إنهم بعد دخولهم الإسلام وجدوه ديناً باطلاً !! وتأكدوا من أن الرسول ﷺ ليس صادقاً فى دعوته ، وأنه ليس هو الرسول الذى أخبرت عنه كتبهم » !

ولقد بين لنا القرآن الكريم هذا الفعل الخطير فى قوله تعالى : ﴿وَقَالَت طَّائِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ آمِنُوا بِالَّذِي أُنزِلَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَجْهَ النَّهَارِ وَاكْفُرُوا آخِرَهُ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ (٧٢)﴾ [آل عمران]



واستمرت تلك الحرب لسنوات طويلة .. بين اليهود وبين نبى الرحمة عليه الصلاة والسلام ، ولم تهدأ أبداً .. بل وتغيرت وتلونت أساليبها . كما سبق أن ذكرنا .. فبعد فشلهم الذريع فى حرب المجادلة ، القائمة على الأسئلة والإشاعات .. انتقلوا إلى الرافد الثانى من روافد جرائمهم ضد الإسلام وهو الذى يصب فى مجرى التعاون مع المشركين والمنافقين سواء فى وقت السلم أو الحرب .

والتاريخ الإسلامى أيضا به العشرات ، بل والمئات من المواقف الخبيثة التى اتخذها يهود يثرب ضد الإسلام والمسلمين .

ونذكر منها على سبيل المثال لا الحصر : أن هؤلاء اليهود قد حاولوا إقناع الرسول عليه الصلاة والسلام بالجلاء عن المدينة كما أجلاه أذى

قـريش إياه وأصـحـابه عن مكة . فـذكـروا له بأن من سـبـقـه من الرسل والأنبيـاء ذهبوا جميـعاً إلى بيت المقدس وكـان بها مقـامهم ، وأنه إن يكن رسـولاً حقـاً فجـدير به أن يصنع صنيعـهم وأن يعـتبـر المدينة وسطاً فى هجرته بين مكة ومدينة المسجد الأقصى .

لكن محمداً وعلى حد قول الدكتـور هيكل لم يحتج إلى تفكير طويل فيما عرضوه عليه ليعلم أنهم يمكرون به .. وقد أوحى الله تعالى إليه يومئذ على رأس سبـعة عشـر شهـراً من مقامـه بالمدينة أن يجعل قـبلته إلى المسـجد الحرام الذى بناه إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام .

وفى تصـور العديد من المؤرخـين المسلمـين أن اليهـود قد أرادوا بهـذه الفتنة إظهار ميل رسول الله إليهم ، خاصة بـالنسبة لأشياعهم من المنافقين والمشركين .

ولما نبهـه الله تعالى إلى ذلك ، شعروا بالخـيبة والضياع ، وعـزموا على زيادة جرعة الدس والخـديعة وبذل المزيد من الجهد فى مجـال التعاون مع المشركـين سواء من قـريش أو من بقيـة القبـائل التى شعـرت بالخطر من زحف الإسـلام وازدياد قـوته .. عندما بدأ الرسول الكريم فى حـروبه ضد هؤلاء ، وما كان يحـقق من انتصارات مدوية سواء فى مـعركة بدر أو فى أحد أو فى غيرهما من معارك الإسلام الكبيرة ..

هذه الانتـصارات كـانت تزيد الغـيرة والحـسـد والحقـد فى قلوب بنى إسـرائيل ، وبالتالـى أخذوا يبـعثـون برسلهم خـارج نطاق المدينة لإيجـاد شـركاء جدد من المشركين ومن المنافقين لإيقاف قوة وانتشار الإسلام ، بل وفكروا وهم بداخل يثرب فى تنفيذ البند الثـالث من خطط جرائمهم الدنيئة بقتل محـمد عليه الصلاة والسلام ، بل وإيذاء كل المسلمـين نساء ورجالاً ، مما عجل بضرورة إجلائهم عن المدينة ..

فقد حاصر المسلمـون بنو قينقاع فى دورهم خمسة عشر يومـاً متتابعة نظير فعلتهم الشنيعة ضد إحدى نساء المسلمين ، وهى قصة معروفة وقعت لامرأة مسلمة كانت تجلس عند صائغ يهـودى ، فاجتمع عليها هؤلاء القوم

وجعلوها تكشف وجهها ، ثم كشفوا سوأتها !!

وكان رسول الله ﷺ قد نوى على قتلهم جـميعاً .. لولا ما اتصف به من رحمة ، فاسـتبدل القتل بالإجلاء من يثرب .. وقد وافـقوا حيث رحلوا منها تاركين وراءهم السلاح وأدوات المعيشة .

ولعل نجاح المسلمين بقيادة الرسول ﷺ فى إجلاء هؤلاء المجرمين .. قد ساهم كثيراً فى الإسراع بإجلاء بقية القبائل الأخرى ، والتى ارتكبت الكثير من الجرائم فى حق الإسلام والمسلمين سواء عن طريق الدسيسة أو النفاق أو المجادلة بدون وجه حق .

ويحكى لنا التاريخ الإسلامى عن كيفية إجلاء هؤلاء المجرمين جميعاً من يثرب حكايات وحكايـات ، امتلأت بها الكـتب قديما وحديثـاً ، كما امـتلأت كذلك بأسباب هذا الجلاء .

ونستطيع أن نستشف منها جمـيعاً بأن هذا الإجلاء قد تم على مراحل ، وبأسباب منطقـية عجلت برحيلهم ، وكلها أسبـاب تتعلق بارتكابهم جرائم متعددة ومـتنوعة ، مثال ذلك أن بنى النضير وهم من قـبائل يهود يثرب .. قد انتهزوا فرصة هزيمة المسلمين فى معركة أحد ، فنقضوا ما بينهم وبين المسلمين من عهود مكتوبة .. وقد خرجوا إلى مكة للتحالف مع كفار قريش وبالذات مع أبى سـفيـان بن حـرب ضد المسلمـين ، ولما علم بذلك رسـول الله ﷺ أنذرهم ، ومنحـهم فـرصة عـشـرة أيام للرحـيل عن المدينة . ومن يمكث منهم بعد هذا التاريخ سوف تضرب عنقه .

وقد وافق اليـهود على الرحـيل لولا تشجـيع رأس المنافقـين بينهم وهو عبـدالله بن أبى بن سلول الذى وعـدهم بإمدادهم بألفى مـقاتل من قـومهم بالتحالف، مع العرب تشجيعاً وتثبيتاً .

وعلى أثر هذا التراجع حـاصرهم رسول الله ومن كان معـه من المسلمين قرابة عشرين يوماً حتى ضاقت عليهم الأرض بما رحبت وبالتالى اضطروا لتوقيع صلح الجلاء إلى الشام ثم إلى خيبر(١) .

---

(١) اليهود وتذكرة من قبل أن نفقد الذاكرة ـ مصدر سابق .

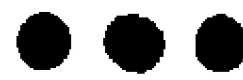
وجاء الحين ليرحل كذلك بنو قـريظة آخر قبائل بنى إسرائيل فى المدينة وذلك على إثر موقفهم المخزى بعد تحالفهم مع المشركين فى غزوة الأحزاب ضـد المسلمين .



ويرى الكثـير من المؤرخـين أن هذه القـبائل اليـهـودية ، من بعد نجـاح المسلمين فى طردهم من يثرب ، قـد تجمعوا فى خيـبر . على أمل النيل مرة أخـرى من الإسلام ومن رسـوله.. وقد أعـدوا هذا البلد الحصـين بقلاعـه وحصونه لكى يكون هو حائط الصد الأخير فى معركتهم ضد المسلمين .

ولكن هيـهات مـن ذلك .. حيث تمكن الرسـول منهم جـمـيعـاً رغم هذه الحصون ومن كـان معه من المسلمين ، إذ نجـحوا فى فتح خيبـر وتضييق الخناق على أهلهـا من اليـهود الذين لم يجـدوا مـفراً من الاتجـاه إلى بلاد الشام وترك كل بلاد الحجاز آنذاك .

ولقد تجلت حكمـة رب العالمين .. ألا يلاقى رسول الله ﷺ ربه إلا بعـدما شاهد، بل وشـارك فى إجلاء كل اليهـود من جزيرة العرب ، وقد اسـتراح باله وأطمأن قلبه على مسيرة الدعـوة الإسلامية التى كانت فى طريقها إلى الانطلاق بقـوة إلى خارج أرض الحـجاز . وقد تحـقق له وعد الله بالـنصر المبين والقريب .



وقد كـان اليهود يحلمون بغـير ذلك إذ صور لهم خـيالهم المريض .. أن بإمكانهم قتل هذا النبى مثلما فعلوا مغ غيره من الأنبياء . ولقد سبق لنا أن نوهنا إلى أن فكرة القتل هذه كأخطر جرائم بنى إسرائيل فى حق الإسـلام ، قد داعـبت أحلام هؤلاء .. بعدمـا فشلوا فيـما لجأوا إليـه آنذاك ، وقد بيناه تفصيلاً ، سواء من حـيث لجوئهم إلى أسلوب المجادلة أو أسلوب الدسائس ومهادنة المنافقين على حساب الإسلام والمسلمين .

ويرصـد لنا التـاريخ محـاولتـين من محـاولات بنى إسـرائيل لارتكاب جريمـتى قتل ضـد نبى الإسلام عـليه الصـلاة والسلام .. الأولى قـام بها

يهود بنو النضير الذين أوحوا إلى بنى جلدتهم بإلقاء حجر ضخم من أعلى بناء استند الرسول ﷺ إلى جداره ، ولكن جبريل عليه السلام أخبره فى الوقت المناسب فتنحى عن هذا المكان ونجا بفضل الله تعالى ..

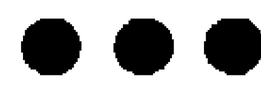
أما المحاولة الثانية فكانت من يهود خيبر حيث وضعت امرأة يهودية تدعى زينب بنت الحارث امرأة سلام بن مشكم زعيم يهود خيبر سماً فى شاه قدمتها إلى الرسول الكريم ﷺ وأحد صحابته ويدعى « بشر بن البراء» ، فتناول كل منهما قطعة ، ولم يستسغ الرسول الكريم طعمها فلفظها ، أما بشر فتناولها ومات فى الحال .

وحين لفظ الرسول ﷺ اللحم المسموم من فمه الشريف قال : « إن هذا العظم ليخبرنى أنه مسموم » .

ولما سُئلت هذه المرأة عن فعلتها هذه اعترفت وقالت : أردت أن أختبر هل هو نبى أم لا ؟! فإن كان نبياً سينقذه الله ، وإن كان غير ذلك فسيريحنا الله منه !(١) .

وبطبيعة الحال .. فليس هذا تعليلاً صحيحاً لهذه الجريمة الكبرى ، بل التعليل الأكثر صحة فى هذا السياق .. هو أن هذه المرأة اليهودية كانت تريد فعلاً أن تحقق لقومها ما لم يستطيعوا هم تحقيقه !

وقد خاب هذا الفعل الدنىء وأنقذه الله ، كما أنقذ الدعوة الإسلامية منذ ظهورها وحتى اليوم وإلى أن تقوم الساعة .



والسؤال الذى يطرح نفسه فى سياق حديث علاقة اليهود بحروبهم ضد الإسلام منذ بزوغ نوره ! .. وهل توقفت تلك الحرب على مدى التاريخ الإسلامى كله ؟!

إن هناك العديد من المؤرخين من الذين حاولوا تقديم صور صادقة وأمينة عن موقف اليهود عبر عصور تاريخ الإسلام ، وقد اتضح مما قدموه .. أن بنى إسرائيل بعدما هزمهم الله فى أنفسهم وأخزاهم فى

(١) المصدر سابق .

أفعالهم تجاه رسول الله ودعوة الإسلام ظلوا قابعين خلف حصونهم التى شيدوها فى بلاد الشام وفى بلاد أخرى .. بعد أن أجلاهم الله من بلاد الحجاز ، مع اعترافهم واعتراف كل أحبارهم ورهبانهم بأنهم لن يستطيعوا القضاء على الإسلام ولا حتى النيل منه ولا من أتباعه .

وبالتالى فقد اجتهدوا كثيراً فى البحث عن وسائل أخرى .. ربما تزعزع استقرار هذا الدين الحنيف ، وتنال منه .. فحاولوا فى هذا الاتجاه وكما سبق أن أوضحنا تزوير بعض الأحاديث النبوية .. ونشر الإسرائيليات فى كتب التفاسير .

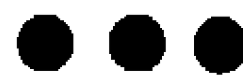
وكان علماء المسلمين لهم بالمرصاد .. حيث ظهر منهم فريق كبير أخذ على عاتقه بيان وفضح هذه الإسرائيليات وخطورتها على الإسلام .

ولما فشلت هذه المحاولات أيضاً .. لم يجد اليهود بدأ من التعايش السلمى مؤقتا مع المسلمين ، خاصة فى ظل الامبراطوريات الإسلامية القوية والتى نشأت خارج بلاد الحجاز مثل الدولة الأموية والعباسية والفاطمية .

والغريب أنهم وفى ظل سماحة الإسلام والمسلمين آنذاك قد وجدوا الأرض الخصبة لإظهار نبوغهم سواء فى علوم الطب أو غيره من العلوم ! مما جعل العديد من الخلفاء والحكام المسلمين يستعينون بهم فى تصريف شئون الدولة سواء الاقتصادية أو العلمية .

لقد ظلوا على هذه الحالة من المهادنة والعيش فى سلام مع المسلمين فى مختلف عصورهم خاصة فترات العصور الوسطى .. فى مقابل ما كان يعانيه أترابهم من بنى إسرائيل من الذين عاشوا فى الوقت نفسه فى أوروبا .

والتاريخ فيه الآلاف من الحكايات التى تصور لنا .. كيف كان حال هؤلاء اليهود فى أوروبا وفى العصور الوسطى ، فى ظل حالة اضطهاد كامل عقاباً لهم على مواقفهم السابقة من المسيح ورسالته .



ومع مرور السنوات والعصور والقرون .. عادت الأحلام تداعب عقول

اليهود من جديد لأجل محاربة الإسلام والمسلمين ، وقد انتهزوا لتحقيق ذلك فرصة ما أصاب الدولة الإسلامية من ضعف بسبب عوامل كثيرة نعرف بعضها ولا نزال نجهل البعض الآخر .

وجاءت بدايات العصر الحديث لتؤكد أن هذه الأحلام لا زالت تطفو فوق صدور اليهود ، وتعمل عقولهم دائما على تحقيقها ، إذ تحالفوا مع شيطان الغرب .. عدو الأمس لأجل ضرب الإسلام والمسلمين . وقد تجلى بوضوح ذلك فى عدة صور بدءاً من مشاركتهم فى الحروب الصليبية ضد الإسلام.. ومروراً بالعديد من الأحداث التاريخية التى بدأت تهز كيان العالم هزاً عنيفاً مع مطلع القرن التاسع عشر ، خاصة التى صاحبت حركات الاستعمار الأوروبى ، والاستيلاء على مقدرات بعض دول الإسلام .

وهم بذلك قد دخلوا إلى المرحلة الثانية من حربهم ضد الإسلام والمسلمين ، بل وضد الإنسانية كلها . وما يجرى الآن على أرض فلسطين إلا صورة مكررة لهذه الأساليب ، مع تنوع الأداء والممارسات التى باتت تتغير بتغير الأزمنة والشخصيات أيضاً .

المــراجـــع

١ – القرآن الكريم .
٢ – الأحاديث النبوية .
٣ – تاريخ بنى إسرائيل من أسفارهم ـ ٣ أجزاء تأليف محمد عزة دروزة .
٤ – ابتلاء الأنبياء ـ كتاب للمؤلف .
٥ – إسرائيل البداية والنهاية ـ يوسف محمد يوسف .
٦ – تاريخ الديانة اليهودية ـ د. محمد خليفة حسن أحمد .
٧ – اليهود وتذكرة قبل أن نفقد الذاكرة ـ د. رمضان حافظ .
٨ – التفسير الوسيط للقرآن الكريم ـ د. محمد سيد طنطاوى .
٩ – من هو فرعون موسى ـ قصص الأنبياء والتاريخ ج ٤ – د. رشدى البدراوى .
١٠ – الاختراق الصهيونى للمسيحية ـ القس إكرام لمعى .
١١ – قصص الأنبياء ـ الحافظ ابن كثير ـ طبعة جديدة .
١٢ – التوراة ـ د. مصطفى محمود .
١٣ – مقارنة الأديان ـ اليهودية ـ د. أحمد شلبى .
١٤ – أنبياء الله ـ أحمد بهجت .
١٥ – القصة فى القرآن ـ د. محمد سيد طنطاوى ـ جزءان .
١٦ – أنبياء بنى إسرائيل ـ د. رشدى البدراوى ج ٥ .
١٧ – الأسفار المقدسة فى الأديان السابقة للإسلام ـ د. على عبد الواحد وافى .
١٨ – إسرائيل ـ التوراة : التاريخ والتضليل ـ د. سيد القمنى .
١٩ – التوراة والأناجيل والقرآن الكريم بمقاييس العصر الحديث ـ د. موريس بوكاى ـ ترجمة على الجوهرى .

٢٠ – دراسات فى القرآن والحديث ـ د. يوسف خليف .
٢١ – مختصر سيرة ابن هشام .
٢٢ – أربعة عشر قرناً مع القرآن الكريم ـ عبد الخالق سيد أبو رابية .
٢٣ – البيان النبوى ـ د. محمد رجب البيومى .
٢٤ – الإسرائيليات فى تفسير الطبرى ـ د. آمال ربيع .
٢٥ – الإسرائيليات والموضوعات فى كتب التفاسير قديما وحديثاً ـ سعد يوسف أبو عزيز .
٢٦ – حياة محمد ـ د. محمد حسين هيكل .
٢٧ – مقدمة ابن خلدون .
٢٨ – موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية ـ إعداد . د. عبد الوهاب المسيرى ٦ أجزاء .
٢٩ – حياة المسيح ـ عباس محمود العقاد .
٣٠ – كلمة من الله ـ د. توحيد الزهيرى .
٣١ – سر مريم أم المسيح عليه السلام ـ حسن يوسف الأطير .
٣٢ – تاريخ العرب فى الجاهلية ـ د. السيد عبد العزيز .

الفهـــرس

الصفحة

الصفحة

كتب للمؤلف

القصة والرواية :

- سؤال للبيع : مجموعة قصصية
- الحب فى سوق السلطان : مجموعة قصصية

  تحولت إحدى قصصها إلى مسلسل إذاعى
- الانتحار مرة أخرى : مجموعة قصصية

  تحولت قصة« الميراث الحى» إلى تمثيلية إذاعية .
- استقالة عشماوى : روايـــة
- الخروج من الباب العالى : رواية تحولت إلى تمثيلية إذاعية
- وقال الحب : روايـــة

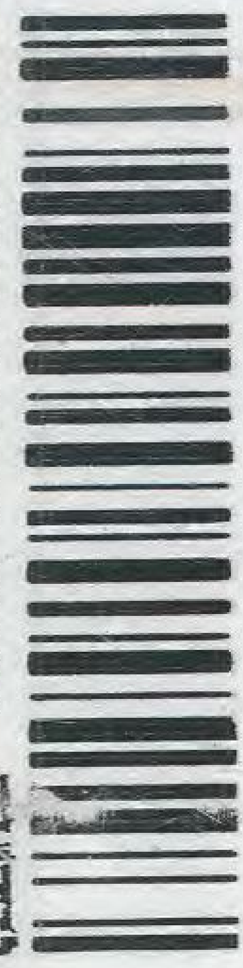
دراسات فى السياسة والفن والتاريخ :

- أوراق فى السياسة والحب والحرب .
- عبد الناصر وأم كلثوم : علاقة خاصة جداً
- النساء ولعبة السياسة (طبعة ثانية)
- حكايتى مع السجن « مفكرون وقضبان » جـ ١
- حكايتى مع السجن « سياسيون وقضبان » جـ ٢
- أوهامه بين القوة والنصر - الرد على هيكل
- عاشق فوق الثمانين (قصة حياة البرتومورافيا)
- السادات وهيكل وموسى (طبعة ثانية)
- ناهد والملك فاروق
- الملكة نازلى: بين كرسى العرش وسجن الحريم(طبعة ثانية)
- سيدتان من مصر : جيهان وأم كلثوم
- فنانات فى الشارع السياسى
- الذين تزوجوا أم كلثوم

- أم كلثوم الحب والزواج والأصدقاء
- تاريخ مصر يكتبه أهل الفن
- شعراء أم كلثوم (طبعتان)
- أم كلثوم و ٥٠ سنة سياسة
- الأربعة الكبار فى الأغنية والألحان (أم كلثوم - عبد الوهاب - عبد الحليم - فريد الأطرش)
- وقائع اغتيال حكام مصر .
- الأيام الأخيرة فى حياة عظماء السياسة
- من قتل سيد درويش ؟
- ليالى القاهرة فى عصر بديعة !
- شوقى وبيرم : الجذور والثورة والسلطان .
- حريم ملوك مصر .
- جبال الأنبياء .
- مقابر المشاهير من آل البيت والصحابة والعلماء وأولياء الله الصالحين .
- ابتلاء الأنبياء .
- الأماكن المشهورة فى حياة محمد عليه الصلاة والسلام .

دار
أخبار اليوم
قطاع الثقافة

دار
أخبار اليوم
قطاع الثقافة


Bibliotheca Alexandrina
0589107


٢٥
أخبار اليوم
قطاع الثقافة